

جِيلُ النُّبُوَّةِ  
وَمَعَالِمِ  
الْبِنَاءِ الحَضَارِيِّ

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُ﴾

إعداد

عمر بن عبد المجيد البيانوني

حقُّ الطبعِ مباحٌ لكلِّ مَنْ أراد بشرطِ المحافظة على الأصلِ

جزى اللهُ خيراً كلَّ مَنْ أعان على نشر هذا الكتاب وتوزيعه

للتواصل مع الباحث

البريد الإلكتروني:

[xOMAR88x@gmail.com](mailto:xOMAR88x@gmail.com)



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤	فهرس المحتويات.....
١٣	الإهداء.....
١٤	إشراقة.....
١٥	المقدمة.....
٢٩	تمهيد:.....
٣٤	الباب الأول: فضل الصحابة ومكانتهم.....
٣٤	الفصل الأول: ما ورد في فضلهم وعلو مكانتهم.....
٣٤	المبحث الأول: ما ورد من القرآن في فضلهم.....
٤٢	المبحث الثاني: ما ورد من السنة في فضلهم.....
٤٨	المبحث الثالث: أقوال السلف والعلماء في فضلهم.....
٥٨	الفصل الثاني: مناقب الصحابة وآثارهم.....
٥٨	المبحث الأول: ما أيد الله به الصحابة وأكرمهم به.....

٥٨	المطلب الأول: إمداد الله للصحابة بالملائكة عليهم السلام.....
٦٢	المطلب الثاني: رؤية بعض الصحابة للملائكة.....
٦٤	المطلب الثالث: بعض الكرامات التي حصلت لهم.....
٦٥	المطلب الرابع: البركة في طعامهم ورزقهم.....
٦٧	المبحث الثاني: ما أنزل الله من القرآن على لسانهم أو كان موافقاً لهم
٧٧	المبحث الثالث: قوة إيمان الصحابة.....
٨٥	الفصل الثالث: عدالة الصحابة.....
٨٥	المبحث الأول: معنى العدالة لغة واصطلاحاً.....
٨٨	المبحث الثاني: المراد بعدالة الصحابة.....
٨٩	المبحث الثالث: الإجماع على عدالتهم.....
٩١	المبحث الرابع: النهي عن سب الصحابة وانتقاصهم.....
٩٦	المبحث الخامس: حكم من يسب الصحابة.....
١٠٣	<b>الباب الثاني: تلقي الصحابة للقرآن الكريم وعنايتهم بضبطه ونقله</b>
١٠٣	الفصل الأول: حفاظ القرآن ورواته من الصحابة.....
١٠٨	الفصل الثاني: جمع الصحابة للقرآن.....

١١٠	الفصل الثالث: جهود الصحابة في تعليم القرآن ومنهجهم فيه....
١١٥	الفصل الرابع: تدبر الصحابة للقرآن.....
١١٦	الفصل الخامس: تعليمهم أخلاق وآداب حامل القرآن.....
١١٨	<b>الباب الثالث: جهود الصحابة في حفظ السنة النبوية تحملاً وأداءً</b>
	الفصل الأول: حرص الصحابة على سماع الحديث عن النبي ﷺ
١١٩	وحفظه وضبطه وتبليغه.....
١٢٤	المبحث الأول: التناوب في الحضور إلى مجلس النبي ﷺ، وتحديث بعضهم لبعض.....
١٢٥	المبحث الثاني: شدة التحري والتثبت في الرواية.....
١٣٢	المبحث الثالث: إقلال الصحابة من الرواية وأسبابه.....
١٣٥	المبحث الرابع: الصحابة المكثرون للرواية وعددهم.....
١٣٨	المبحث الخامس: رحلة الصحابة في طلب الحديث.....
١٤١	المبحث السادس: تحديث الناس بما يعرفون.....
١٤٥	المبحث السابع: مقاومة الصحابة للوضع.....
١٤٨	الفصل الثاني: سؤال الصحابة عن الإسناد واهتمامهم به.....
١٤٨	المبحث الأول: أهمية الإسناد وخصوصية هذه الأمة به.....

١٥٠	المبحث الثاني: اهتمام الصحابة بعلو الإسناد.....
١٥٢	المبحث الثالث: سؤال الصحابة عن الإسناد.....
١٥٤	الفصل الثالث: اهتمام الصحابة بنقد متن الحديث.....
١٥٤	المبحث الأول: معنى نقد المتن وأهميته.....
١٥٨	المبحث الثاني: نقد الصحابة للمتن ومستندهم فيه.....
١٦٠	الفصل الرابع: اهتمام الصحابة بكتابة الحديث.....
١٦٠	المبحث الأول: كتابة الأحاديث النبوية والموقف منها.....
١٦١	المبحث الثاني: الجمع بين أحاديث النهي والإباحة.....
١٦٢	المبحث الثالث: مَنْ عُرِفَ من الصحابة بكتابة الحديث.....
١٦٦	<b>الباب الرابع: معالم البناء الحضاري عند الصحابة.....</b>
١٦٦	الفصل الأول: العقيدة عند الصحابة.....
١٦٦	المبحث الأول: الدعوة إلى عبادة الله وحده.....
١٧١	المبحث الثاني: الاتباع والبعث عن الابتداع.....
١٧٦	المبحث الثالث: الولاء لله ورسوله، والبراءة من الكفر وأهله.....
١٨٧	المبحث الرابع: إيمان الصَّحابة بالقضاء والقدر وموقفهم من الخوض فيه.....

١٩١	الفصل الثاني: تفسير الصحابة للقرآن ومنهجهم فيه.....
١٩٢	المبحث الأول: المشتهرون بالتفسير من الصحابة.....
١٩٣	المبحث الثاني: علم الصحابة بالتفسير.....
١٩٥	المبحث الثالث: علمهم بالمكي والمدني.....
١٩٧	المبحث الرابع: ورع الصحابة في التفسير.....
١٩٧	المبحث الخامس: أهمية الرجوع إلى تفسيرهم.....
٢٠٠	المبحث السادس: منهج الصحابة في التفسير.....
٢٠٥	المبحث السابع: تعلم التابعين التفسير عن الصحابة.....
٢٠٩	الفصل الثالث: فقه الصحابة واجتهادهم.....
٢٠٩	المبحث الأول: نقل الصحابة لتفاصيل أحكام الشريعة.....
٢١٦	المبحث الثاني: فقهاء الصحابة ومفتوهم.....
٢٢٦	المبحث الثالث: المكثرون من الصحابة للفتوى.....
٢٢٧	المبحث الرابع: ورع الصحابة في الفتوى.....
٢٢٨	المبحث الخامس: الاجتهاد عند الصحابة.....
٢٣٢	المبحث السادس: أثر فقه الصحابة واجتهاداتهم.....

٢٣٤	.....المبحث السابع: موقف العلماء من قول الصحابي
٢٤١	.....المبحث الثامن: التوسعة على الأمة باختلافهم
٢٤٥	.....الفصل الرابع: القضاء عند الصحابة
٢٥٨	.....الفصل الخامس: اهتمام الصحابة بالسيرة النبوية
٢٦٤	.....الفصل السادس: عبادة الصحابة
٢٧٧	.....الفصل السابع: أخلاق الصحابة وآدابهم
	.....الفصل الثامن: اهتمام الصحابة بالمحافظة على أصول الإسلام
٢٨٣	.....ومبادئه
٢٨٣	.....المبحث الأول: المحافظة على الدين
٢٨٧	.....المبحث الثاني: المحافظة على النفس
٢٩٠	.....المبحث الثالث: المحافظة على العقل
٢٩٢	.....المبحث الرابع: المحافظة على العرض
٢٩٥	.....المبحث الخامس: المحافظة على المال
٢٩٦	.....المبحث السادس: حب الصحابة لرسول الله ﷺ وشدة اتباعهم
٣٠٥	.....المبحث السابع: حرص الصحابة على اجتماع الأمة ووحدتها
٣١١	.....المبحث الثامن: العدل والمساواة بين الناس



٣١٦	المبحث التاسع: اهتمام الصحابة بعمارة المساجد وبنائها.....
٣٢٢	المبحث العاشر: تحذير الصحابة من الفتن.....
٣٢٧	الفصل التاسع: التربية عند الصحابة.....
٣٣١	الفصل العاشر: منهج الصحابة في العلم والتعليم.....
٣٣١	المبحث الأول: ترغيب الصحابة بالعلم وأدبهم فيه.....
٣٣٤	المبحث الثاني: الجمع بين تعلم العلم والعمل به.....
٣٣٦	المبحث الثالث: تعلم لغة الأعداء.....
٣٣٧	المبحث الرابع: منهج الصحابة في السؤال عن العلم.....
٣٤١	الفصل الحادي عشر: فتوحات الصحابة ونشرهم للإسلام.....
٣٥٥	الفصل الثاني عشر: الإدارة عند الصحابة.....
٣٥٥	المبحث الأول: وجوب تأمير الأمير.....
٣٥٥	المبحث الثاني: الشورى.....
٣٥٧	المبحث الثالث: النصيحة.....
٣٥٨	المبحث الرابع: الرقابة.....
٣٦٠	المبحث الخامس: إعطاء كل ذي حق حقه.....

٣٦١	.....المبحث السادس: تدوين الدواوين
٣٦٣	.....المبحث السابع: إدارة الوقت
٣٦٥	.....المبحث الثامن: تحمل المسؤولية
٣٦٥	.....المبحث التاسع: اكتشاف القدرات
٣٦٨	.....المبحث العاشر: حسن الاختيار للولاية
٣٧٣	.....الفصل الثالث عشر: الاقتصاد عند الصحابة
٣٧٣	.....المبحث الأول: الالتزام بمبادئ الإسلام الماليّة
٣٨٠	.....المبحث الثاني: حسن التصرف في بيت المال
٣٨٣	.....المبحث الثالث: عدم توزيع الأراضي على الفاتحين
٣٨٦	..... <b>الباب الخامس: واجب الأمة نحو الصحابة</b>
٣٨٦	.....الفصل الأول: محبتهم
٣٨٩	.....الفصل الثاني: الدعاء والاستغفار لهم، والترضي عنهم
٣٩٠	.....الفصل الثالث: تأويل اجتهاداتهم، والكف عمّا شجر بينهم
٤٠٣	.....الفصل الرابع: ذكر محاسنهم، والحذر من انتقاصهم وسبهم
٤٠٩	.....الفصل الخامس: إثبات عدالتهم واعتقاد أنهم أفضل الأمة وخيرها

- ٤١٠ ..... الفصل السادس: اتباعهم والافتداء بهم، والاستنان بستتهم.....
- ٤٢١ ..... الفصل السابع: التربية على حب الصحابة.....
- ٤٢٢ ..... الخاتمة، وفيها: أهم نتائج البحث والتوصيات.....
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى من ربّي وعلمّ تلك النخبة من صحابته: الرّسول المعلم ﷺ،

فكانوا نبراساً للحق والهدى..

إلى والديّ الكريمين اللذين لهم أكبر الأثر في تعليمي وإرشادي إلى الخير..

وفاءً ببعض حقهم، وعرفاناً بجزيل فضلهم..

إليك يا من يريد النظر في سيرة الصّحابة ومعرفة فضلهم،

والاهتداء بهم والسير على منهجهم..

أهدي هذا الكتاب



## إشراقه

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: أصل الأصول: العلم، وأنفع العلوم:

النظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

فِيهِدَنَّهُمْ أَقْتَدَ﴾ صيد الخاطر: ٢٠.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: «أوثق عملي في نفسي حبُّ أصحاب محمد

ﷺ». حلية الأولياء ٨: ٣٣٨.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، وحده لا شريك له إله الأوّلين والآخريين، الذي جعل أمّتنا خير أمة أخرجت للناس، وأسبغ على عباده نعمه، ووسّعهم برحمته، وهو أرحم الراحمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد خاتم النّبیین، والرحمة المرسلّة للعالمين، الذي جاهد في الحقّ جهاده حتى فاز بالنصر المبين، وعلى آله وأصحابه الذين بلّغوا ونصروا هذا الدين، وقاموا به وحققوا ما أمروا به على الوجه القويم، أمّا بعد؛

فقد «خَصَّ اللهُ نبيّه محمداً ﷺ، بصحابة أثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: «رحماء بينهم»، قاموا بمعالم الدين، وناصرحوا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل الله بهم الشرك وأزال رؤوسه، ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نُصَحَاءَ، رحلوا إلى الأخرى قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعدُ فيها»<sup>(١)</sup>.

إنّه جيئٌ تحرّج من مشكاة النبوّة، تخرج من أعظم معلّم ومربّ عرفته البشرية والأجيال، وصدق من قال: (لو لم يكن للنبي عليه الصّلاة والسّلام معجزة إلا أصحابه لكفت في إثبات نبوّته).

هل تطلبون من المختار معجزةً... يكفيه شعبٌ من الأجدات أحياءُ

إنّ ما ظهر على أصحابه وعلى أهل دينه من الكرامات هو آية لرسول الله ﷺ من

(١) - ينسب هذا الكلام إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما في مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٥.

أعظم الآيات، وذلك أن الله تعالى إذا أكرم أحداً منهم بأن خرق له عادة، فإن ذلك يدل على أنه على الحق وأن دينه حق، إذ لو كان مبطلاً في دينه متبعاً لمبطل في دعواه، كاذب في قوله على الله، لما أكرمه الله ولا أكرم من اتبع دينه، فكل كرامة لولي إنها هي آية للنبي الذي يتبعه ذلك الولي.

كان ينزل القرآن على لسان أحدهم وقلبه، كان منهم من يهرب منه الشيطان ويسلك طريقاً غير طريقه.

يصبح أحدهم خليفة للمسلمين فلا يمنعه ذلك من أن يجلب للنساء أغنامهم، ويأمر الناس بعدم طاعته في معصية الله، ثم ينتقل إلى رحمة الله سبحانه ولم يترك من الدنيا إلا أقل القليل ومع هذا يوصي بأن يرد ماله إلى بيت مال المسلمين.

يأتي عند أحدهم المال الكثير فلا تقرر عينه، ولا يهدأ باله ولا تسكن نفسه حتى يفرق المال على إخوانه.

يجاهد أحدهم في سبيل الله ويدركونه في الرمق الأخير فلا يسأل عن أهله ولا عن ماله وإنما يسأل عن رسول الله ﷺ ويطلب رؤيته، فلما رآه بخير حالٍ اطمأن قلبه وزال همُّه.

صحابية أصيب زوجها وأخوها يوم أحد فلما نعوها، قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أم فلان. فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشاروا لها إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل<sup>(١)</sup>.

يصلي أحدهم فيرمى بالنبال فيبقى في صلاته ولا يقطعها، فلذة مناجاته لله سبحانه هي أعظم من كل ما يلقاه.

يجب أحدهم رسول الله ﷺ ويتبعه حتى لا يترك مكاناً مشى فيه رسول الله ﷺ

(١) - جليل: أي هينة ويسيره، والكلمة من الأضداد تكون للحقير والعظيم. النهاية ١: ٢٨٩.

إلا مشى فيه، ولا مكاناً قعد فيه واستراح إلا فعل مثله حباً له، واتباعاً لآثاره.

انتقلوا إلى الدار الآخرة، وما غاب عنا ذكرهم وفضلهم بما خلفوا من آثارهم لها عماد، وورثوا من علوم وفتحوا من قلوب وبلاد، وأحيوا من أمات الشرك قلبه من العباد، وأناروا الطريق أمام من عميت بصائرهم وأظلمت حياتهم.

فجبل الصحابة خير جيل عرفه التاريخ، فقد أثنى الله تعالى عليهم في محكم كتابه، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ، وجعلهم حملة رسالته، و﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ**

**رِسَالَتَهُ** ﴾ الأنعام: ١٢٤. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلاً وميراثاً؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤدّيها إلى عباده بالأمانة والنصيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربه»<sup>(١)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ فضلهم على سائر القرون فقال: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)<sup>(٢)</sup>.

وأجمع أهل الإسلام على فضلهم ورفع مكانتهم وعلو منزلتهم.

ومعلوم أن محبة النبي ﷺ واجبة فعن أنسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يؤمنُّ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)<sup>(٣)</sup>.

ومن علامة حب النبي عليه الصلاة والسلام: حب صحابته، وإلا فكيف يدعي

(١) - طريق المهجرتين: ١٧١.

(٢) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٣٦٤).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين (٦٣).



ذلك من يذم أصحابه الذين فدوه بأرواحهم وجعلوا صدورهم دروعاً تتلقى السهام، فمن أبغض أحداً من صحابته أو من أزواجه فقد كذب في حبه لرسول الله ﷺ، فحُبُّ الصَّحابة من الإيمان وهو متلازم مع محبة النَّبي ﷺ، ولذلك قال ﷺ عنهم: (فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ) <sup>(١)</sup>. وقال محمد بن سيرين: «ما أظن رجلاً ينتقص أبا بكر وعمر يحب النَّبي ﷺ» <sup>(٢)</sup>.

وللصحابة فضل عظيم علينا، فهم الذين نقلوا إلينا هذا الدين، ولم يدعوا صغيرة ولا كبيرة إلا بلغوها لمن بعدهم، والصَّحابة هم المثال الحي لتطبيق هذا الدين في عالم الواقع، فقد أثبتوا واقعيتته، وأنه بتطبيقه يكون النصر والفلاح والتمكين.

إنَّ البناء الحضاريَّ قائمٌ على بناء الإنسان فهو حجر الزاوية في كلِّ نهضة، وقد قام بوضع أساسيات هذا البناء وتشديد دعائمه وأركانه: رسول الله ﷺ ومعه صحابته الكرام رضي الله عنهم، ومن أهم معالم البناء الحضاري في الإسلام:

- ١- إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.
- ٢- العدل بين الناس.
- ٣- التأكيد على كرامة الإنسان.
- ٤- التوازن بين الدين والدنيا، وبين الروح ولطسده، فيعطى كل ذي حق حقه.
- وبث روح الأمل والتفاؤل والبعد عن اليأس والتشاؤم.
- ٥- الحث على العلم وإعلاء قيمته ومنزلته.

---

(١) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النَّبي ﷺ (٣٧٩٧) وقال: حديث حسن غريب. وأحمد في مسنده (١٦٨٠٣) و (٢٠٥٤٩) و (٢٠٥٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨٣).

(٢) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر (٣٦١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٦- الإعداد لقوة المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

قُوَّةٍ﴾ الأَنْفَال، و (قُوَّةٌ) نكرة تفيد العموم، فالقوة هنا بمعناها العام الواسع فتشمل: القوة العلمية والاقتصادية والعسكرية، وتشمل: القوة النفسية، بأن يكونوا واثقين بنصر الله، بعيدين عن الانهزامية والشعور بالنقص والضعف أمام الأعداء.

وقد أشار الله عز وجل إلى الغرض من إعداد القوة بقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، فكل ما يحقق هذا الغرض فهو مطلوب.

فمجرد الإعداد للقوة هو أمر يسبب رهباً للعدو، ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة، فحين تبين لخصمك القوة التي تملكها لا يجترئ عليك.

قال الأستاذ سيد قطب: إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان»، وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمّن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يُصَدُّوا عنها، ولا يُفْتَنُوا كذلك بعد اعتناقها. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.

والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها.

والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه<sup>(١)</sup>.

(١) - في ظلال القرآن ٣: ١٥٤٣.

فحضارة الصحابة ليست حضارةً ماديةً جوفاءً لا رُوح فيها ولا فضيلة، وإنما هي حضارةٌ ترتقي بالإنسان إلى أعلى المنازل والمراتب، حضارةٌ تُخْرِجُ النَّاسَ من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

حضارةٌ قائمة على بناء للإنسان بناءً راقياً في كافة المجالات الدينية والدينية، من سلامة في العقيدة، ورفعة في العلم، ورُقِيٍّ في السلوك، وعَظْمَةٍ في الأخلاق، مما يمكنهم من فتح البلاد ونشر الإسلام في كافة أنحاء الأرض.

والطعن في الصَّحابة والانتقاص منهم خطورته كبيرة، فمن خلاله يتم لأعداء الدين الطعن في القرآن الكريم وقطعية ثبوته، وفي السُّنَّة النَّبَوِيَّة؛ إذ هم الذين رووها لنا وبلغوها إلينا، وعن طريقهم وصل إلينا هذا الدين، ويجد الأعداء مجالاً للقول بأن الإسلام مبادئ وقواعد يستحيل تطبيقها أو الالتزام بها لأن الذين ربَّاهم النَّبِيُّ ﷺ وعلمهم ارتد أكثرهم عن الإسلام.

ولذلك من يطعن فيهم إنما يريد الطعن بقائدهم ومعلمهم ﷺ، والتشكيك في المُسَلِّمَات، وإبطال السُّنَّة التي وصلت من طريقهم، ومن ثمَّ هدم الدين الإسلامي، فالدفاع عن الصَّحابة إنما هو دفاع عن الإسلام.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث إذ نرى كيف جمعوا القرآن وحفظوه ونقلوه إلينا، وكيف تلقوا السُّنَّة وحفظوها من الضياع، ومن أوهام الرواة وافتراءات الوضاعين، وكيف صبروا في دعوتهم إلى الله وما لقوه من الأذى في ذلك حتى نشروا الإسلام وفتحوا القلوب والبلاد.

ولذلك فحقوقهم علينا من أوجب الحقوق، وقد بينت في هذا البحث: علو مكانتهم، وما ورد في فضلهم، وإثبات عدالتهم، وحفظهم وتبليغهم للقرآن الكريم

والسنة النبوية، ومعالم بنائهم الحضاري، وحقوقهم وما يجب على أمة الإسلام تجاههم،  
وذكرت ذلك على نحو هذه الخطة:

### خطة البحث:

- قسّمت البحث بعد هذه المقدمة: إلى تمهيد وستة أبواب وخاتمة.
- **تمهيد:** وفيه التعريف بالصحابة في اللغة والعرف والاصطلاح.
  - **الباب الأول: فضل الصحابة ومكانتهم،** ويشتمل على ثلاثة فصول:
    - **الفصل الأول: ما ورد في فضلهم وعلو مكانتهم،** وفيه ثلاثة مباحث:
      - المبحث الأول: ما ورد من القرآن في فضلهم.
      - المبحث الثاني: ما ورد من السنة في فضلهم.
      - المبحث الثالث: أقوال السلف والعلماء في فضلهم.
    - **الفصل الثاني: مناقب الصحابة ومآثرهم،** وفيه أربعة مباحث:
      - المبحث الأول: ما أيد الله به الصحابة وأكرمهم به، وفيه ثلاثة مطالب:
        - المطلب الأول: إمداد الله للصحابة بالملائكة.
        - المطلب الثاني: رؤية بعض الصحابة للملائكة.
        - المطلب الثالث: بعض الكرامات التي حصلت لهم.
        - المطلب الرابع: البركة في طعامهم ورزقهم.
      - المبحث الثاني: ما أنزل الله من القرآن على لسانهم أو كان موافقا لهم.
      - المبحث الثالث: قوة إيمان الصحابة.
  - **الفصل الثالث: عدالة الصحابة،** وفيه خمسة مباحث:
    - المبحث الأول: معنى العدالة لغة واصطلاحاً.

- المبحث الثاني: المراد بعدالة الصحابة.
- المبحث الثالث: الإجماع على عدالتهم.
- المبحث الرابع: النهي عن سب الصحابة وانتقاصهم.
- المبحث الخامس: حكم من يسب الصحابة.

• **الباب الثاني: تلقي الصحابة للقرآن الكريم وعنايتهم بضبطه ونقله، ويشتمل على خمسة**

فصول:

- **الفصل الأول: حفاظ القرآن ورواته من الصحابة.**
- **الفصل الثاني: جمع الصحابة للقرآن.**
- **الفصل الثالث: جهود الصحابة في تعليم القرآن ومنهجهم فيه، وفيه:**

- ١- إقراء الناس للقرآن
- ٢- الجمع بين العلم والعمل
- ٣- إرسال عمر القراء إلى أهل الشام
- ٤- تكريم حفاظ القرآن
- ٥- عقوبة من يثير شبهات للناس في القرآن

**الفصل الرابع: تدبر الصحابة للقرآن.**

- **الفصل الخامس: تعليمهم أخلاق وآداب حامل القرآن.**

• **الباب الثالث: جهود الصحابة في حفظ السنة النبوية تحملاً وأداءً، ويشتمل على أربعة**

فصول:

- **الفصل الأول: حرص الصحابة على سماع الحديث عن النبي ﷺ وحفظه**

**وضبطه وتبليغه وفيه تسعة مباحث:**

- المبحث الأول: التناوب في الحضور إلى مجلس النبي ﷺ، وتحديث بعضهم لبعض.
- المبحث الثاني: شدة التحري والتثبت في الرواية.
- المبحث الثالث: إقلال الصحابة من الرواية وأسبابه.
- المبحث الرابع: الصحابة المكثرون للرواية وعددهم.
- المبحث الخامس: رحلة الصحابة في طلب الحديث.
- المبحث السادس: تحديث الناس بما يعرفون.
- المبحث السابع: مقاومة الصحابة للوضع.
- **الفصل الثاني: سؤال الصحابة عن الإسناد واهتمامهم به، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - المبحث الأول: أهمية الإسناد وخصوصية هذه الأمة به.
  - المبحث الثاني: اهتمام الصحابة بعلو الإسناد.
  - المبحث الثالث: سؤال الصحابة عن الإسناد.
- **الفصل الثالث: اهتمام الصحابة بنقد متن الحديث، وفيه مبحثان:**
  - المبحث الأول: معنى نقد المتن وأهميته.
  - المبحث الثاني: نقد الصحابة للمتن ومستندهم فيه.
- **الفصل الرابع: اهتمام الصحابة بكتابة الحديث وفيه ثلاثة مباحث:**
  - المبحث الأول: كتابة الأحاديث النبوية والموقف منها.
  - المبحث الثاني: الجمع بين أحاديث النهي والإباحة.
  - المبحث الثالث: مَنْ عُرِفَ من الصحابة بكتابة الحديث.

• الباب الرابع: معالم البناء الحضاري عند الصحابة، ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: العقيدة عند الصحابة، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الدعوة إلى عبادة الله وحده .
- المبحث الثاني: الاتباع والبعث عن الابتداع.
- المبحث الثالث: الولاء لله ورسوله، والبراءة من الكفر وأهله.
- المبحث الرابع: إيمان الصَّحابة بالقضاء والقدر وموقفهم من الخوض فيه.

الفصل الثاني: تفسير الصحابة للقرآن ومنهجهم فيه، وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: المشتهرون بالتفسير من الصحابة.
- المبحث الثاني: علم الصحابة بالتفسير.
- المبحث الثالث: علمهم بالمكنى والمدنى.
- المبحث الرابع: ورع الصحابة في التفسير.
- المبحث الخامس: أهمية الرجوع إلى تفسيرهم.
- المبحث السادس: منهج الصحابة في التفسير.
- المبحث السابع: تعلم التابعين التفسير عن الصحابة.

• الفصل الثالث: فقه الصحابة واجتهادهم وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: نقل الصحابة لتفاصيل أحكام الشريعة.
- المبحث الثاني: فقهاء الصحابة ومفتوهم.

- المبحث الثالث: المكثرون من الصحابة للفتوى.
- المبحث الرابع: ورع الصحابة في الفتوى.
- المبحث الخامس: الاجتهاد عند الصحابة
- المبحث السادس: أثر فقه الصحابة  
واجتهاداتهم.
- المبحث السابع: موقف العلماء من قول  
الصحابي.
- المبحث الثامن: التوسعة على الأمة باختلافهم.

الفصل الرابع: القضاء عند الصحابة.

الفصل الخامس: اهتمام الصحابة بالسيرة النبوية.

الفصل السادس: عبادة الصحابة.

الفصل السابع: أخلاق الصحابة وآدابهم.

الفصل الثامن: اهتمام الصحابة بالمحافظة على أصول الإسلام ومبادئه، وفيه أحد عشر  
مبحثاً:

- المبحث الأول: المحافظة على الدين.
- المبحث الثاني: المحافظة على النفس.
- المبحث الثالث: المحافظة على العقل.
- المبحث الرابع: المحافظة على العرض.
- المبحث الخامس: المحافظة على المال.
- المبحث السادس: حب الصحابة لرسول الله ﷺ وشدة  
اتباعهم



- المبحث السابع: حرص الصحابة على اجتماع الأمة ووحدها
- المبحث الثامن: العدل والمساواة بين الناس
- المبحث التاسع: اهتمام الصحابة بعمارة المساجد وبنائها
- المبحث العاشر: تحذير الصحابة من الفتن
- **الفصل التاسع: التربية عند الصحابة.**
- **الفصل العاشر: منهج الصحابة في العلم والتعليم** وفيه أربعة مباحث:
  - المبحث الأول: ترغيب الصحابة بالعلم وأدبهم فيه.
  - المبحث الثاني: الجمع بين تعلم العلم والعمل به.
  - المبحث الثالث: تعلم لغة الأعداء.
  - المبحث الرابع: منهج الصحابة في السؤال عن العلم.
- **الفصل الحادي عشر: فتوحات الصحابة ونشرهم للإسلام.**
- **الفصل الثاني عشر: الإدارة عند الصحابة،** وفيه عشرة مباحث:
  - المبحث الأول: وجوب تأمير الأمير.
  - المبحث الثاني: الشورى.
  - المبحث الثالث: النصيحة.
  - المبحث الرابع: الرقابة.
  - المبحث الخامس: إعطاء كل ذي حق حقه.
  - المبحث السادس: تدوين الدواوين.
  - المبحث السابع: إدارة الوقت.

- المبحث الثامن: تحمل المسؤولية.
  - المبحث التاسع: اكتشاف القدرات.
  - المبحث العاشر: حسن الاختيار للولاية.
  - **الفصل الثالث عشر: الاقتصاد عند الصحابة، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - المبحث الأول: الالتزام بمبادئ الإسلام الماليّة.
  - المبحث الثاني: حسن التصرف في بيت المال.
  - المبحث الثالث: عدم توزيع الأراضي على الفاتحين.
  - **الباب الخامس: واجب الأمة نحو الصحابة، ويشتمل على فصول:**
  - **الفصل الأول: محبتهم.**
  - **الفصل الثاني: الدعاء والاستغفار لهم، والترضي عنهم.**
  - **الفصل الثالث: تأويل اجتهاداتهم، والكف عمّا شجر بينهم.**
  - **الفصل الرابع: ذكر محاسنهم، والحذر من انتقاصهم وسبهم.**
  - **الفصل الخامس: إثبات عدالتهم واعتقاد أنهم أفضل الأمة وخيرها.**
  - **الفصل السادس: اتباعهم والافتداء بهم، والاستئنان بسنتهم.**
  - **الفصل السابع: التربية على حب الصحابة.**
  - **الخاتمة، وفيها: أهم نتائج البحث والتوصيات.**
- وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه، واتّبعوا النور الذي أنزل معه، والحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه: عمر بن عبد المجيد البيانوني



## ملهتد:

وفيه التعريف بالصَّحابة في اللغة، والعرف، والاصطلاح، وسبب التعميم في تعريف الصَّحابة .

### أولاً: معنى الصحبة في اللغة:

قال الجوهري: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً بالضم، وصَحَابَةٌ بالفتح. وجمع الصاحب صَحْبٌ وصُحْبَةٌ، وصحابٌ، وصُحبانٌ. والأصحابُ جمع صحب. والصَّحابة بالفتح الأصحاب، وهو في الأصل مصدر، وجمع الأصحاب أصحاب.

وأما الصُّحبة والصَّحْب فاسمان للجمع، وقال الأخفش: الصَّحْبُ جمع، خلافاً لمذهب سيويه، ويقال: صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهاد وناصر وأنصار ومن قال صاحب وصُحبة فهو كقولك: فاره وفُرْهَة وغلأمٌ رائق والجمع رُوقة، والصُّحْبَةُ مصدر قولك صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: وصاحبه عاشره، والصَّحْب جمع الصاحب، مثل ركب وراكب، والأصحاب: جماعة الصَّحْب مثل فَرخ وأفراخ، والجمع أصحاب وأصحابيُّ وصُحبان، مثل شابِّ وشُبان، وصحاب مثل جائع وجِيع، وصَحْب وصَحابة وصِحابة، حكاها جميعاً الأخفش<sup>(٢)</sup>.

قال ابن فارس: (صحب) أصل واحد يدلُّ على مقارنة شيء ومقاربتة من ذلك الصاحب<sup>(٣)</sup>.

(١) - الصحاح في اللغة ١: ٣٨٠.

(٢) - لسان العرب ١: ٥١٩.

(٣) - معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٣٥.

وقال ابن سيده: وصاحبه: عاشره. والصاحب: المعاصر<sup>(١)</sup>.

فكلام أهل اللغة ليس فيه اشتراط طول الملازمة في الصحبة أو ذكر حد معين فقد ذكروا الملازمة والمرافقة وهذا يطلق على القليل والكثير.

ولذلك قال ابن تيمية: والصحبة اسم جنس يقع على من صحب النبي ﷺ قليلاً أو كثيراً<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول صحابي مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيراً، كما أن القول مكلم ومخاطب، وضارب مشتق من المكاملة، والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك، قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: معنى الصحبة في العرف:

ومعنى الصحاب في العرف: هو من طالت صحبته، وكثرت ملازمته على سبيل الاتباع. قال الخطيب البغدادي: ومع ذلك فقد تقرر للأمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاءه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة، ومشى معه خطى، وسمع منه حديثاً، فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في

(١) - المحكم ١: ٤٦٩.

(٢) - مجموع الفتاوى ٤: ٤٦٤.

(٣) - الكفاية في علم الرواية ١: ١٢٧.

عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله، ومع هذا فإنَّ خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به، وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: معنى الصَّحابة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في المراد بالصَّحابي، فعن أحمد بن حنبل: أنه كل من صحبه سنة، أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه، فهو من أصحابه.

وقال البخاري: «من صحب النَّبي ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه». وهذا الذي ذكره البخاري وأحمد هو الراجح وهو قول الجمهور من المحدثين. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصَّحابي: من لقي النَّبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، فدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالس، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيذان: من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: به، يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة، كقول من قال: لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أو صاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذا من اشترط في صحة الصحبة: بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت.

وأطلق جماعة أن من رأى النَّبي فهو صحابي، وهو محمول على من بلغ سن التمييز إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه، نعم يصدق أن النَّبي رآه فيكون صحابياً

(١) - الكفاية في علم الرواية ١: ١٢٧.

(٢) - الإصابة في تمييز الصحابة ١: ١٠.

من هذه الحيشية، ومن حيث الرواية يكون تابعياً<sup>(١)</sup>.

وقال الأمدى في ترجيح هذا القول: **ويدل على ذلك ثلاثة أمور:**

**الأول:** أن صاحب اسم مشتق من الصحبة، والصحبة تعم القليل والكثير، ومنه يقال: صحبته ساعة وصحبته يوماً وشهراً، وأكثر من ذلك كما يقال: فلان كلمني وحدثني وزارني، وإن كان لم يكلمه ولم يحدثه ولم يزره سوى مرة واحدة.

**الثاني:** أنه لو حلف أنه لا يصحب فلاناً في السفر أو ليصحبه، فإنه يبر ويحنث بصحبته ساعة.

**الثالث:** أنه لو قال قائل: صحبت فلاناً فيصح أن يقال: صحبته ساعة أو يوماً أو أكثر من ذلك، وهل أخذت عنه العلم ورويت عنه أو لا؟ ولولا أن الصحبة شاملة لجميع هذه الصور ولم تكن مختصة بحالة منها لما احتيج إلى الاستفهام<sup>(٢)</sup>.

**رابعاً: سبب التعميم في تعريف الصحابي:**

ذكر العلماء أن ذلك نظراً إلى أصل فضل الصحبة، ولشرف منزلة النبي ﷺ، ولأن لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن، فتظهر آثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة، ببركته ﷺ، ويشهد لهذا ما ورد عن عبد الله بن بسر قال: قال رسول الله ﷺ: « طوبى لمن رأى من رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي »<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام السبكي: وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف برؤية سيد الصالحين؟! فإذا رآه مسلم ولو لحظة، انطبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيئ

(١) - الإصابة في تمييز الصحابة ١: ١٢.

(٢) - الإحكام للأمدى ٢: ٩٢.

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک، في کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين، (٧٠٩٥). وقال: هذا حديث قد روي بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك ﷺ، مما علونا في أسانيد منها وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٢٨٥) عن أنس بن مالك، باختلاف يسير. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٨٣٨) عن نفيير بن جبیر ﷺ.

للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم، أشرق عليه وظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه<sup>(١)</sup>.



---

(١) - الإبهاج في شرح المنهاج ١: ١٥، وانظر: لمحات من تاريخ السنّة وعلوم الحديث: ٤٩، وعدالة الصّحابة للشرييني:



## الباب الأوّل

### فضل الصّحابة ومكانتهم

#### الفصل الأوّل

#### ما ورد في فضلهم وعلو مكانتهم

#### المبحث الأوّل

ما ورد من القرآن في فضل الصّحابة ﷺ:

١- قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْظَهُ فَاُتْرَهِ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الْزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ الفتح.

فقد ذكر الله سبحانه في هذه الآية: شدتهم على الكفار، وتراحمهم بين بعضهم، وما هم عليه من العبادة، وأن الكفار هم الذين يغتاطون منهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: يقول فكذلك مثل محمد ﷺ وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا

(١) - جامع البيان ٢٢: ٢٦١.

ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جلّ ثناؤه صفته<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الألويسي: والمراد بالذين معه عند ابن عباس: من شهد الحديبية،

وقال الجمهور: جميع أصحابه رضي الله تعالى عنهم<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشيخ ابن عاشور: والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية،

وإن كانوا هم المقصود ابتداء فقد عُرفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله<sup>(٣)</sup>.

والذي عليه المفسرون وأهل العلم أن (من) في الآية: لبيان الجنس، فيكون

المعنى كما قال ابن الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، أي من جنس الصّحابة<sup>(٤)</sup>.

قال القرطبي: وليست من في قوله: (منهم) مبعضة لقوم من الصّحابة دون

قوم، ولكنها عامة مجنسة مثل قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الحج:

٣٠. لا يقصد للتبويض لكنه يذهب إلى الجنس أي: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان

إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها الزنى والربا وشرب الخمر والكذب فأدخل

(من) يفيد بها الجنس وكذا (منهم) أي: من هذا الجنس، يعني: جنس الصّحابة، ويقال:

أنفق نفقتك من الدراهم أي: اجعل نفقتك هذا الجنس<sup>(٥)</sup>.

وكذا قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «من هذه لبيان الجنس»<sup>(٦)</sup>.

وأول الآية لم يذكر فيها إلا من آمن وعمل الصالحات، فهذه الصفات لا يتصف

بها غير المؤمنين، والمؤمنون كلهم أهل للمغفرة والثواب، ولو أن الآية شملت المنافقين

(١) - جامع البيان ٢٢: ٢٧٠.

(٢) - روح المعاني ١٣: ٢٧٦.

(٣) - التحرير والتنوير ١٣: ٤٩٣.

(٤) - زاد المسير ٥: ٣٩٥، وانظر تفسير ابن كثير ٧: ٣٦٣، وتفسير الرازي ١٤: ١٦١، والكشاف ٦: ٣٦١، وروح المعاني ١٩: ٢٤٠.

(٥) - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢٩٥.

(٦) - تفسير القرآن العظيم ٧: ٣٦٣.

لصح قولنا بأن «منهم» للتبعيض، ولكنها لم تذكر إلا صنف المؤمنين الصادقين والذين وصفهم الله بقوله: ﴿رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

٢- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا

فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ الفتح.

في هذه الآية تشریف وإعلام برضى الله تعالى عنهم، قال الإمام الطبري رحمه الله

تعالى: يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ ورسول الله بالحديبية حين بايعوه على

مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا

عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً،

فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه

وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب

ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حزم: «فمن أخبرنا أن الله ﷻ علم ما في قلوبهم، ورضي الله عنهم

وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة ولقول

رسول الله ﷺ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر<sup>(٣)</sup>،

(١) - جامع البيان ٨: ٨٧٧٨.

(٢) - الصارم المسلول: ٥٧٧.

(٣) - روى مسلم في كتاب التوبة، باب صفات المنافقين وأحكامهم، (٧٢١٥): فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَوْ كَلَّكُم مَّغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ). فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ:

وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ صَالِتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبِيكُمْ. قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ صَالَةَ لَهُ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ

الْمَنَاقِبِ، بَابِ فِيمَنْ سَبَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، (٤٢٣٧): (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ).

ولإخباره عليه السّلام أنه لا يدخل النار أحد شهد بدرًا»<sup>(١)</sup>.

٣- وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ التوبة.

يخبر الله تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدّ لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم.

قال الشعبي: السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار: من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية.

وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبليتين مع رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وروي عن حميد بن زياد أنه قال: قلت: يوماً لمحمد بن كعب القرظي: ألا تحبني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم من الفتن فقال لي: إن الله تعالى قد غفر لجميعهم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم فقلت له: في أي موضع أوجب لهم الجنة؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ الآية فتعلم أنه تعالى أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً قلت: وما ذلك الشرط؟ قال: شرط عليهم أن يتبعوهم بإحسان وهو أن يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك أو يقال: هو أن يتبعوهم بإحسان في القول وأن لا يقولوا فيهم سوءاً وأن لا يوجهوا الطعن فيما أقدموا عليه، قال حميد بن زياد: فكأنني ما قرأت هذه الآية قط<sup>(٣)</sup>.

(١) - الفصل في الملل والأهواء النحل: ١: ٤٩٥.

(٢) - تفسير القرآن العظيم ٤: ٢٠٣.

(٣) - تفسير الرازي ٨: ١٢٩، وروح المعاني ٦: ٩.

وقال ابن الجوزي: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعمُّ الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به <sup>(١)</sup>.

٤- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِمَّا هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر.

عن قتادة أنه قال في هذه الآية: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها <sup>(٢)</sup>.

٥- وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الأحزاب: ٢٣.

نزلت هذه الآية في أنس بن النضر رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي أنس بن النضر الذي سميت له، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بداراً، فقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أشهدني الله مشهداً بعده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع، فهاب أن يقول غيرها، فلما كان من العام المقبل شهد أحداً قال: فلقية سعد بن معاذ فقال: مهيم. فقال له: يا أبا عمرو إني أجد ريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل، فوجد به بضعة وثمانون من رمية وطعنة وضربة، قالت أخته: فما عرفت أخي إلا ببنايه، وكان حسن البنان فنزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ

(١) - زاد المسير ٣: ٢٢٥.

(٢) - جامع البيان ٢٣: ٢٨١.

تَحَبُّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴿١﴾ فكان نرى أنها نزلت فيه وفي أصحابه .  
 وقال الإمام الألويسي: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع  
 الرسول ﷺ والمقاتلة للأعداء، وقيل: من الطاعات مطلقاً، ويدخل في ذلك ما ذكر  
 دخولاً أولاً<sup>(٢)</sup> .

٦- وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
 وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ التوبة

فقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ (معه) في موضع الحال من (الذين) لتدل على  
 أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه لأنهم آمنوا به عند دعوته إليهم،  
 وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه<sup>(٣)</sup> .

٧- وقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا  
 مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ  
 إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ  
 وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ آل عمران.

يخبر تعالى عن الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو - أبي  
 سفيان ومن كان معه من مشركي قريش - وذلك بعد انصرافهم من غزوة أحد وهم  
 مشخون بالجراح فاستجابوا لدعوة الرسول ﷺ، ولم يبالوا بتخويف الناس لهم من جمع  
 قريش، بل لم يزد لهم ذلك إلا يقيناً وتوكلاً عليه سبحانه، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل

(١) - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

(٢٥٩٥)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (٣٥٢٣).

(٢) - روح المعاني ١١: ١٦٧.

(٣) - التحرير والتنوير ٦: ٣٥٨.

٨- وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ المجادلة.

يخبر تعالى عنهم أنهم لا يوالون من عادى الله ورسوله ولو كانوا من أقرب الناس إليهم، قال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت على أقوال:

**أحدها:** نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرّعة الأولى، فقال: متّعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمزة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود.

**والثاني:** أنها نزلت في أبي بكر الصّديق، وذلك أن أبا قحافة سبّ رسول الله ﷺ فصكّه أبو بكر الصديق صكّةً شديدةً سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أو فعلته؟ قال: نعم. قال: فلا تعدّ إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج.

**والثالث:** نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله، فشرّب رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشرّبها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمّك! فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ائذن

(١) - انظر جامع البيان ٧: ٣٩٩.

لي في قتل أبي ، قال: فقال: رسول الله ﷺ: ارفق به، وأحسن إليه ، فنزلت هذه الآية قاله السدي.

**والرابع:** أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل واختاره الفراء والزجاج<sup>(١)</sup>.

٩- وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَكْبَرَ دَرَجَةً

مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ الحديد: ١٠.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعدهم الله الجنة بإفراقهم في سبيله، وقاتلهم أعداءه.

وعن مجاهد وقتادة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة<sup>(٢)</sup>.

فهذه الآية نص في أن الله تعالى وعد جميع الصحابة الجنة، وأنهم لا يدخل أحد منهم النار؛ إلا أن درجاتهم تتفاوت بحسب إيفاقهم وسابقتهم، ودليل عدم دخول أحد منهم النار قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ومن وعده الله الحسنى فإنه لا يمكن أن يدخل النار، بل ولا يسمع صوتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنبياء.

وبناءً على ما جاء في هذه الآيات، ذهب ابن حزم رحمه الله إلى أن الصحابة كلهم من أهل الجنة، فقد قال: ثم نقطع على أن كل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح<sup>(٣)</sup>.

(١) - زاد المسير ٦: ٣.

(٢) - جامع البيان ٢٣: ١٧٧.

(٣) - الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١: ٤٩٥.





## المبحث الثاني

### ما ورد من السنة في فضل الصحابة

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ) <sup>(١)</sup>.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ) <sup>(٢)</sup>.

قال الإمام النووي رحمه الله: اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم، والمراد أصحابه، والصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة فهو من أصحابه، ورواية (خير الناس) على عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته <sup>(٣)</sup>.

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ نَفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) <sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣٧٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة صلى الله عليه وسلم (٤٦٠١).

(٢) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣٧٧)، واللفظ له، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة صلى الله عليه وسلم (٤٥٩٩) و(٤٦٠٣).

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي ٨: ٣١٤.

(٤) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذًا خليلاً (٣٣٩٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة صلى الله عليه وسلم (٤٦١٠).

النصيف بمعنى النصف، والمعنى: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الأجر والفضل ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه، لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة<sup>(١)</sup>، قال الحافظ ابن حجر: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية (من أنفق من قبل الفتح وقاتل) فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيماً لشدة الحاجة إليه، وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا الخطاب موجّه منه ﷺ إلى الصحابة الذين لم يدركوا فضل السابقين، ينهاهم عن سب الصحابة السابقين، فقد ورد في سبب الحديث عن أبي سعيد قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه<sup>(٣)</sup>، فكيف بمن جاء بعدهم ممن لم ينل شرف الصحبة؟

---

(١) - عون المعبود ١٠: ١٧٥، قال ابن الأثير الجزري: والمد في الأصل: ربُع الصاع وإنما قدّره به لأنه أقل ما كانوا يتصدّقون به في العادة، ويروى بفتح الميم وهو الغاية، وقد تكرر ذكر (المد) بالضم في الحديث وهو رطلٌ وتُلت بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز وهو رطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق. وقيل: إن أصل المد مُقدّر بأن يمدّ الرجل يديه فيملاً كفيه طعاماً. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٦٤٨.

(٢) - فتح الباري ٧: ٣٤.

(٣) - تحفة الأحوذى ٩: ٣٠٢، والحديث رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٤٦١).

قال الحافظ ابن حجر: فنهى بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى<sup>(١)</sup>.

٣- وعن عبد الله بن مغلل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)<sup>(٢)</sup>.

قال في تحفة الأحوذى: في أصحابي: أي في حقهم. والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبواهم.

فبحبي أحبهم: أي بسبب حبه إياي أحبهم أو بسبب حبي إياهم أحبهم. ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم: أي إنما أبغضهم بسبب بغضه إياي<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما تُوعَدُ، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبَت أتى أصحابي ما يُوعَدُونَ، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُونَ)<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام النووي رحمه الله: معنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية في السماء، فالسما باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت يوم القيامة وهنت السماء، فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله رضي الله عنه: (وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما

(١) - فتح الباري ٧: ٣٤.

(٢) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ (٣٧٩٧) وقال: حديث حسن غريب. وأحمد في المسند (١٦٨٠٣) و (٢٠٥٤٩) و (٢٠٥٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨٣).

(٣) - تحفة الأحوذى ٩: ٣٠٣.

(٤) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤٥٩٦).

يوعدون) أي: من الفتن والحروب، وارتداد مَنْ ارتدَّ مِنَ الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك، وقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: (وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه: ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقد استدل الإمام ابن القيم بهذا الحديث على وجوب اتباع الصَّحابة فقال: ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمانة لهم، وحرزا من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمانة للصحابة وحرزا لهم، وهذا من المحال<sup>(٢)</sup>.

٥- وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، فَهَؤُلَاءِ خَيْرُ أَصْحَابِي، وَأَصْحَابِي كُلُّهُمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ)<sup>(٣)</sup>.

(١) - صحيح مسلم بشرح النووي ٨: ٣٠٧.

(٢) - إعلام الموقعين ٤: ٤٥٩.

(٣) - رواه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (١٠٤) و (٢٢٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٨٩٧)، والآجري في الشريعة (١١٣٥) باختلاف يسير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ١٦، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

٦- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مهما أوتيتم من كتاب الله تعالى فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأياها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة) <sup>(١)</sup>.

٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي، فأوحى الله إلي: يا محمد، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى) <sup>(٢)</sup>.

٨- وَيَبْنَ رضي الله عنه أول زمرة تدخل الجنة فقال: (أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: (المُهَاجِرُونَ: يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْحَزَنَةُ: أَوْ قَدْ حُوسِبْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: بَأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ؟ وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى مُنْنَا عَلَى ذَلِكَ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَقِيلُونَ فِيهَا أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ) <sup>(٣)</sup>.

قال رضي الله عنه: (فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي

(١) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١١٣)، والخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (١٠١)، وابن بطّة في الإبانة الكبرى (٧٠٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢: ٣٥٩.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (١٠٢)، وفي الفقيه والمتفقه (٤٦٠)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٣٨٣، (٤٥٠٧).

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک (٢٣٤٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٩٢).

سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي. فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١).

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: (أَنَا وَالَّذِينَ مَعِيَ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ) (٢).

١٠- وعنه رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ) (٣).

١١- ومن ذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَعَلَ وَصِيَّتَهُ لِأُمَّتِهِ حَفْظَهُ فِي صَحَابَتِهِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ، وَذَكَرَ مُحَاسِنَهُمْ وَالْكَفَّ عَنْ تَنَاوُلِهِمْ بِسُوءٍ:  
فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ رضي الله عنه النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا، فَقَالَ: (أَحْسِنُوا إِلَيَّ أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوتُهُمْ) (٤).

١٢- وأخبر رضي الله عنه أَنَّ صَحَابَتَهُ فِي الدُّنْيَا هُم صَحَابَتُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (٥).

١٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُونَ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُونَ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ

(١) - رواه الحاكم في المستدرک (٢٣٥٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٩١).

(٢) - رواه الإمام أحمد (٨١٢٧)، واللفظ له، وأبو بكر بن الخلال في كتابه السنَّة (٦٦٩)، والآجري في الشريعة (١١٢٩)، وأبو نعيم في تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة (٣).

(٣) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٣٢٩٣).

(٤) - رواه الإمام أحمد (١٧٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٢١٩)، والترمذي في باب ما جاء في لزوم الجماعة، (٢٠٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه في باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد (٢٣٥٤) بلفظ: (أَحْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي...)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٩).

(٥) - رواه الإمام أحمد (٢١٧٠٨)، والطبراني في مسند الشاميين (١٠٧١).

أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو  
فَتَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟  
فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ) (١).

١٤- وعن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي، وَاخْتَارَ  
لِي أَصْحَابًا، فَجَعَلَ لِي بَيْنَهُمْ وَزُرَّاءَ، وَأَنْصَارًا، وَأَصْهَارًا، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) (٢).



### المبحث الثالث

#### أقوال السلف والعلماء في فضلهم

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ  
خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ  
مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ زُرَّاءَ نَبِيِّهِ، يَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ،  
فَمَا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ» (٣).

وقال أيضاً: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبر  
هذه الأمة قلوباً وأعماقها علماً وأقلها تكلُّفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٣٧٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب  
فضل الصحابة رضي الله عنهم (٤٥٩٨).

(٢) - رواه الطبراني في الكبير (١٣٧٩٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٤٩) و (٤٧٥٥) و (٤٧٨١) والخطيب  
البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١٣٦٤)، وابن أبي عاصم في السنن (٨٣٣)، وابن الغطريف في جزءه (٣٧)،  
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٠٤).

(٣) - رواه أحمد في المسند (٣٤١٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواه الطبراني في الكبير (٨٥٠٤)، وفي  
الأوسط (٣٧٤٠) والبزار (١٦٠٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤١)، والبغدادي في الفقيه والمتفقه (٤٣٩)،  
والطيالسي في مسنده (٢٤٠)، والبيهقي في الاعتقاد (٢٩٧)، والآجري في الشريعة (١١٢٧).

الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن زيد ﷺ: «والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح»<sup>(٣)</sup>.

وقال بعضهم للحسن البصري رحمه الله: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ، فبكى الحسن، ثم قال: «ظهرت منهم علامات الخير في السياء والسمت، والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشرّبهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين في رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يجفوا ولم يجاوزوا حكم الله في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١١٨)، ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ١: ٣٠٥ بلفظ: من كان مستنأ فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد، إلى آخر الرواية.

(٢) - رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، (١٨) و (١٦٧٧)، ورواه ابن ماجه في باب فضل أهل بدر (١٥٨) بلفظ: خير من عمل أحدكم عمره.

(٣) - رواه أبو داود في كتاب السنّة، باب في الخلفاء (٤٠٣١)، وأحمد في المسند (١٥٤٣)، وفي فضائل الصحابة (٨٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٦).

(٤) - رواه أبو نعيم في الحلية ٢: ١٥٠.



وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: «من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ﷺ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «وهم فوقنا في كلِّ علمٍ واجتهادٍ وورعٍ وعقلٍ، وأمرٍ أُستدرك به علمٌ واستنبط به، وآراؤهم لنا أهدى وأولى بنا من آرائنا لأنفسنا»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الحافظ أبو زُرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق وما جاء به حق، وإنما بلغنا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يهدموهم ليبتلوا الكتاب والسنة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتبه، فإن تاب

---

(١) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٩: ٥٠٢ و ٤٢: ٥٣٠، والآجري في الشريعة (١٢٠٨)، وابن حبان في الثقات ٩: ٨٧، بهذا اللفظ. ورواه الآجري أيضاً (١٧٤٨) بلفظ: ومن قال الحسنی في أصحاب محمد ﷺ، فقد برئ من النفاق، وكذلك اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٨٩٦).

(٢) - قال الشافعي ذلك في الرسالة القديمة بعد ذكر الصحابة والثناء عليهم، كما في المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي رقم (٢١)، وذكر هذه المقولة ابن الصلاح في مقدمته: ٦٥، وابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٦: ٤٣، وفي مجموع الفتاوى ١: ٣٢٢، وابن القيم في هداية الحيارى: ١٢٦، وفي إعلام الموقعين ١: ٨٠.

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية، (١٠٤)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٨: ٣٢، وذكره المزي في تهذيب الكمال ١٩: ٩٦.

قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله: «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله: «وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيوان، فحبهم أن يعتقد فضائلهم، ويعترف لهم بها، ويعرف لكل ذي حق منهم حقه، ولكل ذي غنى في الإسلام منهم غناه، ولكل ذي منزلة من رسول الله ﷺ منزلته، وينشر محاسنهم، ويدعو بالخير لهم، ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم، ولا يتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث ما لا يحسن عنه، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه مما كان بينهم».

وعن أبي بكر بن عياش في أوصاف أهل السنة والجماعة: «ومن كف عن أصحاب النبي ﷺ فيما اختلفوا فيه، فلم يذكر أحدا منهم إلا بخير»<sup>(٣)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: «باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم، كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ، لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن»<sup>(٤)</sup>.

(١) - طبقات الخنابلة ١: ٢٤.

(٢) - تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم: ١٧٥.

(٣) - شعب الإيوان ٤: ٤٢.

(٤) - الكفاية في علم الرواية: ١١١.

وقال أيضاً: «فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحدهم ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط عدالته، وقد برأهم الله تعالى من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها، من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يحيئون من بعدهم أبد الأبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء، وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم، وسفك بعضهم دماء بعض، فصار أهل تلك الحروب ساقطي العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة وجب البحث عن أمور الرواة منهم، وليس في أهل الدين والمتحقيقين بالعلم من يصرف إليهم جرماً لا يحتمل نوعاً من التأويل وضرباً من الاجتهاد، فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء المجتهدين في تأويل الأحكام، لإشكال الأمر والتباسه، ويجب أن يكونوا على الأصل الذي قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله «فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله ﷻ، وما سن وما شرع وحكم وقضى ونذب وأمر ونهى وأدب، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعانية رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه

(١) - الكفاية في علم الرواية: ١١٨.

واستباطهم عنه، فشرّفهم الله ﷻ بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسأهم عدول الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ البقرة: ١٤٣. ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله: وسطاً قال: عدلاً، فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة. وندب الله ﷻ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتراء بهم فقال: ﴿ **وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى** ﴾ النساء: ١١٥. <sup>(١)</sup>

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله عن الصحابة: «سمحت نفوسهم ﷻ بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان وهاجروا الإخوان وقتلوا الآباء والإخوان وبذلوا النفوس صابرين وأنفقوا الأموال محتسبين وناصبوا من ناوهم متوكلين، فآثروا رضاء الله على الغناء، والذل على العز، والغربة على الوطن، هم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون حقاً، ثم إخوانهم من الأنصار أهل المواسة والإيثار أعز قبائل العرب جاراً، واتخذ الرسول ﷺ دارهم أمناً وقراراً، الأعفاء الصبر والأصدقاء الزهر ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ الحشر: ٩. فمن انطوت سريرته على محبتهم ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم وتبرأ ممن أضمر بغضهم فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ الحشر. فالصحابة ﷻ هم الذين تولى الله شرح صدورهم فأنزل السكينة على قلوبهم وبشرهم برضوانه ورحمته فقال: ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ** ﴾ التوبة: ٢١. جعلهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله فجعلهم مثلاً للكتابين لأهل التوراة والإنجيل خير الأمم أمته وخير القرون قرنه يرفع الله من أقدارهم إذ أمر الرسول ﷻ

(١) - الجرح والتعديل ١: ٧.

بمشاورتهم لما علم من صدقهم وصحة إيمانهم وخالص مودتهم ووفور عقلهم ونبالة رأيهم وكمال نصيحتهم وتبين أمانتهم رضي الله عنهم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عروة الزيري: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الفتح.

فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام مالك بن أنس: إنَّها هؤولاء أقوامٌ أرادوا القدحَ في النَّبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام أحمد بن حنبل: من انتقصَ أحداً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، أو أبغضه لحدثٍ كان منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعاً حتى يترحمَ عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً<sup>(٤)</sup>.

وقيل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إنَّها هنا قوماً يلعنون معاويةَ وابنَ الزبير ﷺ، فقال: على أولئك الذين يلعنون لعنةُ الله<sup>(٥)</sup>.

(١) - تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة للأصبهاني: ١. الإمامة والرد على الرافضة: ٢٠٩، نقلاً عن الاستنصار للذب عن الصحابة الأخيار: ١٢.

(٢) - رواه أبو بكر بن الخلال في السُّنة (٧٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣: ١١٣، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢٩٧، والبحر المحيط ١٠: ١٠١.

(٣) - الصارم المسلول: ٥٨٠.

(٤) - شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة (٢٨١)، وطبقات الحنابلة ١: ٢٤٥، ومناقب أحمد لابن الجوزي (٢١٠)، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد: ٣١.

(٥) - تاريخ دمشق ٥٩: ٢٠٦.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فإن الله أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتلون<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره<sup>(٢)</sup>.

وقال الشافعي: وقد أثنى الله على الصحابة في التوراة والإنجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم<sup>(٣)</sup>.

وعن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: اسمع يا زهري، من مات مُحِبًّا لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وشهد للعشرة بالجنة وترحم على معاوية كان حقيقاً على الله أن لا يُناقِشَهُ الحساب<sup>(٤)</sup>.

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: من أحسن الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم، أو أبغضه لشيء كان منه، فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم، ويكون قلبه لهم سليماً<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في وصفهم: أفقه الأمة، وأبرها وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً، وأصحهم قصوداً، وأكملهم فطرةً، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً، الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ، فنسبة آرائهم وعلومهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل؛ فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم

(١) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٩١٣).

(٢) - رواه ابن ماجه في باب فضل أهل بدر (١٥٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٠).

(٣) - هداية الحيارى: ١٢٦.

(٤) - تاريخ دمشق ٥٩: ٢٠٧.

(٥) - سبل الهدى والرشاد ١١: ٤٥٠، والشفا ٢: ٥٤.

إلى قدرهم <sup>(١)</sup> .

كما ترك الأئمة الرواية عمن ينال من الصحابة ويتقص منهم، وعدوا ذلك جرحاً في روايته، قال يحيى بن معين رحمه الله في تليد بن سليمان المحاربي: «كذاب كان يشتم عثمان وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» <sup>(٢)</sup> .

وقال الحاكم الكرايسي في يونس بن خباب الأسيدي: «تركه يحيى - يعني ابن معين - وعبدالرحمن - يعني ابن مهدي - وأحسنا في ذلك لأنه كان يشتم عثمان، ومن سب أحداً من الصحابة فهو أهل أن لا يروى عنه» <sup>(٣)</sup> .

وعن محمد بن صبيح ابن السماك قال: «علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام، وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى عليه السلام، فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد ﷺ، وقد علمت من أين أتيت، لم يشغلك ذنبك، أما لو شغلك ذنبك لحفت ربك، لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين، فكيف لم يشغلك عن المحسنين، أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين، ولرجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين، فمن ثم عبت الشهداء والصالحين، أيها العائب لأصحاب محمد ﷺ لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصيام نهارك، مع سوء قولك في أصحاب محمد ﷺ، فويحك! لا قيام ليل ولا صوم نهار وأنت تتناول الأختيار، فأبشر بما ليس فيه البشري إن لم تتب مما تسمع وترى، ويحك! هؤلاء شرفوا في أحد، وهؤلاء جاء العفو عن الله تعالى فيهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ

إِنَّمَا أَسْتَلْزَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ آل عمران: ٥٥. فما تقول

فيمن عفا الله عنهم؟ نحن نحتج بخليل الرحمن إبراهيم، قال: ﴿فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي

(١) - إعلام الموقعين ١: ١٠١.

(٢) - تهذيب التهذيب ١: ٤٤٧، وتهذيب الكمال ٤: ٣٢٢، وتاريخ ابن معين ١: ٣٩٤، وتاريخ بغداد ٣: ٢٢٧.

(٣) - تهذيب التهذيب ١١: ٣٨٥.

وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ إبراهيم. فقد عرض العصا للغفران فلو قال:

فإنك عزيزٌ حكيم، أو عذابك عذابٌ أليم، فبم تحتج يا جاهل إلا بالجاهلين، شر الخلف خلف شتم السلف، والله لو اُحدٌ من السلف خير من ألفٍ من الخلف»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لما دخل أصحاب رسول الله ﷺ نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن تيمية: ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبهوا به هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك<sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه المعافى بن زكريا الجريري في كتابه: المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٢: ٣٩٢.

(٢) - هداية الحيارى: ١٢٦.

(٣) - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١: ٩. وذكر فيه أوجهاً من الشبه بينهم وبين اليهود والنصارى.



## الفصل الثاني

### مناقب الصحابة وآثرهم

المبحث الأول: ما أيد الله به الصحابة وأكرمهم به

المطلب الأول: إمداد الله للصحابة بالملائكة.

المطلب الثاني: رؤية بعض الصحابة للملائكة.

المطلب الثالث: بعض الكرامات التي حصلت لهم.

المطلب الرابع: البركة في طعامهم ورزقهم.

### المطلب الأول: إمداد الله للصحابة بالملائكة

أمد الله تعالى صحابة نبيه ﷺ بجنود من عنده ينصرون رسالته، ويعزّون دينه، فأمدهم سبحانه وتعالى يوم بدر ويوم أحد، وفي غزوة الأحزاب وحنين بالملائكة تقاتل معهم في صفوف المشركين، فقد قال الله تعالى عن يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ الأنفال. وقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آءِ الْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آءِ الْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ آل عمران.

وقد أفرد البخاري لشهود الملائكة يوم بدر باباً مستقلاً بقوله: «باب شهود

الملائكة بدرًا»

وعن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة <sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا: أنه قال بعد أن ذهب بصره: «لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصري، لأريتكم الشَّعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى» <sup>(٣)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾

فأمده الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا

(١) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا (٣٦٩٢).

(٢) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا (٣٦٩٤).

(٣) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٩٠٢) و (٩١٢) و (٩٤٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٤٠٣) والطبري في

تفسيره (٧٧٤٨). سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٦،

هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عمي لي حتى أضعنا في جبل يُشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الواقعة، على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها محممة الخليل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو وأخو بني سلمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرت العباس أبا اليسر؟! قال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجلٌ

---

(١) - رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، (٣٣٠٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٩٠٠).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره (٧٧٤٩)، وفي تاريخه ٢: ١٥٣، والبيهقي في دلائل النبوة (٩٠١)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٩٠)، وابن الأثير في أسد الغابة ٣: ٢٨٧، سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٥. والدبرة (بفتح الدال وسكون الباء، وبفتحتين أيضاً): الهزيمة في القتال، وهي اسم من «الإدبار». يقال: على من الدبرة؟ أي الهزيمة. ثم يقال: لمن الدبرة؟ أي لمن الدولة والظفر. وحيزوم: اسم فرس من خيل الملائكة يومئذ. ويقال هو فرس جبريل عليه السلام. من تحقيق الشيخ أحمد شاکر.

(٣) - رواه أحمد في المسند (٢٢٦٦٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٥١١) و (٤٦٨٧)، وفي دلائل النبوة (٣٩١) والدولابي في الكنى والأسماء (٣٢٧)، والأصبهاني في دلائل النبوة: ٢٢٨، والطبري في تفسيره ٧: ١٧٦، (٧٧٥١)، وفي تاريخه ٢: ١٥٤.

ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا! قال رسول الله ﷺ: (لقد أعانك عليه ملك كريم) <sup>(١)</sup>.

**وفي موقعة أحد:** قاتلت الملائكة ونزلت تدافع عن رسول الله ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد <sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم: يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم أحد: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) <sup>(٣)</sup>.

**وكذلك أمدهم الله في يوم الأحزاب حين حاصروا قريظة،** فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم، فلم يفتح علينا، فرجعنا، فدعا رسول الله ﷺ بهاء فهو يغسل رأسه، إذ جاءه جبريل رضي الله عنه فقال: يا محمد، وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها! فدعا رسول الله ﷺ بخرقه، فلف بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا فقمنا كالأين مُعِينِينَ لا نعبأ بالسير شيئاً، حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة، وفتح الله لنا فتحاً يسيراً، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل <sup>(٤)</sup>.

**وكذلك أمدوا في غزوة حنين:** قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٦١)</sup> التوبة. والجنود هي الملائكة فعن عبد الرحمن مولى أم برثن قال: حدثني رجل كان

(١) - رواه أحمد في المسند (٣١٤٠)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٩)، والطبري في تفسيره (٧٧٥٣)، وفي تاريخه ٢: ١٦١، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٦: ٢٨٨، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤: ١٢، والذهبي في تاريخ الإسلام ١: ١٨٩، عن ابن إسحاق. وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢: ٤٩٣.

(٢) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ آل عمران: ١٢٢ (٣٧٤٨)، ومسلم في كتاب الفضائل باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد (٤٢٦٥).

(٣) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٣٧٣٥).

(٤) - رواه الطبري في تفسيره ٧: ١٧٨، (٧٧٥٨).

في المشركين يوم حنين، قال: لما التفتينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة. قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ. قال: فتلقانا عنده رجالٌ بيض حسان الوجوه فقالوا لنا: «شاهت الوجوه، ارجعوا!!»، قال: فانهزمتنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها<sup>(١)</sup>.

وعن سعيد قال: أمد الله نبيه ﷺ يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين.

قال: ويومئذ سمى الله الأنصار «مؤمنين». قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ التوبة: ٢٦. (٢).



### المطلب الثاني: رؤية بعض الصحابة للملائكة

عن أسيد بن حضير ﷺ قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فأنصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: (اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير). قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فأنصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال

(١) - رواه الطبري في تفسيره ١٤: ١٨٨، (١٦٥٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤: ١٧٣، «فكانت إياها»، يعني،

فكانت الهزيمة التي تعلم. من تحقيق الشيخ أحمد شاكر. وقيل: يعني الملائكة.

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ١٤: ١٨٧، (١٦٥٨٣).

المصاييح، فخرجت حتى لا أراها قال: (وتدري ما ذاك)، قال: لا، قال: (تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) <sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع صوت رجل، فوثب وثبة شديدة وخرج إليه، فاتبعته، فإذا هو متكئ على عرف برذونه، وإذا هو دحية الكلبي، وإذا هو معتم مرخ عمامته بين كتفيه، فلما دخل رسول الله ﷺ، قلت: لقد وثبت وثبة شديدة، وخرجت فإذا هو دحية الكلبي؟ قال: ورأيت؟ قلت: نعم قال: ذاك جبريل عليه السلام، أمرني أن أخرج إلى بني قريظة <sup>(٢)</sup>.

وفي حديث سعيد بن المسيب قال: فخرج النبي ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال: هل مر بكم من أحد؟ فقالوا: نعم مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء <sup>(٣)</sup> تحته قطيفة من ديباج. فقال النبي ﷺ: ليس ذلك دحية، ولكنه جبرئيل أرسل إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب <sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار، فلما دنا من منزله، سمعه يتكلم في الداخل، فلما استأذن عليه دخل، فلم ير أحداً، قال له رسول الله ﷺ: سمعتك تكلم غيرك. قال: يا رسول الله لقد دخلت الداخل اغتاما بكلام الناس مما بي من الحمى، فدخل علي داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه، قال: «ذلك جبريل، وإن منكم لرجالاً لو أن أحدكم يقسم على الله لأبره» <sup>(٥)</sup>.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه: وكان شيخاً كبيراً من أصحاب رسول الله ﷺ وكان يحب أن يقبض إليه كان يدعو: اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك قال فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق إذا فتى شاب من أجمل الرجال وعليه دواح أخضر

(١) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (٤٧٣٠).

(٢) - رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (٤١٩)، والطبراني في الأوسط (٨٨١٨) وقال: لم يرو هذا الحديث عن عبيد الله بن عمر إلا أخوه عبد الله، ولا رواه عن عبد الله إلا عبد الرحمن بن أشرس، وروح بن عباد. والبرذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال وهو عظيم الحلقة غليظ الأعضاء قوي الأرجل عظيم الخوافر، والوثب: النهوض والقيام والقفز.

(٣) - رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (٤٢٠).

(٤) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٠٠٣)، والطبراني في الأوسط (٢٧١٧)، والأصبهاني في أخبار أصبهان (١٢٣٦)، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢)، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وأسانيدهم حسنة. مجمع الزوائد ١٠: ٤١.

فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ فقلت كيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل اللهم أحسن العمل وبلغ الأجل قلت من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ربنايل الذي يسأل الحزن من قلوب المؤمنين<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن عباس: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده فقال لي أبي أي بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني فقلت يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه قال فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد فقال رسول الله ﷺ وهل رأيته يا عبد الله قال قلت نعم قال فإن ذاك جبريل وهو الذي شغلني عنك<sup>(٢)</sup>.



### المطلب الثالث: بعض الكرامات التي حصلت لهم

عن سفينة قال: ركبت البحر في سفينة فانكسرت، فركبت لوحاً منها فطرحتنى في أجمة فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت: «يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه، وأقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به»<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه الطبراني في الكبير (٦١٦)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٠: ١٨١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وعروة وثقه غير واحد وسعيد بن مقلاص لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١٠: ١٨٤، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣: ٤٢١.

(٢) - رواه أحمد في المسند (٢٦٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ٥٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٧٨٦)، والطبراني في الكبير (١٠٥٨٤) وعبد بن حميد في مسنده (٧١٢).

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک (٤٢٠٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. و (٦٦٢٧) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣١٠٢)، والطبراني في الكبير (٦٤٣٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٢٩٤) والطبراني في مسنده (٣٨٣٨).

وعن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحبي على أم بني المرازبة، فقالوا له: احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال: اتتوني فأتي فأخذه بيده، ثم اقتحمه فقال: «باسم الله»، فلم يضره شيئاً<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية. قال: فقام عمر يخطب الناس يوم الجمعة فأقبل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا صائح يصيح: يا سارية الجبل فاستندنا بأظهننا إلى الجبل فهزمهم الله فليل: إنك كنت تصيح بذلك<sup>(٢)</sup>.



### المطلب الرابع: البركة في طعامهم ورزقهم

وهذه البركة سببها قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم فكان يدعو لهم بالبركة عن النعمان رضي الله عنه، قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعمئة من مزينة، وجهينة في بعض أمره، فقلنا: ما معنا من زاد نتزوده، فقال: «يا عمر زودهم»، فقال: ما عندي إلا فضلة من تمر لا تغني عيشتنا، فانطلق بنا عمر رضي الله عنه إلى علية ليفتحها، فإذا فيها مثل البكر الأورق من تمر، فقال: هلموا فتزودوا من هذا التمر، فتزودنا، فكنت من آخرهم فنظرت وما أفقد موقع تمر من مكانها، وقد تزودنا منه أربعمئة. البكر: الفتى من الإبل<sup>(٣)</sup>.

وعن عروة البارقي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه ديناراً ليشتري له شاة أضحية فاشترى به شاتين، فباع إحدهما بدينار، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ودينار، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في بيعه، فكان لو اشترى التراب ربح فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه البيهقي في دلائل النبوة باب ما في تسمية الله صلى الله عليه وسلم من الحرز من السم (٣٠٣٢).

(٢) - رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، باب ما ظهر على يد عمر (٥١٠)، والبيهقي في الاعتقاد (٢٨٩).

(٣) - رواه البيهقي في دلائل النبوة باب قصة مزينة ومسألتهم وظهور البركة في التمر الذي منه أعطاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢١١١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٧٦٤)، والآجري في الشريعة (١٠٥٠).

(٤) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية (٣٣٧٠).



وعن عمرو بن حريث قال: انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام شاب، فمر النبي ﷺ على عبد الله بن جعفر وهو يبيع شيئاً يلعب به، فدعا له النبي ﷺ، قال: «اللهم بارك له في تجارته»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام من السوق، أو إلى السوق ليشتري الطعام فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان: أشركنا، فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة، فيشركهم فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها إلى المنزل<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبيدة النحوي أن عامر بن كريز أتى بابنه النبي ﷺ وهو ابن خمس سنين، أو ست سنين، فتفل النبي ﷺ في فيه، فجعل يزدرد ريق النبي ﷺ ويتلمظ، فقال النبي ﷺ: «إن ابنك هذا مسقى». قال: فكان يقال: لو أن عبد الله قدح حجراً أمأهه، يعني يخرج من الحجر الماء من بركته<sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في دعائه ﷺ لعروة البارقي في البركة في بيعه وظهورها بعده في ذلك، وكذلك في تجارة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٢٤٨٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧: ٢٦٠، (٥٨١٢).

(٢) - رواه البيهقي في دلائل النبوة باب في دعائه ﷺ لعبد الله بن هشام بالبركة وظهورها بعده (٢٤٨٢)، والطبراني في الأوسط (٢٣٨).

(٣) - رواه البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في تفلته في فم عبد الله بن عامر بن كريز، وما أصابه من بركته (٢٤٨٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩: ٢٥٣.

## المبحث الثاني

### ما أنزل الله من القرآن على لسانهم أو كان موافقاً لهم

ومما يدل على فضل الصحابة، نزول بعض الآيات من القرآن موافقة لرأيهم، بل حتى إن بعض الآيات نزلت بنفس اللفظ الذي قاله الصحابي، ومن اشتهر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يرى الرأي فينزل القرآن موافقاً له؛ عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) <sup>(١)</sup>.

وعنه: «ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو مما قال عمر» <sup>(٢)</sup>.

وعن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. ومن ذلك:

● - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر <sup>(٣)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو

اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥.

وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر

والفاجر فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ

رُبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ التحريم: ٥ فنزلت هذه الآية <sup>(٤)</sup>.

١- ففي موافقته لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى، ورد عن أنس بن مالك قال: قَالَ

(١) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٦١٥)، وأحمد في المسند (٤٨٩٨) و (٨٨٤٦)، وأبو نعيم في الحلية ١: ٢١.

(٢) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٦١٥)، وأحمد في المسند (٥٤٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٢١).

(٣) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٤٤١٢).

(٤) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة (٣٨٧).

عُمَرُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup>.

٢- وفي أمر الحجاب: عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي ﷺ حيسا في قعب فمر عمر ﷺ فدعاه فأكل فأصابته أصبعه أصبعي فقال حس أو أوه لو أطاع فيكن ما رأتهن عين فنزلت آية الحجاب<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِأَرْبَعٍ: بِذِكْرِ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> الأنفال: ٦٨.

وبذكرة الحجاب أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾<sup>(٤)</sup> الأحزاب: ٥٣.

وبدعوة النبي ﷺ له: اللهم أيد الإسلام بعمر، وبرأيه في أبي بكر كان أول الناس بايعه<sup>(٥)</sup>.

٣- وفي شأن أسارى بدر أنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشِخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> الأنفال

قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ

(١) - رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٢٩٦٠)، وابن ماجه في باب القبلة (١٠٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٩٦).

(٢) - رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٤١٩)، والطبراني في الأوسط (٣٠٦٢) وفي الصغير (٢٢٦) والحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف ويضاف لها السمن. والقعب: قرح وإناء يروي رجلاً واحداً. وحس: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحرقه غفلة، كالجمره والضربة ونحوهما.

(٣) - رواه أحمد في المسند (٤١٣٢).

منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الأنفال: ٦٧. إلى قوله: ﴿ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ الأنفال: ٦٩. فأحل الله الغنيمة لهم<sup>(١)</sup>.

٤- وكذلك قوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ التحريم: ٥، فعن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: بلغني عن أمهات المؤمنين شيء، فاستقريتهن أقول: لتكفرن عن رسول الله ﷺ، أو ليدلن الله أزواجاً خيراً منكُنَّ، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين، فقالت: يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فكففت، فأنزل الله: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ مَوَدَّاتٍ ﴾... الآية التحريم: ٥<sup>(٢)</sup>.

وعنه قال: بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدة على رسول الله ﷺ وأذاهن إياه، فاستقريتهن امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله ﷺ، وأقول: إن

(١) - رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، (٣٣٠٩).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ٢٣: ٤٨٨.

أبيتنَّ أبدله الله خيراً منكُنَّ، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهنَّ أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

٥- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر بن الخطاب ﷺ فقال: إنَّ جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوُّ لنا. فقال عمر: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(١٨)</sup> البقرة. قال: فنزلت على لسان عمر<sup>(٢)</sup>.

٦- وكان من رأي عمر ﷺ تحريم الخمر فنزل القرآن بتحريمها، فعن أبي ميسرة قال: قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فإنها تذهب بالعقل والمال، قال: فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١٩)</sup> البقرة: ٢١٩، قال: فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء: ٤٣. قال: وكان مُنادي النبي ﷺ يُنادي إذا حضرت الصلاة: لا يقربن الصلاة السكران. قال: فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، قال: فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> فلما انتهى إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

(١) - رواه الطبري في تفسيره ٢٣: ٤٨٨، واللفظ له، والبخاري في كتاب تفسير القرآن، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (٤١٢٣). قال الحافظ ابن حجر: وهذه المرأة هي زينب بنت جحش كما أخرج الخطيب في «المبهمات»، وجوز بعضهم أنها أم سلمة، لكن التعدد أولى، ويؤيد التعدد اختلاف الألفاظ في جوابي أم سلمة وزينب والله أعلم. باختصار من فتح الباري ٩: ٢٨٤.

(٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٨٢.

﴿ ١١ ﴾ قال عمر: انتهينا انتهينا <sup>(١)</sup>.

٧- ولما توفي عبد الله بن أبي قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقال عمر: يا رسول الله إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ التوبة: ٨٤، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ التوبة: ٨٠. وسأزيده على السبعين قال إنه منافق قال فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وعن عمر رضي الله عنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله ﷺ وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت لو أعلم أي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآياتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ <sup>(٨٤)</sup> التوبة. قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ والله ورسوله أعلم <sup>(٣)</sup>.

٨- وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ <sup>(١٤)</sup> المؤمنون.

(١) - رواه الطبري في تفسيره (١٢٥١٣).

(٢) - رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (٤٣٠٢).

(٣) - رواه الطبري في تفسيره (١٧٠٥٥) وأبو نعيم في الحلية ١: ٢٢، واللفظ له.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وافقت ربي ﷻ في أربع: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) المؤمنون. الآية، فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين. فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) <sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزل القرآن: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) <sup>(٢)</sup>.

وعن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) <sup>(٣)</sup>.

وتروى هذه الموافقة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه فعن زيد بن ثابت الأنصاري قال: أملى عليّ رسول الله هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) المؤمنون إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، فقال معاذ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤)، فضحك رسول الله ﷺ. فقال له معاذ رضي الله عنه: مم ضحكك يا رسول الله؟ قال: بها ختمت ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) <sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه الطيالسي في مسنده (٤٠)، والآجري في الشريعة (١٣٣٥)، والواحدي في أسباب النزول: ١١٢.

(٢) - رواه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (٨٢) واللفظ له، والطبراني في الكبير (١٢٠٧٨).

(٣) - رواه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة والجماعة (١٣٨).

(٤) - رواه الطبراني في الأوسط (٤٨١٣).

٩- ومنها: قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠﴾ فعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال لما أنزلت (إذا وقعت الواقعة) فذكر فيها ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤﴾ قال عمر: يا نبي الله ثلثة من الأولين وقليل منا قال: فأمسك آخر السورة سنة ثم أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا عمر تعال اسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠﴾ ألا وإن من آدم ثلثة وأمتي ثلثة ولن تستكمل ثلثتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (١)

١٠- ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ٦٥﴾ النساء: ٦٥. فعن أبي الأسود، قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ، ففضي بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ «نعم، انطلقا إلى عمر»، فلما أتيا عمر قال الرجل: يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما، مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فاراً إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قتل عمر والله صاحبي ولو ما أني أعجزته لقتلني، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أظن يجترئ عمر على قتل مؤمنين»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ٦٥﴾ النساء. فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ٦٥﴾

(١) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٠: ٢٢٩ (٨١٠٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٠٥).



النساء: ٦٦. إلى قوله: ﴿وَأَشَدُّ تَثْبِيثًا﴾ (١).

● - وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ذكر كلمة فنزلت كما هي في القرآن، فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم من سوء قط وعن عروة قال لما أخبرت عائشة بالأمر قالت: يا رسول الله أتأذن لي أن أنطلق إلى أهلي فأذن لها وأرسل معها الغلام وقال رجل من الأنصار: سبحانك ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) النور (٢).

وعن عائشة قالت: وقد كانت امرأة أبي أيوب، قالت لأبي أيوب: أما سمعت ما يتحدث الناس به، فحدثته بقول أهل الإفك، فقال: سبحانك ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) النور (٣).

وعن سعيد بن المسيب قال: كان رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعا شيئاً من ذلك قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) زيد بن حارثة وأبو أيوب فنزلت كذلك.

● - وعن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقتولان على دابة، أو على بعير، فقالت امرأة من الأنصار: من هذان؟ قالوا: فلان وفلان أخوها وزوجها، أو زوجها وابنها. فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: حي.

(١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣: ٩٩٤، وابن بشران في أماليه (١٧)، وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان في النوع العاشر: ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة ١: ٣٨، وذكر أيضاً في تاريخ الخلفاء: ٤٩، فصل في موافقات عمر، وقال: قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، وله أرجوزة في ذلك باسم (قطف الثمر في موافقات عمر) في الحاوي للفتاوى: ١: ٣٧٧.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٦٨٢٢).

(٣) - جزء من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير (١٨٦٦٧)، وفي مسند الشاميين (٢٣٦٨).

قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ آل عمران: ١٤٠<sup>(١)</sup>.

● - وعن سعد بن معاذ رضي الله عنه أنه حكم على بنى قريظة أن يقتل منهم كل من جرت عليه الموسيقى وأن تقسم أموالهم وذرايرهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات<sup>(٢)</sup>.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه فجاء على حمار فلما بلغ قريباً من المسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا إلى خيركم أو سيدكم فقال: يا سعد إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذرايرهم قال حكمت بحكم الله أو بحكم الملك<sup>(٣)</sup>.

● - وعن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤. ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية، ثم قتل فسقط اللواء. قال محمد بن شرحبيل: وما نزلت هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

● - عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله

(١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣: ٧٧٤.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٦٣، وفي الأسماء والصفات (٨٤٦)، والنسائي في السنن الكبرى ٣: ٤٦٥، (٥٩٣٩)، والحاكم في المستدرک (٢٥٢٢).

(٣) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه (٣٥٢٠)، وفي كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب (٣٨١٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، (٣٣١٤).

(٤) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٢٠.

وسعديك ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: إذا يتكلموا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: روى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لمعاذ في التبشير، فلقيه عمر فقال: لا تعجل. ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها، قال فرده. وهذا معدود من موافقات عمر، وفيه جواز الاجتهاد بحضرته رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.



---

(١) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٤٧).

(٢) - فتح الباري ١: ٢٢٧.

### المبحث الثالث: قوة إيمان الصحابة ﷺ

يمتاز الصحابة ﷺ عن غيرهم ممن جاء بعدهم بإيمانهم العميق وإخلاصهم للعمل لله سبحانه وتعالى ، وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن تيمية محتجاً لرأي عبد الله ابن المبارك وأحمد بن حنبل في تفضيل كل فرد في الصحابة على كل فرد ممن جاء بعدهم: (ومن حجة هؤلاء: أن أعمال التابعين وإن كانت أكثر، وعدل عمر بن عبد العزيز أظهر من عدل معاوية، وهو أزهد من معاوية، لكن الفضائل عند الله بحقائق الإيمان الذي في القلوب ، وقد قال النبي ﷺ: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه)، قالوا: نحن نعلم أن أعمال بعض من بعدهم أكثر من أعمال بعضهم ، لكن من أين نعلم أن ما في قلبه من الإيمان أعظم مما في قلب ذلك الصحابي، وقال أبو بكر بن عياش: «ما سبقهم الصديق بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه». ثم هم لم يقصروا فيما بقي من وجوه التفاضل فقد كانوا حريصين على أن يتمثلوا برسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياتهم ، فما أجدرهم أن ينالوا ما نالوا، وما أجدرنا باحترامهم وإنزالهم المنزلة التي رضىها لهم رب العالمين<sup>(١)</sup>.

وعن أبي بحرية الكندي أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج ذات يوم، فإذا هو بمجلس فيه عثمان بن عفان ﷺ فقال: وإن منكم لرجلاً لو قسم إيمانه بين جند من الأجناد لوسعهم يريد عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>.

وعن قتادة قال: سئل ابن عمر ﷺ: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل ﷺ دخل على رسول الله ﷺ فقال كيف أصبحت يا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى. قال: إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، ولا خطوات خطوة إلا ظننت

(١) - انظر: الصحابة ومكانتهم عند المسلمين: ٢١.

(٢) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٩: ٢١٩، و ٤٥: ٤٥٣.

(٣) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ٣٢٧، (٢٠٦٧١) وأبو نعيم في الحلية ١: ٣١١، ومعمربن رشد في جامعه

(١٢٨٠). رواه الخلال في السنة (١٠٨١).

أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة. قال: عرفت فالزم<sup>(١)</sup>.

عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فاستقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة بن النعمان، فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظر ما تقول، فإن لكل حق حقيقة إيمانك؟» قال: فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها، فقال له النبي ﷺ: «أبصرت فالزم، مرتين، عبد نور الله الإيمان في قلبه» قال: فتودي يوماً في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابني حارثة، أين هو؟ إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة، إنها ليست بجنة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلى)، قال: فانصرفت وهي تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة<sup>(٢)</sup>.

وعن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً قال لأبي الدرداء ﷺ: إن أبا سعد بن منبه أعتق مائة محرر قال: إن «مائة محرر من مال رجل لكثير، وإن شئت أنبأتك بما هو أفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل، والنهار ولا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى»<sup>(٣)</sup>. وكان من قوة إيمان بعض الصحابة أنه لو كشف له الحجب ما زاد ذلك من يقينه شيئاً.

**فهم الصحابة لأركان الإيمان:** قال الإمام ابن القيم: وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب، فمن وقف عليه وعرف

(١) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٢٤٢.

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠١٩٤)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٠).

(٣) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤٧)، وأحمد في الزهد (٧٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٢٣٧، وأبو نعيم في الحلية ١:

ما قالته الأنبياء عرف أنه مشتق منه مترجم عنه، وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم<sup>(١)</sup>.

● - ومن قوة إيمانهم ﷺ: حرصهم على الشهادة:

عن سعيد بن المسيب أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم أحد يوم: اللهم إذا لاقوا هؤلاء غدا أقسم عليك لما يقتلونني ويبقروا بطني ويجدعونني، فإذا قلت لي لم فعل بك هذا؟ فأقول اللهم فيك، فلما التقوا فعلوا ذلك به، وقال الرجل الذي سمعه: أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يعطى ما سأل في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: إن عبد الله بن جحش، قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقينا القوم غداً، فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله، وأخذ سلبه، فقام عبد الله بن جحش ثم، قال: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فيقول: صدقت. قال سعد بن أبي وقاص: «يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقان في خيط»<sup>(٣)</sup>.

وكان عمير بن أبي وقاص ممن يطلب الشهادة، فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتواري فقلت: مالك يا أخي، فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردني وأنا

(١) - هداية الحيارى: ١٢٦.

(٢) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٩٠، والبلاذري في أنساب الأشراف ٤: ١١، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٦٧.

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک (٢٣٦٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٨٨) وفي الحلية ١: ١٠٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠: ٣٤٠. وقال العراقي: أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية وإسناده جيد. السلب: ما يأخذه أحد القترين في الحرب من قرنه، مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة، وهو فعّل بمعنى مفعول أي مسلوب. والجدع هو القطع. وقيل هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد. لسان العرب مادة (سلب) و(جدع).

أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: ارجع، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ، قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود<sup>(١)</sup>.

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: «عرض على رسول الله ﷺ جيش بدر فرد عمير بن أبي وقاص ﷺ فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ، وعقد عليه حمائل سيفه»<sup>(٢)</sup>.  
وعن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد ﷺ أنه قال وهو في حالة الموت: لقد لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةٌ بسيفٍ أو رميةٌ بسهم أو طعنةٌ برُمح؛ فيها أنا أموت على فراشي حتّى أنفي كما يموت العير؛ فلا نامت أعين الجبناء<sup>(٣)</sup>، فهو يتألم لكونه ما مات قتيلًا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه.

وعن أبي وائل، قال: «لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد طلبت القتل فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله، وأنا مترس بها ثم قال: إذا أنا مت، فانظروا سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.  
وعن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد: أقسمت عليك إلا لبست درعي، فلبسها ثم نزعها فقال له عمر: ما لك قال: إني أريد بنفسني ما تريد بنفسك<sup>(٥)</sup>.

وعن أم ورقة بنت نوفل أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قالت: قلت: يا رسول الله، ائذن لي في أن اغزو معك أداوي جرحاكم وأمراض مرضاكم، لعل الله يرزقني شهادة، قال: (قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة)، قال فكانت تسمى الشهيدة<sup>(١)</sup>.

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٤٩، والواقدي في المغازي: ٢١.  
(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٤٨٥٢) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.  
(٣) - رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣: ١٩٤. وفي لسان العرب: العير الحمار أياً كان أهلياً أو وحشياً، وقد غلب على الوحشي والأنثى عيرة.  
(٤) - رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢١٧٧)، والطبراني في الكبير (٣٨١٢).  
(٥) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٣٧٨، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٧٨.

وعن جعفر الهمداني قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول الناس جرح أبو عقيل الأنيفي رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فشطب في غير مقتل فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر لما كان فيه، وهذا أول النهار، وجر إلى الرحل فلما حمي القتال وانهمز المسلمون وجازوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح بالأنصار: الله الله والكرة على عدوكم، وأعنع معن يقدم القوم وذلك حين صاحت الأنصار: أخلصونا أخلصونا، فأخلصوا رجلاً رجلاً يميزون.

قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل قومه فقلت: ما تريد يا أبا عقيل؟ ما فيك قتال، قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت إنها يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرة كيوم حنين. فاجتمعوا رحمهم الله جميعاً يقدمون المسلمين دربة دون عدوهم حتى أقحموا عدوهم الحديدية فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم. قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بأخر رمق فقلت: أبا عقيل، فقال: لييك، بلسان ملثا، لمن الدبرة؟ قال: قلت أبشر، ورفعت صوتي، قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كله فقال: رحمه الله ما زال يسأل الشهادة ويطلبها<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٧٢٨، والطبراني في الكبير (٣٢٧)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٣٦٦)، وابن الجارود في المتقى (٣٣٣).

(٢) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٤٧٤.



وعن مولاة لعمار بن ياسر قالت: اشتكى عمار شكوى ثقل منها فغشي عليه فأفاق ونحن نبكي حوله فقال: ما يبكيكم؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية وأن آخر زادي مذقة من لبن<sup>(١)</sup>.

● - **ومن علامات الإيمان: الخوف من النفاق**، يُذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمنٌ، ولا آمنه إلا منافق، ومن هنا كان الصَّحابة يخافون النفاق على أنفسهم، وكان عمرُ يسأل حذيفة عن نفسه.

وقال ابن أبي مليكة كما في البخاري: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل<sup>(٢)</sup>.  
وعن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات<sup>(٣)</sup>.

وعن حذيفة ﷺ قال: إنكم لتكلمون كلاماً إن كنا لنعدّه على عهد رسول الله ﷺ النفاق<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية قال: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ، فيصير بها منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم في المجلس عشر مرات<sup>(٥)</sup>.

وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق؟ فقال: نعم إنني أدركت منهم بحمد الله صدراً حسناً، نعم شديداً، نعم

(١) - رواه أبو يعلى في مسنده (١٦١٤).

(٢) - ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في كتاب الإيمان في ترجمة باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ورواه في التاريخ الكبير ٥: ١٣٧، (٤١٢)، ورواه الخلال في السُّنة ٣: ٦٠٧، (١٠٨١).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الرقائق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب، (٦١٢٧).

(٤) - رواه أحمد في المسند (٢٣٢٦٢).

(٥) - رواه أحمد في المسند (٢٣٢٧٨).

شديداً<sup>(١)</sup> .

وممن كان يتعوذ من النفاق من الصَّحابة: حذيفة، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري.

ومن أسباب عِظَم إيمان الصَّحابة: أنهم رأوا المعجزات، وعاشوا نزول الوحي، ومن الأسباب: علم الصَّحابة بالله، فالعلم قائد إلى الإيـان ومرشد إليه.

● - **ومن علامات الإيـان: الثبات عند اللحظات الأخيرة وحسن الختام، تلك اللحظة الحاسمة، التي لا يثبت فيها إلا المؤمنون، يسعد المؤمنون في تلك اللحظات؛ لأنهم يعلمون أنها آخر عناء وتعب، وآخر نَصَب ووصب، ليس هذا فحسب، بل تستقبلهم الملائكة وتبشرهم، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.**

عن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدر من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله واليوم ألقى الأعبة محمدا وحزبه إن رسول الله ﷺ قال إن آخر شيء تزوده من الدنيا ضيحة لبن ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وهم على باطل<sup>(٢)</sup> .

وعن معاذ بن جبل ؓ أنه لما حضره الموت قال انظروا أصبحنا فأتي فقيـ لم تصبح فقال انظروا أصبحنا فأتي فقيـ له لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيـ قد أصبحت قال أعود بالله من ليلة صباحها إلى النار مرحباً بالموت مرحباً زائر مغـ حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر<sup>(٣)</sup> .

(١) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢: ٣٠٧.

(٢) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ١٤١.

(٣) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٢٣٩، وأحمد في الزهد ١: ١٨٠، وابن أبي الدنيا في المحتضرين (١٢٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨: ٤٥٠، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٨٩.

وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه في شكواه الذي مات فيه فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: « اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي. فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات » <sup>(١)</sup>.

وبلال بن رباح رضي الله عنه حينما أتاه الموت فرح واستبشر بلقاء أحبته، فعن سعيد بن عبد العزيز قال: قال بلال حين حضرته الوفاة: « غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه قال: يقول: وافرحاه » <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سفيان عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعبده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلتقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوض وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال: ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وهذه الأساود حولي، وإنما حوله مطهرة ونحوها، فقال له سعد: اعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك فقال له: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمتك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت <sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٢٩٢)

(٢) - رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٢٨٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠: ٤٧٥، وذكره الذهبي في السير ١: ٣٥٩.

(٣) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ١٩٦.

## الفصل الثالث

### عدالة الصحابة ﷺ

#### المبحث الأول

#### معنى العدالة لغة واصطلاحاً

#### العدالة في اللغة:

العدالة وصف بالمصدر وهو العدل، وهو الاستواء، والرجل عدل: متصف بالعدالة، وهو المستوي الطريقة، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الطلاق: ٢.

قال الفيروزآبادي: عَدَلَّ يَعْدِلُ، فهو عادل من عدول وعدل، بلفظ الواحد، وهذا اسم للجمع. رجلٌ عدلٌ، وامرأةٌ عدلٌ وعدلةٌ. وعَدَلَّ الحُكْمَ تعديلاً: أقامه، وفلاناً: زكاهُ، والميزان: سَوَّاهُ<sup>(١)</sup>.

قال الجوهري: والعدل خلاف الجور، يقال عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته ومعدلتته، وفلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضاً: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة، وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قَوَّمته فاستقام<sup>(٢)</sup>.

فمعنى العدالة في اللغة: الاستقامة، والعدل هو الذي لم يظهر منه ريبة، وهو الذي يرضى الناس عنه ويقبلون شهادته ويقتنعون بها.

#### العدالة في الاصطلاح:

(١) - القاموس المحيط مادة: (عدل).

(٢) - الصحاح للجوهري مادة: (عدل).

تنوعت عبارات العلماء في معنى العدالة، إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو  
أنها: ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة.  
ولا يتحقق الإنسان بذلك إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يتعد عما يخل  
بالمروءة.

**والتقوى ضابطها:** امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً،  
وباطناً من شرك أو فسق أو بدعة.

**والمراد بالفسق:** ارتكاب كبيرة من كبائر الذنوب والإصرار على صغيرة من  
الصغائر لأن الإصرار على فعل الصغائر يصيرها من الكبائر.

**والمروءة ضابطها:** آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلي بالفضائل، والتخلي  
عن الرذائل، وترجع معرفتها إلى العرف.  
وما يخل بالمروءة يعود إلى سببين:

**الأول:** ارتكاب الصغائر من الذنوب التي تدل على الخسة كسرقة شيء حقير  
كبصلة أو تطفيف في حبة قصداً.

**الثاني:** فعل بعض الأشياء المباحة التي ينتج عنها ذهاب كرامة الإنسان أو هيئته  
وتورث الاحتقار، وذلك مثل كثرة المزاح المذموم<sup>(١)</sup>.

ولا تتحقق العدالة في الراوي إلا إذا اتصف بصفات خمسة: الإسلام، والبلوغ،  
والعقل، والسلامة من أسباب الفسق، وخوارم المروءة.

وليس المقصود من العدل أن يكون بريئاً من كل ذنب، وإنما المراد أن يكون  
الغالب عليه التدين، والتحري في فعل الطاعات.

---

(١) - انظر: مفهوم عدالة الصحابة لأبي عبد الله الذهبي: ١٤.

وفى ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر، وكانت محاسنه أكثر من مساويه»<sup>(١)</sup>.

ويعبر الإمام أبو يوسف عن هذا الاتجاه حين يقول: «من سلم أن تكون منه كبيرة من الكبائر التي أوعدها الله تعالى عليها النار، وكانت محاسنه أكثر من مساوئه فهو عدل»<sup>(٢)</sup>.

فالعدالة هي: ملكة تحمل صاحبها على التقوى واجتناب ما يخل بالمروءة<sup>(٣)</sup>.

قال الخطيب البغدادي: العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقى ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطه وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقى في لفظه مما يثلم الدين والمروءة فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير<sup>(٤)</sup>.

وعرف ابن الحاجب العدالة بقوله: محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر، وبعض الصغائر وبعض المباح<sup>(٥)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة<sup>(٦)</sup>.

(١) - ذكره محمد بن الوزير في الروض الباسم ١: ١٧٣.

(٢) - انظر: عدالة الصحابة للدكتور عماد الشربيني: ١٧.

(٣) - فتح المغيث للسخاوي ٢: ٣.

(٤) - الكفاية في علم الرواية: ٢٤١.

(٥) - مختصر المنتهى ٢: ٦٣.

(٦) - نزهة النظر: ٢٩. وانظر: مفهوم عدالة الصحابة: ١٤.

## المبحث الثاني

### المراد بعدالة الصحابة

ومعنى عدالة الصحابة: أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم<sup>(١)</sup>.

قال الإياري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن ثبت ارتكاب قاذح ولم يثبت ذلك والحمد لله، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح<sup>(٢)</sup>.

ومذهب أهل السنة والجماعة هو اعتقاد عدالة الصحابة وفضلهم، وذلك لما أثنى الله تعالى عليهم في كتابه، ونطقت به السنة النبوية في مدحهم، وتواتر هذه النصوص في كثير من السياقات مما يدل دلالة واضحة على أن الله تعالى حباهم من الفضائل، وخصهم من كريم الخصال، ما نالوا به ذلك الشرف العالي، وتلك المنزلة الرفيعة عنده؛ لذا اتفق أهل السنة والجماعة على أن الصحابة ﷺ كلهم عدول ثقات لا يفتش عن عدالة أحد منهم.

(١) - انظر: مفهوم عدالة الصحابة: ١٤، وعدالة الصحابة للشربيني: ١٧.

(٢) - فتح المغيث ٣: ٩٦، والبحر المحيط ٥: ٣٤٣.

ولهذا لم يبحث أحد من علماء الجرح والتعديل عن صحابي هل هو عدل أم لا، وقالوا بأن جهالة الصحابي لا تضر.

### المبحث الثالث

#### الإجماع على عدالة الصحابة رضي الله عنهم

يقول الإمام ابن عبد البر: «قد كفيينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الصلاح: «ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لا بس الفتن منهم كذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الصلاح: «للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب، والسنة، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام العراقي: «إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم وأما من لا بس الفتن منهم وذلك حين مقتل عثمان رضي الله عنه فأجمع من يعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام الجويني: «ولعل السبب في قبولهم من غير بحث عن أحوالهم، والسبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف

(١) - الاستيعاب ١: ٨.

(٢) - علوم الحديث: ٢٩٥.

(٣) - علوم الحديث: ١٧٦.

(٤) - شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة للعراقي ٣: ١٣.



في رواياتهم، لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ، ولما استرسلت على سائر الأعصار»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك كثير من نقول الإجماع على عدالة الصحابة، مثل نقل الإمام الغزالي والنووي وابن كثير وغيرهم.

وقال القرطبي: من نقص واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع الإسلام<sup>(٣)</sup>.



---

(١) - البرهان في أصول الفقه ١: ٢٤٢، وانظر: إرشاد الفحول ١: ٢٧٥، عدالة الصحابة للشرييني.

(٢) - الإصابة ١: ١٧.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢١٦.

## المبحث الرابع

### النهي عن سب الصحابة ﷺ وانتقاصهم

لا خلاف بين العلماء في أنه يحرم سب الصحابة لما رواه أبو سعيد عن النبي ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْنُقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) <sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة ﷺ، وفيه التصريح بتحريم سبهم، وهذا الخطاب موجّه منه ﷺ إلى الصحابة الذين لم يدركوا فضل السابقين، ينهاهم عن سب الصحابة السابقين، فكيف بمن جاء بعدهم ممن لم ينل شرف الصحابة؟

وقال ﷺ: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) <sup>(٢)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي) <sup>(٣)</sup>.

وقد عد الإمام الذهبي في كتابه الكبائر في الكبيرة السبعين: سب الصحابة، وقال: فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضرار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، (٣٣٩٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، (٤٦١١) واللفظ له.

(٢) - رواه الطبراني في الكبير (١٢٥٤١) بهذا اللفظ، وابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٥٥٠ بلفظ: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله)، ورواه الطبراني في الدعاء (١٩٨٩) وأبو بكر في كتابه السنّة (٨٣٦)، وأحمد في فضائل الصحابة (٦) والآجري في الشريعة (١٩٢٢) وزادوا: (لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً).

(٣) - رواه الطبراني في الأوسط (٤٩٢٧)، وروى الطرف الثاني منه (لعن الله من سب أصحابي): الطبراني في الكبير (١٣٤١٢) و (٩١٣)، وفي الأوسط (٧٢١٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (١٩٠٨)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٩٤٢) وقال: وفي النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ أحاديث ثابتة الإسناد من غير هذا الوجه، وأما اللعن فالرواية فيه لينة، وهذا يروى عن عطاء مرسلًا.

أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدرء بالمنقول هذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك<sup>(١)</sup>.

### من أقوال السلف في النهي عن سب الصحابة ﷺ:

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن مصعب قال: قال لي أمير المؤمنين المهدي: يا أبا بكر ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: زنادقة. قال: ما سمعت أحداً قال هذا قبلك. قال: قلت: هم قوم أرادوا رسول الله بنقص فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء وهؤلاء عند أبناء هؤلاء فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء. فقال: ما أراه إلا كما قلت<sup>(٤)</sup>.

وسئل أبو عبد الرحمن النسائي عن معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ، فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنها أراد

(١) - الكبائر: ٩٣.

(٢) - رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، (١٨) و (١٦٧٧)، ورواه ابن ماجه في باب فضل أهل بدر (١٥٨) بلفظ: «خير من عمل أحدكم عمره».

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (١٠٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨: ٣٢.

(٤) - تاريخ بغداد ٤: ٣٩٠.

الصَّحَابَةُ (١).

وقال أبو عروة الزبيري: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَذَكَرُوا رِجَالًا يَنْتَقِصُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ مَالِكُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الْفَتْحُ. فَقَالَ مَالِكُ: مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غِيظٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ (٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: قيل لعائشة: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى إنهم ليتناولون أبا بكر وعمر فقالت أتعجبون من هذا إنما قطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر (٣).

وعن ابن عمر: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره (٤).

وقال الإمام مالك بن أنس: الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس لهم سهم أو قال: نصيب في الإسلام (٥).

وعن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الْحَشْرُ: ٨. الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ فَمِنْهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الْحَشْرُ: ٩. الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ أَفَأَنْتَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا. ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الْحَشْرُ: ١٠. الْآيَةَ، ثُمَّ

(١) - تهذيب الكمال للمزي ١: ٣٣٩.

(٢) - رواه أبو بكر بن الخلال في السُّنَّةِ (٧٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣: ١١٣، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢٩٧، والبحر المحيط ١٠: ١٠١،

(٣) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٨٧، وانظر تفسير الخازن ٦: ٧٦.

(٤) - رواه ابن ماجه في باب فضل أهل بدر (١٥٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢)، وأحمد في فضائل الصَّحَابَةِ (١٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّةِ والجماعة (١٩١٠).

(٥) - رواه أبو بكر الخلال في كتابه السُّنَّةِ (٧٨٩).

قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو. قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء<sup>(١)</sup>.  
وعن ابن عمر أنه بلغه أن رجلاً نال من عثمان، فدعاه فأقعه بين يديه، فقراً  
عليه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الحشر: ٨. الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ:  
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الحشر: ١٠. الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن  
أكون منهم. قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم<sup>(٢)</sup>.  
وقال الإمام مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه  
عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية  
(٣).

وقال الحسن: أدركت ثلاثمائة من الصحابة منهم سبعون بديراً كلهم يحدثني أن  
النبي ﷺ قال: (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)<sup>(٤)</sup>،  
فالجماعة أن لا تسبوا الصحابة ولا تماروا في دين الله ولا تكفروا أحداً من أهل التوحيد  
بذنب

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله  
ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

(١) - الدر المنثور ٩: ٤٦٧، وقال: أخرجه ابن مردويه.

(٢) - الدر المنثور ٩: ٤٦٧، وقال: أخرجه ابن مردويه.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن ١٨: ٣٢. وانظر: تفسير البغوي ٨: ٨٠، تفسير الخازن ٦: ٧٦، زاد المسير ٦: ٩، والشفاء ٢: ٣١٠. ومن ذهب أيضاً إلى أن من سبهم لا نصيب له في الفية: أبو عبيد، وأبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد وغيرهم، كما في مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦: ٤٣٠.

(٤) - الحديث رواه الترمذي في باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٧٩٠)، والحاكم في المستدرک (٣٦٨) و (١٤٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وابن حبان في صحيحه (٦٣٣٩) وابن خزيمة (١٧٨٩) المحرر الوجيز ٦: ٣٣٤، والجواهر الحسان للثعالبي ٤: ٧٥.

(٥) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩: ٢٠٩، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٤٨.

وقال القرطبي: «من نقص واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع الإسلام»<sup>(١)</sup>.



---

(١) - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢١٦.

## المبحث الخامس

### حكم من يسب الصحابة

اختلف العلماء في حكم من يسب الصحابة هل هو كافر أم فاسق، واختلفوا أيضاً في عقوبة من يفعل ذلك. جاء في الموسوعة الفقهية: ذهب جمهور العلماء إلى أنه فاسق، ومنهم من يكفره، فإن وقع السب من أحد من الناس فللفقهاء فيه مذهبان:

**الأول:** وعليه أكثر العلماء أن يكون فاسقاً، قال به الحنفية، وهو قول المالكية إن شتمهم بما يشتم به الناس، وهو المعتمد عند الشافعية، وهو قول الحنابلة إن لم يكن مستحلاً، نقل عبد الله عن أحمد أنه سئل فيمن شتم صحابيا القتل؟ فقال: أجب عنده، ويضرب. ما أراه على الإسلام.

**الثاني:** وهو قول ضعيف للحنفية، نقله البزازي عن الخلاصة: إن كان السب للشيخين يكفر، قال ابن عابدين: إنه مخالف لما في المتون، وهو قول المالكية إن قال فيهم: كانوا على ضلال وكفر، وقصر سحنون الكفر على من سب الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، وهو مقابل المعتمد عند الشافعية، ضعفه القاضي وهو قول للحنابلة إن كان مستحلاً، وقيل: وإن لم يستحل<sup>(١)</sup>.

وفي الموسوعة أيضاً: من سب الصحابة، أو واحداً منهم، فإن نسب إليهم ما لا يقدح في عدالتهم، أو في دينهم بأن يصف بعضهم ببخل، أو جبن، أو قلة علم أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فلا يكفر باتفاق الفقهاء، ولكنه يستحق التأديب.

أما إن رماهم بما يقدح في دينهم أو عدالتهم كقذفهم: فقد اتفق الفقهاء على تكفير من قذف الصديقة بنت الصديق: عائشة رضي الله عنهما زوج النبي ﷺ بما برأها الله منه، لأنه مكذب لنص القرآن.

(١) - الموسوعة الفقهية ٢٤: ١٤٠.

أما بقية الصَّحابة فقد اختلفوا في تكفير من سبهم، فقال الجمهور: لا يكفر بسب أحد الصَّحابة، ولو عائشة بغير ما برأها الله منه <sup>(١)</sup>.

في الموسوعة: اتفق الفقهاء على أن من كفر جميع الصَّحابة فإنه يكفر؛ لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة وكذب الله ورسوله. واتفقوا على أن من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، أو أنكر صحبة الصديق كفر، لأنه مكذب لنص الكتاب. وأما من كفر بعض الصَّحابة دون بعض، فذهب الحنفية والمالكية في المعتمد عندهم والإمام أحمد في إحدى الروايتين إلى عدم كفره. وذهب الشافعية والحنابلة في الرواية المشهورة وبعض أهل الحديث وسحنون من المالكية إلى تكفير من كفر بعض الصَّحابة وتطبق عليه أحكام المرتد.

قال المرداوي في الإنصاف: وهو الصواب والذي ندين الله به، ونص صاحب الفواكه الدواني على أن من كفر أحد الخلفاء الأربعة فإنه يكفر <sup>(٢)</sup>.

### تكفير من سب الشيخين:

ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم تكفير من سب أحد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتوقف الإمام أحمد في كفره وقتله، وقال: يعاقب ويجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عن ذلك، وعنه: من سب صحابياً مستحلاً كفر، وإلا فسق. ونقل ابنه عبد الله عنه فيمن شتم صحابياً قوله: القتل أجبن عنه، ويضرب، ما أراه على الإسلام. وعند الشافعية وجه حكاه القاضي في تكفير من سب الشيخين رضي الله عنهما، ومن قال بتكفيره كذلك الدبوسي وأبو الليث، وجزم به صاحب الأشباه.

(١) - انظر: نهاية المحتاج ٧: ٤١٩، شرح الزرقاني ٨: ٧٤، فتاوى قاضيخان بهامش الفتاوى الهندية ٦: ٣١٨، ٣١٩. نقلاً

عن الموسوعة الفقهية ٢٦: ٣١٦.

(٢) - الموسوعة الفقهية ١٣: ٢٣١.



قال صاحب الدر المختار: وهو الذي ينبغي التعويل عليه في الإفتاء والقضاء،  
رعاية لجانب حضرة المصطفى ﷺ وهذا خلاف المعتمد عند الحنفية، كما صرح بذلك  
ابن عابدين<sup>(١)</sup>.

ويكفر بتكفير جميع الصحابة أو القول بأن الصحابة ارتدوا جميعاً بعد رسول الله  
ﷺ أو أنهم فسقوا؛ لأن ذلك تكذيب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضا  
عنهم، والثناء عليهم، وأن مضمون هذه المقالة: أن نقلة الكتاب، والسنة كفار، أو  
فسقة، وأن هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت، وخيرها القرن الأول كان عامتهم  
كفاراً أو فساقاً، ومضمون هذا: أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقيها هم أشرارها،  
وكفر من يقول هذا مما علم من الدين بالضرورة.

وجاء في فتاوى قاضي خان: يجب إكفار من كفر عثمان، أو علياً، أو طلحة، أو  
عائشة، وكذا من يسب الشيخين أو يلعنهما<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: اختلف في سب الصحابي، فقال عياض: ذهب  
الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين  
والحسين فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين، وقواه السبكي في حق من كفر  
الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك  
عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووي: واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات،  
سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب، متأولون. قال

(١) - الموسوعة الفقهية ١٣: ٢٣٢.

(٢) - فتاوى قاضيخان بهامش الفتاوى الهندية ٦: ٣١٨، مطالب أولي النهى ٦: ٢٨٧.

(٣) - فتح الباري ٧: ٣٦.

القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر، ولا يقتل. وقال بعض المالكية: يقتل<sup>(١)</sup>.

وأما عقوبة من يسبهم فقال الباحث أبو عبد الله الذهبي: اختلف أهل العلم في الحكم والعقوبة التي يستحقها من سب أصحاب رسول الله ﷺ أو جرحهم، هل يكفر بذلك وتكون عقوبته القتل، أو أنه يفسق بذلك ويعاقب بالتعزير.

١- ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة ﷺ أو انتقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم وأن من كان هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله، إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم.

و ممن ذهب إلى هذا القول من السلف: الصحابي عبد الرحمن بن أبيزى، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وأبو بكر بن عياش وسفيان بن عيينة، ومحمد بن يوسف الفريابي وبشر بن الحارث المروزي، ومحمد بن بشار العبدي، وغيرهم كثير، فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية.

٢- وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن سب الصحابة لا يكفر بسبهم بل يفسق ويضلل ولا يعاقب بالقتل، بل يكفي بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً يردعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب وفواحش المحرمات، وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة، وممن يرى بذلك من الأئمة: عمر بن عبد العزيز، وعاصم الأحول، والإمام مالك، وإسحاق بن راهوية، وجمع غفير من الأئمة، فهذه النقول توضح أن طائفة من أهل العلم ذهبوا إلى أن سب الصحابة فاسق ومبتدع ليس كافراً، يجب على السلطان تأديبه تأديباً شديداً لا يبلغ به القتل.

(١) - صحيح مسلم بشرح النووي ٨: ٣٢١.

والذي يترجح أن سبَّ الصَّحابة لا يكفر، لكن هذا ليس على إطلاقه، وإنما هو مشروط بعدم مصادمة النصوص الصريحة من الكتاب والسُّنة الصحيحة، وعدم إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وعلى هذا يحمل كلام من أطلق القول بعدم التكفير. والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(١)</sup>.

وحكموا على سبِّ الصَّحابة بالكفر إذا اشتمل سبه لهم على إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو اصطدم مع نص صريح، ومن أمثلة ذلك:

١ - حكموا بكفر من قال بكفر الصَّحابة جميعاً وارتدادهم إلا نفرأ يسيراً؛ لأنه قد عارض النصوص الصريحة التي أخبر الله تعالى فيها برضاه عن الصَّحابة، والتي أخبر رسول الله ﷺ عن فضلهم وأشاد بهم وبين مكانتهم إذ حال من عارض هذه النصوص كحال من كذب بها.

٢ - حكموا بكفر من كفر الشيخين؛ أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما؛ لأنه قد رد النصوص الكثيرة التي أجمعت على أنها من أفضل المؤمنين، ومن أهل عليين.

٣ - حكموا بكفر من نسب الصديقة الطاهرة عائشة إلى الفاحشة، أو أنكر براءتها مما رماها به رأس المنافقين، فهذا يقطع بكفره؛ لأنه طعن في المبرأة من فوق سبع سماوات، وكذب النص الصريح الذي حكم ببراءتها وخالف الله تعالى في قوله:

﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ١٧).

قال الملا على القارئ: «وإذا كان لكل فريق أدلته على ما ذهب إليه؛ فالقول الذي تطمئن إليه النفس؛ ويرتاح إليه القلب، أن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم، وعدالتهم، فإنه يكفر بهذا، لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها لأنهم هم الناقلون لها، أما من سب أحداً من الصَّحابة فهو فاسق، ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد إنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصَّحابة فإنه كافر بالإجماع».

(١) - باختصار من مفهوم عدالة الصَّحابة للذهبي: ٢٢.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الصحابة...، وجميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم، ويطلب حقه في التقديم، فهؤلاء قد كفروا... لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها»<sup>(١)</sup>.

وقال الدمياطي: وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: يقول الله تعالى: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، وفي رواية (فقد استحلت محارمي)، ولا شك أنا نتحقق ولاية العشرة، فمن آذى واحداً منهم فقد بارز الله تعالى بالمحاربة ولا يلزم هذا في غيرهم إلا من تحققت ولايته بإخبار الصادق<sup>(٢)</sup>.

وقال مصطفى بن سعد الرحبياني: وإن سب الصحابة سباً لا يقدر في عدالتهم ولا دينهم مثل من وصف بعضهم ببخل أو جبن أو قلة علم أو عدم زهد ونحوه؛ فهذا يستحق التأديب والتعزير، ولا يكفر، وأما من لعن وقبح مطلقاً، فهذا محل الخلاف أعني هل يكفر أو يفسق؟ توقف أحمد في كفره وقاتله، وقال: يعاقب ويجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عن ذلك، وفي الفتاوى المصرية لابن تيمية يستحق عقوبة بليغة باتفاق المسلمين<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، أو فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين... وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام<sup>(٤)</sup>.

(١) - عدالة الصحابة للشريبي: ١٢٠.

(٢) - إعيانة الطالبين ٤: ١٥٦.

(٣) - في كتابه: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ١٨: ٣٧٧.

(٤) - الصارم المسلول: ٥٨٦.

وكذلك عدوا من سبهم فاسقاً مردود الشهادة، فعن أبي يوسف: لا أقبل شهادة  
من سب الصَّحابة<sup>(١)</sup>.

وقال الماوردي: من سب الصَّحابة أو لعنهم أو كفرهم فهو فاسق مردود  
الشهادة<sup>(٢)</sup>.

وقال الدمياطي: من قذف عائشة رضي الله عنها فإنه كافر، أي لأنه كذب الله  
تعالى، وقال السبكي في الحلبيات: في تكفير من سب الشيخين وجهان لأصحابنا، فإن لم  
نكفره فهو فاسق لا تقبل شهادته، ومن سب بقية الصَّحابة فهو فاسق مردود الشهادة،  
ولا يغلط فيقال شهادته مقبولة<sup>(٣)</sup>.

وقال الرعييني: يجب الهروب من بلد يسمع فيها سب الصَّحابة - رضوان الله  
عليهم أجمعين - ولو كان مكة والمدينة فهذا سفر الهروب<sup>(٤)</sup>.



---

(١) - الدر المختار ٥: ٢٧.

(٢) - مغني المحتاج ١٩: ٣٨٦.

(٣) - إعيانة الطالبين ٤: ٣٣٣.

(٤) - مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٥: ١١٩.

## الباب الثاني

تلقي الصحابة للقرآن الكريم وعنايتهم بضبطه ونقله

**الفصل الأوّل:** حفاظ القرآن ورواته من الصحابة

**الفصل الثاني:** جمع الصحابة للقرآن

**الفصل الثالث:** جهود الصحابة في تعليم القرآن ومنهجهم فيه

**الفصل الرابع:** تدبر الصحابة للقرآن

**الفصل الخامس:** أقوالهم في أخلاق حامل القرآن

**الفصل الأوّل:** حفاظ القرآن ورواته من الصحابة

حفظ كثير من الصحابة القرآن الكريم كاملاً على عهد رسول الله ﷺ، فممن حفظه من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة وسعد وابن مسعود، وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله، ومعاوية وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة وأم سلمة وأم ورقة، وممن حفظه من الأنصار: زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي ابن كعب، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد الأنصاري أحد عمومة أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم<sup>(١)</sup>.

عن أنس رضي الله عنه قال: «جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت»، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: «جمع القرآن في زمان رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء»

(١) - تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي: ٦٠.

(٢) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن ثابت (٣٥٢٦)، وفي كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٤٦١٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بن كعب (٤٥٠٧).

(١)

وعن عامر الشعبي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء، وسعد بن عباد، وأبي بن كعب»، وفي حديث زكريا: وقد كان جارية بن مجمع قد قرأه إلا سورة أو سورتين<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب)<sup>(٣)</sup>.

وليس هذا معناه الحصر، قال الكرمانى: يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده: أي أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك. وتعقب بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر، ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمناً طويلاً.

فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان سعد بن عبيد يدعى في زمان النبي ﷺ القارئ»<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه البخاري في التاريخ الصغير ١: ٦٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦: ١٩٤.

(٢) - رواه الطبراني في الكبير (٢٠٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٧٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٣٠٩، (٤٤٦٣).

(٣) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب (٣٥٢٤)، وفي كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٤٦١٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود (٦٤٨٨).  
(٤) - الإتيقان ١: ٥٦.

(٥) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣: ٥٤٣، (٦٦٤٢)، و ٥: ٢٧٤، (٩٥٨٨)، والطبراني في الكبير (٥٣٦٠)، وابن سعد في

وقد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن: قيس بن أبي صعصعة، وسعد بن المنذر بن أوس<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلاً، فعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أتاه رِعْلٌ وذُكْوَانٌ وعُصَيَّةٌ وبنو حَيَّانٍ فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدُّوه على قومهم فأمدهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار، قال أنس: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم، فقنت شهراً يدعو على رِعْلٍ وذُكْوَانٍ وبنو حَيَّانٍ<sup>(٢)</sup>.

وكذلك قتل كثير من القراء يوم اليمامة، فقد قال عمر رضي الله عنه: إنَّ القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن<sup>(٣)</sup>. وقال القرطبي: قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ﷺ بئر معونة مثل هذا العدد. قال: وإنما خَصَّ أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم<sup>(٤)</sup>.

وعن ثابت قال: كنا عند أنس بن مالك فكتب كتاباً بين أهله فقال: اشهدوا يا معشر القراء قال ثابت: فكأنني كرهت ذلك، فقلت: يا أبا حمزة لو سميتهم بأسمائهم، قال: وما بأس ذلك أن أقل لكم قراء، أفلا أحدثكم عن إخوانكم الذين كنا نسميهم على عهد رسول الله ﷺ القراء، فذكر أنهم كانوا سبعين، فكانوا إذا جنَّهم الليل انطلقوا إلى مُعَلِّمٍ لهم بالمدينة، فيدرسون الليل حتى يصبحوا<sup>(٥)</sup>.

الطبقات الكبرى ٣: ٤٥٨.

(١) - فتح الباري ٩: ٥٣.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب العون بالمدد (٢٨٣٦).

(٣) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (٤٦٠٣).

(٤) - الإتيقان ١: ٨٣، وانظر فتح الباري ٩: ٥٢.

(٥) - رواه أحمد في المسند (١١٩٥٣) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٣٥٢٥)، وفي الأوسط (٣٩٣٥)، وفي الصغير

(٥٣٧)، وأبو عوانة في مستخرجه (٥٩٣٧)، وعبد بن حميد في مسنده (١٢٨١).



وحدث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قنت شهراً بعد الركوع يدعو على أحياء من بني سليم، قال: بعث أربعين أو سبعين يشك فيه من القراء إلى أناس من المشركين فعرض لهم هؤلاء فقتلوهم، وكان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فما رأته وجد على أحد ما وجد عليهم<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل فاقراه في شهر، فقلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي، قال فاقراه في عشرة قلت دعني أستمع من قوتي وشبابي قال: فاقراه في سبع، قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي فأبى<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث: وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميتها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له: تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمراض مرضاكم، لعل الله تعالى يهدي لي شهادة قال: إن الله تعالى يهدي لك شهادة فكان يسميها الشهيدة، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها حتى عدا عليها جارية ولام لها كانت دبّرتهما، فقتلها في إمارة عمر، فقيل له: إن أم ورقة عدا عليها غلامها وجاريتها فقتلها، وإنما هربا، فأتي بهما فصلبهما، فكانا أول مصلوبين بالمدينة، فقال عمر ﷺ: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: انطلقوا نزور الشهيدة<sup>(٣)</sup>.

وعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة»<sup>(٤)</sup>.

وقال الزركشي: حفظ القرآن في حياته ﷺ جماعة من الصحابة وكل قطعة منه

(١) - رواه البخاري في كتاب الجزية، باب دعاء الإمام على من نكث عهداً، (٢٩٣٤).

(٢) - رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يحتم القرآن (١٣٣٦) وأحمد في المسند (٦٢٢٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٩٥٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٥٧) والفريابي في فضائل القرآن (١١٣).

(٣) - رواه الطبراني في الكبير (٢٠٨٣٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ٣: ١٣٠، وفي دلائل النبوة (٢٦٦٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٤١٦)، وابن راهويه في مسنده (٢٣٨١).

(٤) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٤٦١٦).

كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حد التواتر<sup>(١)</sup>.

وقال الماوردي: وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة والصحابة متفرقون في البلاد وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر أبو عبيد في «كتاب القراءات» القراء من أصحاب النبي ﷺ، فعَدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالمًا وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة. ومن الأنصار: عبادة بن الصّامت ومعاذ بن جبل الذي يكنى أبا حليلة ومُجمّع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما أكمله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس، وعدّ ابن أبي داود منهم تيمماً الداري وعقبة بن عامر. ومن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجزري عن أبي بن كعب: قرأ عليه القرآن من الصحابة: ابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب ومن التابعين عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله ابن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية الرياحي<sup>(٤)</sup>.

وقال عن زيد بن ثابت: وقرأه عليه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن التابعين أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية الرياحي، قيل: وأبو جعفر<sup>(٥)</sup>.



(١) - البرهان في علوم القرآن ١: ٢٤١.

(٢) - البرهان في علوم القرآن ١: ٢٤٢.

(٣) - الإتقان ١: ٨٣، وانظر: سبل الهدى والرشاد ١١: ٣٣٠.

(٤) - غاية النهاية في طبقات القراء: ١٣.

(٥) - غاية النهاية في طبقات القراء: ١٣٠.

## الفصل الثاني: جمع الصحابة للقرآن

جمع القرآن - بمعنى كتابته - مر بثلاث مراحل، الأولى: في عهد النبي ﷺ، فقد اتخذ النبي ﷺ كتاباً من الصحابة، فكان القرآن يكتب كله بين يدي رسول الله ﷺ على الرقاع والأضلاع والحجارة والسعف، وكانت الآية من القرآن تنزل على رسول الله ﷺ فيأمر كاتب الوحي بكتابتها في موضع كذا من سورة كذا، واستمر الأمر على هذه الحال حتى وفاة النبي ﷺ فلم يقبض رسول الله ﷺ إلا والقرآن محفوظ مكتوب لا ينقصه إلا الجمع في مصحف واحد. وهذا هو الجمع الأوّل.

المرحلة الثانية: ثم جمع في عهد أبي بكر الصديق، فعن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليّ أبو بكر مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عَمْرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عَمْرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَحْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لِأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعَمْرٍ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَمْرٌ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَمْرٌ يِرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدُنْكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عَمْرٌ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَمْرٌ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا تَنْهَمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٌ، فَقَمْتُ فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتافِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة: ١٢٨. إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر<sup>(١)</sup>. وهذا هو الجمع الثاني.

المرحلة الثالثة: ثم جاءت خلافة عثمان ﷺ وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط

(١) - رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، (٤٣١١)، وفي كتاب

فضائل القرآن باب جمع القرآن (٤٦٠٣)، وفي كتاب الأحكام، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، (٦٦٥٤).

العرب الفاتحون بالأمم التي لا تعرف العربية، وخيف على القرآن نفسه أن يختلف المسلمون فيه إن لم يجتمعوا على مصحف إمام فتكون فتنة في الأرض، فعن أنس بن مالك قال: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ عثمان فقال: «عندي تكذبون به وتختلفون فيه، فمن نأى عني كان أشد تكذيباً، وأكثر لحناً»<sup>(١)</sup>؛ لهذا أمر عثمان رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف إمام وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى أقطار الإسلام وأن يحرق الناس كل ما عداها ولا يعتمدوا سواها. وهذا هو الجمع الثالث.

### الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنه:

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قروه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئه بعض، فخشى من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرص والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٢٦٤٦).

(٢) - الإتيان ١: ٦٩.



## الفصل الثالث: جهود الصحابة في تعليم القرآن ومنهجهم فيه

### ١- إلقاء الصحابة للقرآن:

وقد اشتهر جماعة من الصحابة بإقراءهم القرآن، قال الإمام السيوطي: المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان وعليّ وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه، كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء قال: وقد قرأ عليّ أبيّ جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم. وبمكة: عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة. وبالكوفة علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خيثم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبش وعبيد بن نضيلة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وبالبحرين: أبو عالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر والحسن ابن سيرين وقتادة. وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء <sup>(١)</sup>.

وعن رزين بن حصين رضي الله عنه قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما بلغت الحواميم، قال لي: قد بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت اثنتين وعشرين آية من ﴿حَمَّ ۝ ١ عَسَقَ ۝ ٢﴾ الشورى بكى ثم قال: اللهم إني أسألك إخبارات المخبئين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل بر، والسّلامة من كل إثم، ورجوت رحمتك والفوز بالجنة والنجاة من النار، ثم قال: يا رزين، إذا ختمت فادع بهذه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أدعو بهن عند

(١) - الإتيان ١: ٨٦.

ختم القرآن<sup>(١)</sup> .

وكان أبو موسى الأشعري يعلم الناس القرآن، وخاصة عندما كان والياً على أهل البصرة، فعن أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيّس، ولا تسمعها إياه<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي الأسود الديلي قال: جمع أبو موسى القراء فقال: لا يدخلن عليكم إلا من جمع القرآن، قال: فدخلنا زهاء ثلاثمائة رجل فوعظنا وقال: أنتم قرّاء هذا البلد وأنتم، فلا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب<sup>(٣)</sup> .

**٢- الجمع بين العلم والعمل:** عن ابن مسعود قال: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»<sup>(٤)</sup> .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يُقرئونا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً»<sup>(٥)</sup> .

وعن ابن عمر قال: «تعلّم عمر بن الخطاب ﷺ البقرة في اثني عشرة سنة فلما أتمها نحر جزوراً»<sup>(٦)</sup> .

(١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩: ٦٣، عن ابن النجار في تاريخه. ورواه ابن الشجري في الأمالي الشجرية ١: ٩٥ .

(٢) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٤٥، و٤: ١٠٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢: ٦٩، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٣٩٠ .

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٢٠٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٢٥٧ .

(٤) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٣٥ .

(٥) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨٠، والفريابي في فضائل القرآن (١٥٣) .

(٦) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٨٦، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ١:

وقال عمر: «تعلموا كتاب الله تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله»<sup>(١)</sup>.

### ٣- إرسال عمر القراء إلى أهل الشام:

عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن صامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا<sup>(٢)</sup>، وملئوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتسأهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم لأبي بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس وجوه مختلفة، منهم من يلحقن فإذا رأيتن ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتن منهم فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو الدرداء (عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضيههم) كما قال الإمام الذهبي<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم قال: قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندنا يعني في مجلسنا هذا. قال: قال أبو عبيد الله: فعددت ألفاً وستمائة ونيفاً، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء قائماً يستفتونه في

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ١٦٥.

(٢) - قال ابن منظور: ورَبَل بنو فلان يَرَبُّونَ كثرَ عَدَدَهُمْ وَنَمَوْا وقال ثعلب رَبَل القومُ كَثُرُوا أو كَثُرَ أولادهم وأمواهم. لسان العرب مادة (ربل).

(٣) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧: ١٣٧.

(٤) - تذكرة الحفاظ ١: ٢٤.

حروف القرآن يعني المقرئين، فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء، وكان أبو الدرداء يبتدىء في كل غداة إذا انفتل من الصلاة فيقرأ جزءاً من القرآن وأصحابه محذون به يسمعون ألفاظه، فإذا فرغ من قراءته جلس كل رجل منهم في موضعه وأخذ على العشرة الذين أضيفوا إليه وكان ابن عامر مقدماً فيهم<sup>(١)</sup>.

#### ٤- تكريم حفاظ القرآن:

عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على أهل الوادي فقال ابن أبنى. قال ومن ابن أبنى قال مولى من مواليها. قال فاستخلفت عليهم مولى قال إنه قارئ لكتاب الله ﷻ وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)<sup>(٢)</sup>.

وعن قرظة بن كعب قال لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا: نعم، تكرمة لنا، قال: ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم، فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي كنانة القرشي في حديث رواه في قدوم أبي موسى الأشعري البصرة بعد المغيرة بن شعبة قال: فلم يأت علينا شهران حتى ختم سبعة منا القرآن، أحدهم غنيم بن قيس، فأوفدهم الأشعري إلى عمر بن الخطاب، فلما قدموا عليه فرض لهم ألفين

(١) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ١: ٣٢٨، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٣٤٦.

(٢) - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلمه (١٩٣٤).

(٣) - تذكرة الحفاظ ١: ٧.



ألفين<sup>(١)</sup>.

وقد كتب عمر إلى أمراء جنوده ليذكروا له من حفظ القرآن حتى يكرمهم ويأمرهم بتعليم الناس، فعن كنانة العدوي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد أن ارفعوا إلي كل من حمل القرآن، حتى أحققهم في الشرف من العطاء وأرسلهم في الآفاق، يعلمون الناس، فكتب إليه الأشعري: إنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال، فكتب عمر إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قيس ومن معه من حملة القرآن، سلام عليكم، أما بعد؛ فإن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم شرفاً وذخراً، فاتبعوه ولا يتبعنكم، فانه من اتبعه القرآن زخ في قفاه<sup>(٢)</sup>، حتى يقذفه في النار، ومن تبع القرآن ورد به القرآن جنات الفردوس، فليكونن لكم شافعاً إن استطعتم، ولا يكونن بكم ماحلاً فإنه من شفع له القرآن دخل الجنة، ومن محل به القرآن دخل النار واعلموا أن هذا القرآن ينابيع الهدى، وزهرة العلم، وهو أحدث الكتب عهداً بالرحمن به يفتح الله أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»<sup>(٣)</sup>.

وروى سفيان بن عيينة عن الزهري قال: «كان جلساء عمر بن الخطاب أهل القرآن شباباً وكهولاً»<sup>(٤)</sup>.

### ٥- عقوبة من يثير شبهات للناس في القرآن:

عن سليمان بن يسار: أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبد الله عمر. فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧: ١٢٣.

(٢) - قال ابن منظور: زَخَّه يَزُخُّه زَخًّا، دفعه في وَهْدَةٍ، وَزَخَّ فِي قَفَاهُ يَزُخُّ زَخًّا دَفْعًا، وَيَزُخُّ فِي قَفَاهُ أَي يَدْفَعُهُ حَتَّى يَقْدِفَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. لسان العرب مادة (زخخ).

(٣) - ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٢: ٢٨٥، ونسبه إلى ابن زنجويه.

(٤) - الاستيعاب ١: ١٢٠، والجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه: ١٣٩.

أجد في رأسي<sup>(١)</sup>.

وقد قال عمر رضي الله عنه: «إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»<sup>(٢)</sup>.



### الفصل الرَّابِع: تدبر الصَّحابة للقرآن وحثهم على ذلك

عن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتحنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضاً<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال: هَذَا كَهَذَا الشُّعْرُ؟! لقد عرفت النظائر التي كان النَّبِيُّ ﷺ يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في كل ركعة<sup>(٤)</sup>.

ورواية مسلم عن أبي وائل قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف ألفا تجده أم ياء {من ماء غير آسن} أو {من ماء غير ياسن} قال: فقال عبد الله: وكل القرآن قد أحصيت غير هذا؟ قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة فقال عبد الله: هَذَا كَهَذَا الشُّعْرُ، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز

(١) - رواه الدارمي في سننه (١٤٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧٩٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٠٥)، والآجري في الشريعة (١٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣: ٤١١، وذكره الخطابي في الغنية عن الكلام وأهله: ٣٦.

(٢) - رواه الدارمي في سننه (١٢١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٥) و (٢٣٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٦)، والآجري في الشريعة (١٠٠).

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٤٩ والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٥٦)، وأبو نعيم في الحلية ١: ٥١.

(٤) - رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة والقراءة بالخواصم وبسورة، (٧٣٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيب القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، (١٣٦١). قال ابن منظور: الهذُّ والهذدُّ: سرعة القطع وسرعة القراءة هذَّ القرآن يهذُّه هَذَا يقال هو يهذُّ القرآن هَذَا ويهذُّ الحديث هَذَا: أي يسرُّه، وأراد: أتمَّهذُّ القرآن هَذَا: أي تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ونصبه على المصدر. لسان العرب مادة (هذذ).

تراقبهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حمزة لابن عباس: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين. فقال ابن عباس: «لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إلي من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً لا بدّ فأقرأه قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: قرأت الليلة آية أسهرتني ﴿ **أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ** ﴾ البقرة: ٢٦٦. فقرأها كلها فقال: ما عني بها؟ فقال بعض القوم: الله أعلم. فقال: إني أعلم أن الله أعلم، ولكن إننا سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها شيئاً أن يخبر بما سمع؟ فسكتوا، فرآني وأنا أهمس قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك، قلت: عني بها العمل. قال: وما عني بها العمل؟ قلت: شيء ألقى في روحي فقلته. فتركني وأقبل وهو يفسرها صدقت يا ابن أخي عني بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبرت سنه وكثر عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا ابن أخي<sup>(٣)</sup>.

وعن عبيد بن عمير قال: قال عمر يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿ **أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ** ﴾ البقرة: ٢٦٦. قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: ، قولوا: نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: «لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله»<sup>(٤)</sup>.

## الفصل الخامس: تعليمهم أخلاق حامل القرآن وآدابه

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون،

(١) - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، (١٩٤٥).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢: ٣٩٦، (٤٢٣٢)، و٣: ١٣ (٤٩٠٢) وفي شعب الإيمان (٢١٥٩).

(٣) - ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢: ١٨٨، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، ورواه ابن أبي حاتم وكذا في كنز العمال ٢: ٣٥٦.

(٤) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢: ٥٢٣.

وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون،  
وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون»  
(١)

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، ولا تزيدوا الخشوع  
على ما في القلب، استبقوا في الخيرات ولا تكونوا عيالاً على الناس فقد وضح الطريق»  
(٢)

وعن علي قال: «مثل الذي جمع الإيمان وجمع القرآن مثل الأترجة الطيبة الطعم،  
ومثل الذي لم يجمع الإيمان ولم يجمع القرآن مثل الحنظلة خبيثة الطعم وخبيثة الريح»  
(٣)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر،  
فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله» (٤).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبَكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ» (٥).



(١) - رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٦) واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٣٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٠٧)، وفي المدخل إلى السنن الكبرى (٤٥١)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٩٥)، وأحمد في الزهد: ١٦٢، والفزاري في السير (٢٤٢).

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٢١٦)، وابن الجعد في مسنده (١٩٢١)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٠٨)، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٣٧)، وأبو نعيم في الحلية ٧: ٧١، بلاغاً وهذا لفظه.

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ١٨٩، وابن الشجري في الأمالي الشجرية ١: ٥٨.

(٤) - رواه البيهقي في الآداب (٨٥٦)، وفي شعب الإيمان (٢٠١٧) والطبراني في الكبير (٨٦٥٧)، وابن الجعد في مسنده (١٩٥٦)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٨)، وابن المبارك في الزهد (١٠٩٧).

(٥) - رواه أبو نعيم في الحلية ٧: ٣٠٠، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٧٥).

## الباب الثالث

### جهود الصحابة رضي الله عنهم في حفظ السنة النبوية تحملاً وأداءً

- ويشتمل على أربعة فصول:
  - **الفصل الأول: حرص الصحابة على سماع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه وضبطه وتبليغه** وفيه تسعة مباحث:
  - **المبحث الأول: التناوب في الحضور إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وتحديث بعضهم لبعض.**
  - **المبحث الثاني: شدة التحري والتثبت في الرواية.**
  - **المبحث الثالث: إقلال الصحابة من الرواية وأسبابه.**
  - **المبحث الرابع: الصحابة المكثرون للرواية وعددهم.**
  - **المبحث الخامس: رحلة الصحابة في طلب الحديث.**
  - **المبحث السادس: تحديث الناس بما يعرفون.**
  - **المبحث السابع: مقاومة الصحابة للوضع.**
- **الفصل الثاني: سؤال الصحابة عن الإسناد واهتمامهم به،** وفيه ثلاثة مباحث:
  - **المبحث الأول: أهمية الإسناد وخصوصية هذه الأمة به.**
  - **المبحث الثاني: اهتمام الصحابة بعلو الإسناد.**
  - **المبحث الثالث: سؤال الصحابة عن الإسناد.**
- **الفصل الثالث: اهتمام الصحابة بنقد متن الحديث،** وفيه مبحثان:
  - **المبحث الأول: معنى نقد المتن وأهميته.**
  - **المبحث الثاني: نقد الصحابة للمتن ومستندهم فيه.**

• الفصل الرابع: اهتمام الصحابة بكتابة الحديث وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: كتابة الأحاديث النبوية والموقف منها.
- المبحث الثاني: الجمع بين أحاديث النهي والإباحة.
- المبحث الثالث: مَنْ عُرِفَ من الصحابة بكتابة الحديث.



اهتم الصحابة رضي الله عنهم بسماع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية أفعاله وتطبيقها وتبليغها للناس فقد كانوا يمثلون بما يسمعون منه، وينقلون إلى الناس أحاديثه، ويعلمونهم ما تعلموا من نبيهم صلى الله عليه وسلم، وقد حرص بعضهم على ملازمته، وعدم الاشتغال بأمر الدنيا وآثر حياة الفقر، في سبيل أخذ الحديث والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلوا الجهود العظيمة في ذلك، فسئوا لمن بعدهم هذا الطريق، وتركوا الآثار العظيمة في حفظهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الجهود:

### الفصل الأول

#### حرص الصحابة على سماع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه وضبطه وتبليغه

كان للصحابة عناية شديدة، وحرص عظيم في حفظ السنة ومعرفة الحديث، وفي نقله لمن لم يبلغه، فقد كان من الصحابة مَنْ يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأجل سماع حديثه ونقله إلى الناس، كالصحابي أبي هريرة فإنه قال: «إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودي ولا صفق بالأسواق إني إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة يعلمنيها وأكلة يطعمنيها فقال له ابن عمر أنت يا أبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وأعلمنا بحديثه»<sup>(١)</sup>.

وعرف أبو هريرة بحرصه الشديد على أخذ الحديث عن رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه<sup>(٢)</sup>.

كما كان منهم من يتناوبون النزول على رسول الله ﷺ، لانشغال الناس بأعمالهم، فيخبر بعضهم بعضاً.

وكانوا يحضرون أبناءهم إلى مجالس رسول الله ﷺ، حرصاً على الفائدة، وقد وردت أحاديث كثيرة عن صحابة تحملوا الأحاديث وهم صغار حيث إنهم لقوا رسول الله ﷺ وهم دون البلوغ، مثل روايات أنس بن مالك وابن عباس وابن الزبير والبراء بن عازب، وابن عمر، وغيرهم.

بل منهم من توفي النبي ﷺ ولم يبلغوا، كابن الزبير، والحسن والحسين، وعمر بن أبي سلمة، وابن عباس، ومحمود بن الربيع، وعبد الله بن جعفر، والمسور بن مخرمة، وسهل بن أبي حثمة، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن حنظلة، وأبي الطفيل الكناني، والنعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد، وقرّة بن إياس، وقثم بن العباس، وغيرهم ﷺ، وهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وعن سهل بن سعد ﷺ، وكان من أصحاب النبي ﷺ وسمع منه قال: «كنت

(١) - رواه أحمد في المسند (٤٢٢١)، وعبد الرزاق في مصنفه ٣: ٤٥٠، (٦٢٧٠)، والطيالسي في مسنده (٢٦٩٥).

(٢) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٩٧)، وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار، (٦٠٨٥).

(٣) - انظر: واجب الأمة نحو نبي الرحمة للدكتور خليل ملا خاطر: ٨٦ وما بعدها.

ابن خمس عشرة سنة يوم توفي رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «توفي رسول الله ﷺ، وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي بن المديني: «حفظ المسور بن مخرمة، وهو ابن ثمان، وقال: حفظ عمر بن أبي سلمة، عن النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين، وكذلك السائب بن يزيد، وكذلك سهل بن أبي حثمة، وثابت بن الضحاك الأشهلي، هؤلاء أبناء ثمان سنين، فأما عبد الله بن حنظلة الراهب، فإن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن سبع سنين وله رواية»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو الطفيل ﷺ: «أدركت ثمان سنين من حياة رسول الله ﷺ، وولدت عام أحد»<sup>(٤)</sup>.

وعن مسلمة بن مخلد ﷺ قال: «ولدت مقدم النبي ﷺ المدينة، ومات وأنا ابن عشر»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية عنه قال: «قدم النبي ﷺ المدينة، وأنا ابن أربع سنين، ومات وأنا ابن أربع عشرة»<sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام الحاكم: قد روى عنه ﷺ من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة،

---

(١) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (١١٨)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٥٤).

(٢) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، (٤٦٤٧).

(٣) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٥٨).

(٤) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٥٩).

(٥) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٤١، و٨: ٤٥٩، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٥٣٠)، والطبراني في الكبير،

(١٦٤٠٥)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٠).

(٦) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦١)، وهذه الرواية عن عبد الرحمن بن مهدي، والرواية السابقة عن وكيع،

وفي المحدث الفاصل: وإذا اختلف وكيع وعبد الرحمن، فعبد الرحمن أثبت لأنه أقرب عهداً بالكتاب.



وصحبوه نيفاً وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة، ثم بالمدينة بعد الهجرة، وحفظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركاته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده وعبادته، وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه، وزجره، وخطبته، وأكله وشربه، ومشيه وسكوته، وملاعبته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبته إلى المسلمين والمشركين، وعهوده وموثيقه، وألحظه وأنفاسه وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام، وتحاكموا فيه إليه<sup>(١)</sup>.

وقد حض النبي ﷺ أصحابه على تبليغ الحديث عنه في أحاديث كثيرة، فمن ذلك: أنه دعا لهم فقال: (نَصَّرَ اللهُ امراً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فربَّ حامل فقهه إلى من هو أفقه منه ورُبَّ حامل فقهه ليس بفقيه)<sup>(٢)</sup>.  
وقال ﷺ في خطبته: (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب)<sup>(٣)</sup>.  
وقال: (بلغوا عني ولو آية)<sup>(٤)</sup>.

وأوصاهم بحسن الاستقبال لطلاب العلم، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إنه سيضرب إليكم في طلب العلم، فرحبوا ويسروا وقاربوا»<sup>(٥)</sup>.  
وعن أبي سعيد الخدري أنه كان إذا رأى الشباب قال: «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا أن نحفظكم الحديث، ونوسع لكم في المجالس»<sup>(٦)</sup>.

وقال أبو هارون العبدى: كنا إذا أتينا أبا سعيد، قال: مرحباً بوصية رسول الله

(١) - المدخل إلى أصول الحديث: ٨٧، نقلاً عن واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ: ٩٩.

(٢) - رواه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، (٣١٧٥)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (٢٥٨٠)، وابن ماجه باب من بلغ علماً، (٢٢٦)، وأحمد في المسند (٢٠٦٠٨).

(٣) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب ليلعلم الشاهد الغائب (١٠٢).

(٤) - رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٢٠٢).

(٥) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٢١).

(٦) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (١٧).

ﷺ قلنا: وما وصية رسول الله ﷺ؟ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «سيأتي من بعدي قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاءوكم فألطفوهم وحدثوهم»<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي حاتم: ثم تفرقت الصحابة ﷺ في النواحي والأمصار والشغور، وفي فتوح البلدان والمغازي، والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كل واحد منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكموا بحكم الله ﷻ وأمضوا الأمور على ما سن رسول الله ﷺ وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل، وجردوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقديس اسمه، لتعليم الناس الفرائض والأحكام، والسنن والحلال والحرام، حتى قبضهم الله ﷻ رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، وذلك لكثرة تحمله وأخذه عن النبي ﷺ، وخوفه من كتمان العلم، فعن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله: الرحيم. البقرة.

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنف بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون<sup>(٤)</sup>.

وعنه قال: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: ابسط رداءك فبسطته، قال: فغرف بيديه ثم قال: ضُمَّهُ فُضِّمَتْهُ فَمَا نَسِيتَ شَيْئاً بَعْدَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه الراهب مزني في المحدث الفاصل (١٩)، وأبو القاسم تمام في فوائده (١٣٥).

(٢) - الجرح والتعديل ١: ٨.

(٣) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، (١١٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه إن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإنني كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطني حتى لا أكل الخمير ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقري الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها فنلحق ما فيها <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: يقولون إن أبا هريرة قد أكثر، والله الموعود ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه، وسأخبركم عن ذلك إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصنفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئاً سمعه، فبسطت بردة عليّ حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدَىٰ﴾ إلى آخر الآيتين <sup>(٣)</sup>.

## المبحث الأول

### التناوب في الحضور إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وتحديث بعضهم لبعض

فقد يعسر على بعضهم الحضور، فيتناوبون مجالسه صلى الله عليه وسلم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجلي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا

(١) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، (١١٦).

(٢) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب جعفر (٣٤٣٢).

(٣) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي (٤٥٤٩).

تتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك<sup>(١)</sup>.

ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشغولين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ فيسمعونه من أقرانهم، ومن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضنا بعضاً»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»<sup>(٤)</sup>.

عن أنس بن مالك، قال: «كنا نكون عند النبي ﷺ، وربما كنا نحوا من ستين إنساناً، فيحدثنا رسول الله ﷺ، ثم يقوم فتراجعه بيننا، هذا وهذا وهذا، فنقوم، وكأنها قد زرع في قلوبنا» فإذا أتقن كل واحد منهم الدرس، وحفظه، فليكتبه، ويكون تعويله على حفظه، فإن اضطرب عليه شيء من محفوظه رجع إلى كتابه فاستثبته منه<sup>(٥)</sup>.



## المبحث الثاني

### شدة التحري والتثبت في الرواية

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم شديدي التحري والتثبت فيما يروونه، فعن عبد الله بن

(١) - رواه البخاري في باب التناوب في العلم (٨٧).

(٢) - معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٢.

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (١٢٠٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٤١٨).

(٤) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ٢٦ (٤٦٤).

(٥) - الفقيه والمتفقه ٣: ٦٠.

الزبير رضي الله عنه أنه قال لأبيه: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان، فقال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) <sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد <sup>(٢)</sup>.

ويقول السائب بن يزيد: «صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث واحد» <sup>(٣)</sup>.

ويقول أيضاً: صحبت سعد بن أبي وقاص زماناً فلم أسمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً <sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن سيرين قال: «كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» <sup>(٥)</sup>.

وعن عبد الله أنه حدث يوماً بحديث فقال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرعد وأرعدت ثيابه وقال: أو نحو هذا أو شبه هذا» <sup>(٦)</sup>.

**تثبت الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:** قال الحافظ الذهبي: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تُورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر <sup>(٧)</sup>.

(١) - رواه البخاري في باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٤).

(٢) - رواه ابن ماجه في باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٦٣).

(٣) - رواه ابن ماجه في باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩).

(٤) - السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٠٦.

(٥) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٥٩)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٦٢).

(٦) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣٦٠).

(٧) - تذكرة الحفاظ ١: ٣، والحديث رواه النسائي في السنن الكبرى ٤: ٧٣، (٦٣٤٠).

ومن مراسيل ابن مَلِيكَة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه.

فهذا المرسل يدلّك على أن مراد الصديق: التثبّت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنن، فلما أخبره الثقة لم يكتف حتى استظهر بثقة آخر، ولم يقل: حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً في ترجمة عمر بن الخطاب ﷺ: وهو الذي سنّ للمحدثين التثبّت في النقل، وربما كان يتوقّف في خبر الواحد إذا ارتاب، روى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلّم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له، فرجع، فأرسل عمر ﷺ في أثره، فقال: لم رجعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سلّم أحدكم ثلاثاً فلم يُجِبْ فليرجع).

قال: لتأتيني على ذلك بيّنة أو لأفعلن بك، فجاءنا أبو موسى منتقماً لونه ونحن جلوس، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبرنا وقال: فهل سمع أحد منكم؟ فقلنا: نعم كلنا سمعنا، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره<sup>(٢)</sup>.

وعن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في إملاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة قال فقال عمر اتني بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن مسلمة<sup>(٣)</sup>.

(١) - تذكرة الحفاظ ١: ٣.

(٢) - تذكرة الحفاظ ١: ٦، والحديث باختلاف يسير رواه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً (٥٧٧٦)، ومسلم في كتاب الآداب باب الاستئذان (٤٠٠٦).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة، (٦٣٩٧)، ومسلم واللفظ له، في كتاب القسامة والمحاريب والقصاص والديات، باب دية الجنين، (٣١٨٨).

وقد كان عمر رضي الله عنه من وجله أن يخطئ الصاحب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم أن يقلُّوا الرواية عن نبيِّهم <sup>(١)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: «كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه محدث استحلقتة، فإذا حلف لي صدقته..» <sup>(٢)</sup>.

وعن ابن شهاب، أن أبا بكر رضي الله عنه حدَّث رجلاً، حديثاً فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر رضي الله عنه: «هو كما حدثتك أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لا أعلم» <sup>(٣)</sup>.  
وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: «كان عبد الله يمكث السنَّة لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذته الرعدة، ويقول: أو هكذا أو نحوه أو شبهه» <sup>(٤)</sup>.

وجاء بشير العدوي إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له ثم حدثه فقال له: عد لحديث كذا وكذا فعاد له، فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: «إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه، فلمَّا ركب الناس الصعب والذلُّول تركنا الحديث عنه».

وفي رواية أنه قال: «إنما كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما إذ ركبتم كل صعب وذلُّول فهيها».

وعن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع فقال ابن

(١) - انظر توجيه النظر إلى أصول الأثر ١: ٦٠.

(٢) - رواه أبو داود في كتاب الصَّلَاة، باب في الاستغفار، (١٣٠٠)، والترمذي في كتاب الصَّلَاة، باب ما جاء في الصَّلَاة عند التوبة، (٣٧١) وفي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران (٢٩٣٢)، وأحمد في المسند (٢) و (٥٣)، والنسائي في السنن الكبرى ٦: ١٠٩، (١٠٢٤٧).

(٣) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٤٥).

(٤) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٥٩).

عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»<sup>(١)</sup>.

وروى عمرو بن عبسة في حديث طويل ثم قال: فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة: انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو: يا أبا أمامة لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله، لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً، حتى عد سبع مرات ما حدثت به أبداً، ولكني سمعته أكثر من ذلك<sup>(٢)</sup>.

كما أنهم أنكروا على القصاص؛ لأنهم وجدوا في كلامهم أشياء أنكروها، فقد جلس الأسود بن سريع التميمي السعدي ليقص، فارتفعت الأصوات، فجاء الصحابي مجالد بن مسعود السلمي، فقال للناس: أوسعوا له. فقال: إني والله ما أتيتكم لأجلس إليكم، ولكني رأيتكم صنعتن شيئاً أنكروه المسلمون، فإياكم وما أنكروه المسلمون<sup>(٣)</sup>.

ومن أمانة الصحابة ودقتهم في نقل الأحاديث ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان). في رواية أن رجلاً قال: «صوم رمضان والحج»، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: «حج البيت وصوم رمضان هكذا سمعته من رسول الله ﷺ» فلم يقدم جملة قبل أخرى مع أن المعنى لا يتغير.

وقد تباينت وجهات العلماء حول رواية الحديث باللفظ أو بالمعنى، فمنهم من ذهب إلى اشتراط تحري لفظ المحدث، وأن يؤدي الحديث كما سمعه بالمحافظة على

(١) - روى هذه الروايات الإمام مسلم في مقدمة صحيحه ١: ٢٧.

(٢) - رواه مسلم في باب إسلام عمرو بن عبسة (١٣٧٤).

(٣) - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥: ٧٧٠. وانظر منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي للشيخ صلاح الدين

الإدليبي.



حروفه وكلماته دون تغيير، ولا إبدال كلمة في موضع كلمة. وكان على هذا المنهج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فعن يعفر بن روذي قال: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول: قال رسول الله ﷺ: (مثل المنافق مثل الشاة الرابضة بين الغنمين) فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على رسول الله ﷺ إنما قال رسول الله ﷺ: (مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين) <sup>(١)</sup>.

وعندما حدث سعد بن عبيدة عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (بني الإسلام على خمس: على أن تعبد الله وتكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) قال ابن عمر: «اجعل صيام رمضان آخرهن، كما سمعت من رسول الله ﷺ» <sup>(٢)</sup>.

وكان محمد بن شهاب الزهري والقاسم بن محمد ومحمد بن سيرين ورجاء بن حيوة والأعمش يتحرون الألفاظ حتى في الحروف.

قال الأعمش: كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفاً أو دالاً <sup>(٣)</sup>.

وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يتقي في حديث رسول الله ﷺ ما بين التي والتي ونحوهما، وكان مالك يتحفظ من الباء والتاء والثاء <sup>(٤)</sup>.

وروى سفيان عن الأعمش حديث: (لا تزجي صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود). قال سفيان: هكذا قال الأعمش: لا تزجي، يريد: لا تجزي <sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (٥١٧)، والحديث رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٢٧٨٤) والعائرة: الحائرة، المترددة لا تدري أيها تتبع.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (٥٢٤).

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (٥٣٢).

(٤) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (٥٣٣)، (٥٣٤).

(٥) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (٥٣٨). والحديث رواه أبو داود (٨٥٥)، والترمذي (٢٦٥)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه النسائي (١٠٢٧)، وابن حبان في صحيحه (١٨٩٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٥٩١).

وأما الرواية بالمعنى، بأن يأتي المحدث بالحديث دون التقيد بالكلمات التي سمعها، بل يبدل كلمة بكلمة في معناها، ويأتي بها في الحديث من حكم وأمر ونهي، فقد ذهب إلى جواز هذا طائفة من الصحابة والتابعين وعلماء الحديث، فقد روى عن مكحول أنه قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له: يا أبا الأسقع حدثنا بحديث سمعته عن رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان، فقال: حسبكم إذا حدثناكم على المعنى <sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: لا بأس إذا أصبت المعنى <sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ولو رأى إنسان سفيان الثوري يحدث لقال: ليس هذا من أهل العلم، يقدم ويؤخر ويشج - أي يتفنن في صياغة الكلام وأدائه - ولكن لو جهدت جهدك أن تزيله عن المعنى لم يفعل.

قال الخطيب البغدادي: ورواية حديث رسول الله ﷺ وحديث غيره على المعنى جائزة عندنا، إذا كان الراوي عالماً بمعنى الكلام وموضوعه، بصيراً بلغات العرب ووجوه خطابها، عارفاً بالفقه واختلاف الأحكام، مميزاً لما يجيل المعنى وما لا يجيله، وكان المعنى أيضاً ظاهراً معلوماً، وأما إذا كان غامضاً محتملاً فإنه لا يجوز رواية الحديث على المعنى، ويلزم إيراد اللفظ بعينه، وسياقه على وجهه، وقد كان في الصحابة رضوان الله عليهم من يتبع روايته الحديث عن النبي ﷺ بأن يقول: «أو نحوه» «أو شكله»، «أو كما قال رسول الله ﷺ» والصحابة أرباب اللسان، وأعلم الخلق بمعاني الكلام، ولم يكونوا يقولون ذلك إلا تخوفاً من الزلل، لمعرفة ما في الرواية على المعنى من الخطر <sup>(٣)</sup>.



(١) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب ٢: ٣١.

(٢) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ٣٢.

(٣) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ٣٤.

## المبحث الثالث

### إقلال الصحابة من الرواية وأسبابه

قال الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله تعالى: ولشدة عنايتهم بالحديث أقلوا من الرواية، وأنكروا على من أكثر منها، إذ الإكثار مَظِنَّةُ الخطأ، والخطأ في الحديث عظيم الخطر، روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان، فقال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار) <sup>(١)</sup>، وروى عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) <sup>(٢)</sup>.

وكان كثير من جَلَّةِ الصَّحَابَةِ وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يُقَلُّون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً، كسعید بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وقال علي رضي الله عنه: «كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه محدّث استحلّفته، فإن حلف لي صدقته، وإنّ أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر» <sup>(٣)</sup>.

أفما ترى تشديد القوم في الحديث، وتوقّي من أمسك، كراهية التحريف أو الزيادة في الرواية أو النقصان، لأنهم سمعوه يقول: (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من

(١) - رواه البخاري في باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٤)، ومسلم في باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤).

(٢) - رواه البخاري في باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٥)، ومسلم في باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

(٣) - سبق تخريجه.

النار) (١).

وروى مطرفٌ بن عبد الله أن عمران بن حصين قال: «والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله ﷺ يومين متتابعين لا أعيد حديثاً، ولكن بطأني عن ذلك أن رجالاتاً من أصحاب رسول الله ﷺ شهدت كما شهدوا، وسمعت كما سمعوا، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون ولقد علمت أنهم لا يألون عن الخير فأخاف أن يُشبهَ لي كما تُشبهَ لهم» (٢).

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ود أخاه كفاه أياه، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أخاه كفاه إياه» (٣).

وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً قال: كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: (إن من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم). فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت فقال النبي ﷺ: (هي النخلة) (٤).

وقال عمر: «أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم» (٥).

وعن السائب بن يزيد قال: «صحبت سعد بن أبي وقاص سنة، فما سمعته

(١) - سبق تخريجه.

(٢) - رواه أحمد في المسند (١٩٠٤٧)، انظر توجيه النظر إلى أصول الأثر ١: ٥٧.

(٣) - رواه الدارمي في سننه (١٣٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٥٤)، وأبو خيثمة في كتاب العلم: ١٠، والآجري في أخلاق العلماء (٧٦) وابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٨) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٤١٩، وزهير بن حرب في العلم (٢١).

(٤) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب الفهم في العلم (٧٢)، ومسلم في باب مثل المؤمن مثل النخلة (٧٢٧٧).

(٥) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٧٠).

يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً»<sup>(١)</sup>.

وعن عون بن عبد الله قال: «أحصينا حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله

ﷺ فإذا بضعة وخمسون حديثاً»<sup>(٢)</sup>.

فقال عطاء: سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: لولا آيتان أو قال آية من كتاب الله ﷻ

ما حدثت بشيء أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾<sup>(٣)</sup> البقرة. قال عطاء: «لولا هذه

الآية ما حدثت بشيء أبداً»<sup>(٣)</sup>.

وهذا راجع إلى الخوف من الوقوع في الإثم أو الخطيئة، لأن أقوال الرسول ﷺ

وأفعاله تعد الركن الثاني في التشريع الإسلامي.

كما كان عمر ﷺ يتشدد على المكثرين من الرواية، أو من جاء بحديث يتضمن

حكما دون أن يكون لديه شاهد على ما يقول.

قال ابن قتيبة: وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في

الحكم لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم أن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس

فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي.

وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير وأبي

عبدة والعباس بن عبد المطلب ﷺ يقلون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي

(١) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٧٨).

(٢) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٧٩).

(٣) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٦٦٧).

شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ولقد تبعهم من بعدهم من التابعين ومن بعدهم على ذلك<sup>(١)</sup>.

وهذا التثبت من الصحابة رضوان الله عليهم كان الحامل لهم عليه هو ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحر وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على رسول الله ﷺ من حيث شعروا أو لم يشعروا، ويدلك على ذلك قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: «أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ».



### المبحث الرابع: الصحابة المكثرون للرواية وعددهم

اختلف العلماء في عدد الرواة من الصحابة فقد نقل الحافظ ابن كثير عن الحاكم أنه قال: «يروى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي»<sup>(٢)</sup>.

ويرى الحافظ الذهبي أن الرواة عن النبي ﷺ ألف وخمسمائة، فقد نقل الحافظ الذهبي عن الحاكم أيضاً أنه قال: الرواة عن النبي ﷺ أربعة آلاف، وتعقبه بقوله بأنهم لا يصلون إلى ألفين بل هم ألف وخمسمائة<sup>(٣)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير: والذين روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته واطلاعه واتساع رحلته وإمامته فمن الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفساً، ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك ما يقارب من ثلاثمائة صحابي أيضاً<sup>(٤)</sup>.

(١) - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري: ٣٠.

(٢) - البداية والنهاية ٥: ٣٧٨.

(٣) - التجريد ١: ٢، الإصابة ١: ٥ فتح المغيث ٣: ١٢٣.

(٤) - البداية والنهاية ٥: ٣٧٨.

ومن حرصهم على تبليغ الحديث ظهر المكثرون للرواية عن رسول الله ﷺ،  
وهم جماعة وعلى رأسهم أصحاب الألوף الذين تجاوز الحديث عنهم الألف، وهم  
سبعة:

- ١- أبو هريرة وبلغت مروياته (٥٣٧٤) حديثاً.
  - ٢- ثم عبد الله بن عمر وبلغت مروياته (٢٦٣٠) حديثاً.
  - ٣- ثم أنس بن مالك وبلغت مروياته (٢٢٨٦) حديثاً.
  - ٤- ثم عائشة أم المؤمنين وبلغت مروياتها (٢٢١٠) أحاديث.
  - ٥- ثم عبد الله بن العباس وبلغت مروياته (١٦٦٠) حديثاً.
  - ٦- ثم جابر بن عبد الله وبلغت مروياته (١٥٤٠) حديثاً.
  - ٧- ثم أبو سعيد الخدري وبلغت مروياته (١١٧٠) حديثاً.
- ثم أصحاب المئين وهم كثر وعلى رأسهم عبد الله بن مسعود وبلغت مروياته  
(٨٤٨) حديثاً، ثم عبد الله بن عمرو بن العاص وبلغت مروياته (٧٠٠) حديث، ثم  
علي بن أبي طالب وبلغت مروياته (٥٣٧) حديثاً. وغيرهم ﷺ. وهؤلاء العشرة أكثر  
الصَّحابة رواية للحديث.

وللإمام أبي محمد بن حزم رحمه الله رسالة في أسماء الصَّحابة الذين رووا  
الحديث عن رسول الله ﷺ وما لكل واحد منهم من الحديث. ومنه أخذت ما تقدم. وقد  
أخذ ذلك من مسند بقي بن مخلد <sup>(١)</sup>.

فكان عددُ رواة الحديث من الصَّحابة يقاربُ الألفَ نفسٍ، وقد ذكَّرَ أسماءهم  
أبو محمد ابنُ حزمٍ في رسالته: (أسماءُ الصَّحابة الرواة وما لكل واحدٍ من العددِ)، فذكرَ  
منهم أبا هريرة وله خمسةُ آلافِ حديثٍ وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً، ومن أصحابِ

(١) - انظر كلام عبد الله بن عبد الرحمن السعد في تقديمه لطبقات المكثرين من رواية الحديث لعادل عبد الشكور الزرقعي:

الألفين فما زاد ابن عمر وأنساً وعائشة، ومن أصحاب الألف فما زاد عبد الله بن عباس وجابراً وأبا سعيد الخدري وهكذا ذكر كل واحد وماله من الأحاديث<sup>(١)</sup>.

وعدّ الذهبي رحمه الله الحفاظ الجهادية من الصحابة فبلغوا ثلاثاً وعشرين نفساً وترجم لهم<sup>(٢)</sup>.

أما المسجلون للحديث كتابةً من الصحابة فرافع بن خديج وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

### السبب في تفاوت الصحابة في الرواية:

ولا يلزم من كثرة التحديث عن هؤلاء أن يكونوا أكثر أخذاً من غيرهم عن النبي ﷺ؛ لأن قلة التحديث عن الصحابي قد يكون سببها: تقدم موته؛ كحمزة ﷺ عم النبي ﷺ، أو انشغاله بما هو أهم كعثمان ﷺ، أو الأمرين جميعاً كأبي بكر ﷺ، فقد تقدم موته، وانشغل بأمر الخلافة، أو غير ذلك من الأسباب.

وكثير من كبار الصحابة لم يكونوا من مكثري الروايات فقد روى أبو عبيدة بن الجراح أربعة عشر حديثاً، وسلمان الفارسي ستين حديثاً، ومعاذ بن جبل مئة وسبعة وخمسين حديثاً، وغالبهم لا يروي إلا مئتين حديث أو ثلاث مئة حديث، وفي الصحيحين والسنن الثلاث والموطأ ثمانية وستين حديثاً في الحث على الجهاد.



(١) - انظر الرسالة المذكورة في آخر جوامع السير ص ٢٧٥-٣١٥.

(٢) - تذكرة الحفاظ ص ٢-٤٤.

(٣) - تقييد العلم ص ٧٢-٩٨. الإسلام ونبي الإسلام: ٢٩٢.



## المبحث السادس

### رحلة الصحابة في طلب الحديث

كان السلف من الأئمة يعتنون بالرحلة، قال سعيد بن المسيب: «إن كنت لأغيب الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العالية «كنا نسمع عن الصحابة فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم»<sup>(٢)</sup>.

وقيل للشعبي من أين لك هذا العلم كله؟ قال: «بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجهاد، وبكور كبكور الغراب»<sup>(٣)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: المقصود من الرحلة أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع.

والثاني: لقاء الحفاظ، والمذاكرة لهم والاستفادة منهم<sup>(٤)</sup>.

وقد سنَّ الصحابة رضي الله عنهم الرحلة في طلب الحديث، فكانوا يرحلون إلى الأمصار من أجل طلب الحديث، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رضي الله عنه في حديث واحد<sup>(٥)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً، حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس،

(١) - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (١٢).

(٢) - توجيه النظر ٢: ٧٢١.

(٣) - تذكرة الحفاظ ١: ٨١.

(٤) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ٢٢٣.

(٥) - صحيح البخاري في باب الخروج في طلب العلم ١: ١٣٧.

فبعثت إليه أن جابراً بالبواب، فرجع الرسول ﷺ فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه، خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد - أو الناس - عُرَاةً غُرُلًا بُهْمًا»، قلت: ما بُهْمًا؟ قال: «ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد - أحسبه قال: كما يسمعه من قرب - : أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة»، قلت: وكيف؟ وإنما نأتي الله عرَاةً بُهْمًا؟ قال: «بالحسنة والسيئات»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن أبي سلمة قال: قلت للأوزاعي: يا أبا عمرو، أنا ألزمتك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثاً، قال: وتستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام؟ لقد سار جابر بن عبد الله إلى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عقبة بن عامر عن حديث واحد وانصرف إلى المدينة، وأنت مستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام<sup>(٢)</sup>.

قال الحاكم النيسابوري: وجابر بن عبد الله على كثرة حديثه وملازمته رسول الله ﷺ رحل إلى من هو مثله أو دونه مسافة بعيدة في طلب حديث واحد<sup>(٣)</sup>.

وعن عطاء أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه، قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً على خزية ستر الله عليه يوم القيامة» قال: فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلَّ رحله<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال: أما إني لم آتك زائراً ولكن سمعت أنا وأنت حديثاً من

(١) - رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٠٧)، والخطيب البغدادي في الجامع (١٦٨٦)، وفي الرحلة في طلب الحديث (٣١).

(٢) - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (١٣).

(٣) - معرفة علوم الحديث ١: ١٥.

(٤) - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤٢١).

رسول الله ﷺ حديثاً رجوت أن يكون عندك منه علم، قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا وساق الحديث<sup>(١)</sup>.

وكانوا يرحلون للتثبت من مسألة فعن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج فقال لها عقبة ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺ كيف وقد قيل ففارقها عقبة ونكحت زوجاً غيره<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو الدرداء: «لو أعيتني آية من كتاب الله ﷻ، فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجلاً برك الغماد لرحلت إليه». قال: وهو أقصى هجر باليمن<sup>(٤)</sup>.



(١) - رواه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (٣٩).

(٢) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، (٨٦).

(٣) - رواه البخاري في باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٤٦١٨).

(٤) - رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٧٣).

## المبحث السادس

### تحديث الناس بما يعرفون

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

فقد زجر علي رضي الله عنه عن رواية المنكر، وحث على التحديث بالمشهور، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث.

قال شراح هذا الأثر: إنما قال ذلك لأن الإنسان إذا سمع ما لا يفهمه أو ما لا يتصور إمكانه، اعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق بوجوده، فإذا أسند إلى الله تعالى أو رسوله عليه السلام لزم ذلك المحذور<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»<sup>(٣)</sup>.

ويوضح الشاطبي هذا الأمر فيقول: «ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (١٢٤).

(٢) - توجيه النظر إلى أصول الأثر ١: ٦٢.

(٣) - رواه مسلم ١: ٢١.

(٤) - الموافقات ٤: ١٨٩.

ثم يقول: «وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فلك أن تتكلم فيها»<sup>(١)</sup>.

وقد طبق الصحابة رضي الله عنهم هذا الضابط، فكانوا في دعوتهم وتبليغهم مراعين لأفهام الناس وأحوالهم، فعبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول وهو يعالج مرض الموت: ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه من الخير إلا حدثكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ)<sup>(٢)</sup>.

يقول القاضي عياض في شرح هذا الحديث: «فيه دليل على أنه كتّم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل، ولا فيه حد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول العامة، أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه، لا سيما ما يتعلق بأخبار المنافقين، والإمارة وتعيين قوم وصفوا بأوصاف غير مستحسنة، وذم آخرين ولعنهم، والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في حديث معاذ رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». فقال معاذ: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» فأخبر بها معاذ عند موته تأثراً<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الصلاح: «منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل، وأخبر به صلى الله عليه وسلم على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال

(١) - الموافقات بتصرف واختصار ٤: ١٩١.

(٢) - رواه مسلم في باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٤٢).

(٣) - شرح النووي على مسلم ١: ٢٢٩.

(٤) - رواه البخاري في باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٥)، ومسلم في باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٤٧).

من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذاً، فسلك معاذ هذا المسلك، فأخبر به من الخاصة من رآه أهلاً لذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن رجب في شرحه لأوائل صحيح البخاري: «قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزد إلا اجتهاداً في العمل، وخشية لله **عَلَيْكَ**، فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمن أن يقصّر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي هريرة قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَيَّنَّتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَيَّنَّتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبيته على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة. واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة، قال ابن المنير: وإنما أراد أبو هريرة بقوله: «قطع» أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتابها لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم. وقال غيره: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به<sup>(٤)</sup>.

وقد عقد الإمام البخاري باباً فقال: «بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا». ويقول الحافظ ابن حجر: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن

(١) - شرح النووي على مسلم ١: ٢٤١.

(٢) - فتح الباري ١١: ٣٤٠.

(٣) - رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، (١١٧).

(٤) - فتح الباري ١: ٢١٦.

يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي  
ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب،  
ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدّم عنه في الجرايين وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن  
حذيفة<sup>(١)</sup>.

ولأهميّة هذا المنهج سار عليه السلف من بعدهم، فعن أبي قلابة قال: «لا تحدّث  
بالحديث من لا يعرفه، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه»<sup>(٢)</sup>.  
وقال الزهري: «إن للحديث آفة، ونكداً وهجنة، فأفته نسيانه، ونكده الكذب،  
وهجنته نشره عند غير أهله»<sup>(٣)</sup>.

وقال الأعمش: «آفة الحديث النسيان، وإضاعته أن تحدّث به غير أهله»<sup>(٤)</sup>.  
وعن كثير بن مروة قال: «لا تحدّث بالحكمة السفهاء فيكذبوك، ولا تحدّث  
بالباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن  
عليك في علمك حقاً، كما أن عليك في مالك حقاً»<sup>(٥)</sup>.



(١) - فتح الباري ١: ٢٢٥. وانظر مقالة: ضوابط في تلقي النصوص الشرعية وفهمها لعبد العزيز آل عبد اللطيف مجلة  
البيان العدد ٤٥.

(٢) - رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٧٣٥)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٧١٨)، وأحمد  
في الزهد (١٧٦٩) وابن أبي شيبة في المصنف ٦: ١١٣ و ١٢٦، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٣٠).

(٣) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٧١٩).

(٤) - رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٧٢٠).

(٥) - رواه أحمد في الزهد (٢١١٤)، والدارمي في سننه (٣٧٨)، والبيهقي في شعب الإيثار (١٦٣٠)، والرامهرمزي في  
المحدث الفاصل (٧٣١).

## المبحث السابع

### مقاومة الصحابة للوضع

لم يكن الصحابة في غفلة عن ظاهرة الوضع، بل انتبهوا لها، وقاوموا الوضعين بالتشهير والتحذير. ومن أهم الوسائل التي سلكوها في ذلك:

**أولاً:** احتياط الصحابة في حمل الحديث عن الرواة، فلا يأخذون إلا ممن عرفوا صدقه وضبطه، وكذلك تحريمهم وورعهم في رواية الحديث، وخوفهم من الإكثار في الرواية ابتعاداً عن الوهم فيها.

والحث على التثبت في الرواية وعدم أخذها إلا ممن كان أهلاً: فقد كان الصحابة يثق بعضهم في بعض إذ لم يكن منهم من يتهم بالكذب على رسول الله ﷺ لعدم وقوعه بينهم فكان يروي بعضهم عن بعض دون الحاجة إلى السؤال ممن أخذ إذا أمن من اللبس والخطأ والوهم. فلما وقعت الفتنة التي أدت إلى تفرق المسلمين كان من أول نتائجها فقد هذه الثقة مما أدى إلى توقف العلماء في قبول الرواية عن كل أحد، بل لا بد من التثبت والتحري حتى يمكن أن يأخذ الحديث من أهله، فكان التثبت والتحري في قبول الرواية قاعدة عامة يعرفها جل العلماء المشتغلين بالرواية.

**ثانياً:** عنايتهم بالبحث في إسناد الحديث، وذلك بعد وقوع الفتنة، كما تقدم في قول ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً:** رحلتهم في طلب الحديث، لأجل سماعه من الراوي الأصل والتثبت منه، وقد تقدم الكلام على رحلتهم.

(١) - رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١ : ٣٤.



**رابعاً:** تبيينهم للوهم في الرواية، وعرض حديث الراوي على رواية غيره من أهل الحفظ والإتقان، فحيث لم يجدوا له موافقاً على أحاديثه، أو كان الأغلب على أحاديثه مخالفة أهل الضبط، ردوا أحاديثه أو تركوها <sup>(١)</sup>.

فقد كان الصحابة إذا سمعوا من أحدهم رواية لا تتفق مع ما يعلمونه عن رسول الله ﷺ يبنوا ذلك الوهم، وفي تقديم المتن الحديث ما يدل على ذلك، كرواية ابن عمر: أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وبيان السيدة عائشة أنه وهم في رواية هذا الحديث، إذ مات جار يهودي وأهله يبكون عليه، فأخبر النبي ﷺ أنه يعذب وأن أهله يبكون عليه.

ومن ذلك: رد عبد الرحمن بن بجيد لرواية سهل بن أبي حثمة حديث القسامة المشهور، فقد روى سهل قصة الأنصاري الذي وجده قومه قتيلاً في خيبر، وأن النبي ﷺ جعل لهم أن يملفوا خمسين يميناً على رجل منهم، فيُدفع إليهم، وقد عد عبد الرحمن بن بجيد هذا وهماً، وأن رسول الله ﷺ إنما كتب إلى يهود أنه قد وجد بين أظهركم قتيل فدوه، فكتبوا يملفون بالله خمسين يميناً أنهم ما قتلوه ولا يعلمون من قتله، فداه رسول الله ﷺ من عنده مئة ناقة <sup>(٢)</sup>.

**خامساً:** تحذير الصحابة من الرواية عن القصاص، فلما هاجت الفتنة بدأ القصاص يلعبون دوراً هاماً، فقابلهم السلف بالإنكار فعن عبد الجبار الخولاني، قال: دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ المسجد، فإذا كعب يقص فقال: من هذا؟ قالوا: كعب يقص، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقص إلا أمير، أو مأمور، أو مختال» قال: فبلغ ذلك كعباً، فما رأيي يقص بعد <sup>(٣)</sup>.

(١) - انظر: منهج النقد في علوم الحديث: ٥٥ وما بعدها.

(٢) - رواه أبو داود (٤٥٢٥)، انظر: منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي.

(٣) - رواه أحمد في المسند (١٨٠٥٠)، والطبراني في الكبير (١٢١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٦٣٢).

وعن عمرو بن زرارة قال: وقف علي عبد الله بن مسعود وأنا أقص في المسجد، فقال لي: «يا عمرو لقد ابتدعت بدعة ضلالة أو إنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه» ولقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد<sup>(١)</sup>.

وعن سليم بن عنتر أنه كان يقص على الناس وهو قائم فقال له صلة وهو من أصحاب النبي ﷺ: «والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا»<sup>(٢)</sup>.

وعن عاصم قال: كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع، فكان يقول لنا: «لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر قال لقص يقص عنده: «قم عنا فقد آذيتنا»<sup>(٤)</sup>.

وعن مجاهد قال: «دَخَلَ قَاصٌّ فَجَلَسَ قَرِيبًا مِنْ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شُرْطِيًّا فَقَامَ»<sup>(٥)</sup>.

ودافعهم لهذا لإنكار أن غالب القصاص من أنصاف المتعلمين بل من الجهلة بحديث رسول الله ﷺ، وغاية مرامهم ما في أيدي الناس من أعطيات وهبات أو التطلع إلى ثناء العامة عليهم ووصفهم بأنهم أعلم من في الأرض فدفعهم ذلك إلى الإغراب وإتيان كل ما هو غريب فلجأوا إلى الكذب والاختلاق فكان موقفهم المنع من ذلك خشية دخول ما ليس من حديث رسول الله ﷺ إليه من قبل هؤلاء القصاص<sup>(٦)</sup>.

ويرى الدكتور أكرم العمري أن الوضع قد بدأ في النصف الثاني من خلافة

عثمان رضي الله عنه.

وذهب أبو شهبه إلى أن الوضع بدأ حوالي سنة أربعين هجرية.

(١) - رواه الطبراني في الكبير (٨٦٣٧).

(٢) - رواه البخاري في التاريخ الكبير ٤: ١٢٥، والطبراني في الكبير (٧٤٠٧).

(٣) - رواه مسلم في باب الكشف عن معائب رواة الحديث ونقله الأخبار وقول الأئمة في ذلك (٥٨).

(٤) - تحذير الخواص: ١٩٥.

(٥) - رواه ابن أبي شيبه في المصنف ٦: ٥٦٠.

(٦) - الوضع في الحديث لعمر حسن فلاته ٣: ٣٥٤ وما بعدها.

## الفصل الثاني

### سؤال الصحابة عن الإسناد واهتمامهم به

#### المبحث الأول

#### أهمية الإسناد وخصوصية هذه الأمة به

لم يؤثر عن أمة من الأمم العناية برواة أخبارها وكتبها، ومأثورات أنبيائها كما عرف ذلك عن هذه الأمة الإسلامية التي عنيت بهذه الناحية أتم العناية، ولم يقف ذلك عند حد العلوم الشرعية، بل تعداها إلى العلوم الأدبية والأخبار التاريخية وغيرها، وهو في الحديث النبوي وما إليه أدق وأوضح. فالعناية بالإسناد من خصائص هذه الأمة.

قال أبو بكر محمد بن أحمد: «بلغني أن الله، خص هذه الأمة بثلاثة أشياء، لم يعطها من قبلها الإسناد والأنساب والإعراب»<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن حاتم بن المظفر: «إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم قديمها وحديثها إسناد موصول، وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعصال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه.

وأما النصارى فليس عندهم في صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى،

(١) - رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٦٩).

(٢) - فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني ١: ٨٠.

وأما أقوال الصَّحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً ولا إلى تابع له ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص<sup>(١)</sup>.

وقد أثر عن السَّلف في الحث على العناية بالإسناد أقوال كثيرة:

قال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء فإذا قيل له من حدثك بقي»<sup>(٢)</sup>.

وقال سفيان بن عيينة: حدَّث الزهري يوماً بحديث فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزهري: «أترقى السطح بلا سلم؟»<sup>(٣)</sup>.

وقال سفيان الثوري: «الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح، فبأي شيء يقاتل»<sup>(٤)</sup>.

وسئل أحمد عن الرجل يطلب الإسناد العالي، قال: «طلب الإسناد العالي سنة عمَّن سلف، لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «طلب علو الإسناد من الدين»<sup>(٦)</sup>.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: «قرب الإسناد قرابة إلى الله ﷻ»<sup>(٧)</sup>.

وقال محمد بن سيرين: «إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»<sup>(٨)</sup>.

وقال يحيى بن معين: «الإسناد العالي قرابة إلى الله ﷻ ورسوله»<sup>(٩)</sup>.

(١) - حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ٤: ٤٣٥.

(٢) - رواه مسلم في صحيحه ١: ٣٨.

(٣) - سير أعلام النبلاء ٥: ٣٤٧، والأثر رواه الشافعي عن سفيان بن عيينة كما في شعب الإيمان للبيهقي: ١.

(٤) - رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٧٥)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء: ١٤، وابن حبان في المجروحين ١: ٢٧، وابن العديم في بغية الطلب ١: ٣٤٤. وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧: ٢٧٣، وملا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة: ٨.

(٥) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١١٨).

(٦) - الأربعين العشارية: ١٢٤، ورواه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (١٢).

(٧) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١١٦).

(٨) - صحيح مسلم ١: ٣٣.

(٩) - الأربعين العشارية: ١٢٤.

وقال الحاكم النيسابوري: «فلولا الإسناد، وطلب هذه الطائفة له، وكثرة مواظبتهم على حفظه، لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه، بوضع الأحاديث، وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترأء»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حاتم الرازي: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناً يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### اهتمام الصحابة بعلو الإسناد

لما كان الإسناد من خصائص هذه الأمة كان طلب الإسناد العالي مرغباً فيه، كما قال الإمام أحمد: طلب الإسناد العالي سنة عمّن سلف<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الصلاح: العلو يبعد الإسناد من الخلل، لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، وهذا جلي واضح.

ثم إنَّ العلو المطلوب في رواية الحديث على أقسام خمسة: أولها: القرب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف غير ضعيف، وذلك من أجل أنواع العلو. وقد روينا عن محمد بن أسلم الطوسي الزاهد العالم أنه قال: «قرب الإسناد قرب أو قرابة إلى الله ﷻ».

(١) - معرفة علوم الحديث ١: ١٠.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٧٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨: ٣٠، وذكره ملا علي

القاري في شرح مسند أبي حنيفة: ٨.

(٣) - الباعث الحثيث: ٢١.

وهذا كما قال، لأن قرب الإسناد قرب إلى رسول الله ﷺ، والقرب إليه قرب إلى الله ﷻ (١)

قال الحاكم النيسابوري: فأما طلب العالي من الأسانيد فإنها مسنونة، وقد رحل في طلب الإسناد العالي غير واحد من الصحابة، فعن صالح قال: سأل رجل من أهل خراسان عامرا فقال: يا أبا عمرو كيف تقول في رجل كانت له وليدة فأعتقها فتزوجها، فإننا نقول عندنا هو كالراكب بدنة، فقال: حدثنا أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له وليدة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، وأبيا عبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، فله أجران أعطيتها بغير أجر، فلقد كان الراكب يركب فيما هو أدنى من هذا إلى المدينة» (٢).

قال الحاكم أبو عبد الله: فهذا الراكب إنما كان يركب في طلب عالي الإسناد، ولو اقتصر على النازل لوجد بحضرته من يحدثه به.

ومنه: عن عطاء بن أبي رباح، قال: خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره، وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر فأخبره فعجل عليه، فخرج إليه فعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدل على منزل عقبة، فأخبر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغيرك في ستر المؤمن قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ﷺ

(١) - علوم الحديث: ٥٧.

(٢) - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (١٠).

يقول: «من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة» فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر<sup>(١)</sup>. قال الحاكم: فهذا أبو أيوب الأنصاري على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله ﷺ رحل إلى صحابي من أقرانه في حديث واحد لو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثالث

#### سؤال الصحابة عن الإسناد

لم يكن الصحابة في بداية أمرهم يسألون عن الإسناد، لأن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فكان يحدث الشاهد الغائب، ولا يتخرجون من أخذ بعضهم عن بعض، دون ذكر الصحابي الذي كان واسطة في الرواية، وذلك لثبوت العدالة والأمانة فيما بينهم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضنا بعضاً»<sup>(٣)</sup>.

ولما وقعت فتنة مقتل عثمان سنة خمس وثلاثين، قامت بعض الأهواء السياسية في نفوس بعض الناس، ولوحظ شيء من الاختلال في الضبط والنقل، فتحفظ الصحابة ﷺ عند ذلك بشدة التثبت والاستيثاق من الخبر، وسألوا عن الإسناد، فعن محمد بن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم

(١) - رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (١١).

(٢) - معرفة علوم الحديث ١: ١٣.

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (١٢٠٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٤١٨).

فينظر إلى أهل السُّنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»<sup>(١)</sup>، فبدأ تاريخ السُّؤال عن الإسناد في هذه الفترة، وهي أواخر منتصف القرن الأوَّل<sup>(٢)</sup>.  
وعن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع. فقال ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»<sup>(٣)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن استعمال الإسناد بدأ مع بداية رواية الحديث فكان الصحابة إذا رووا الحديث عن رسول الله ﷺ صدروه بعبارة تشعر بتحملة، وقد تكون العبارة صريحة في أخذه عنه ﷺ مباشرة، وأحياناً لا تتسم بالصراحة فيحتمل قيام الوساطة، وهذا يظهر في أحاديث صغار الصحابة، كأنس بن مالك وابن عباس وغيرهما أو ممن يروي وقائع حدثت قبل دخوله في الإسلام أو عدم حضوره لها، كالأحاديث المروية عن أبي هريرة مما يتعلق بأحاديث البعثة والهجرة وبعض الغزوات التي وقعت قبل غزوة خيبر مما لم يشهده أبو هريرة فاحتمال قيام الوساطة قوي مع إمكان تحمل بعضها من الرسول مباشرة بسؤاله أو استعادة ذكر الحادثة وإن كان فيه بعد، وحيث أن الغالب في الوساطة صحابي شهد تلك الواقعة ساغ لهؤلاء الصحابة رفع ذلك إلى النبي دون ذكر الوساطة ثقة به، وهذا النوع من الروايات يمثل الجانب الأقل إذ الغالب في مرويات الصحابة عن النبي ﷺ مباشرة، وهو يمثل الجانب الأكثر<sup>(٤)</sup>.

وليس معنى هذا أن كل مرويات الصحابة كانت تلتزم بذكر الإسناد والتصريح به، فقد صرح بعضهم بأنه يرفع الحديث إلى النبي ﷺ وهو لم يتحملة منه مباشرة.

(١) - رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١: ٣٤.

(٢) - لمحات من تاريخ السُّنة وعلوم الحديث: ٧٣.

(٣) - رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١: ٢٧.

(٤) - الوضع في الحديث لعمر حسن فلاته ٢: ١٥.



وحاصل كلام ابن سيرين أنه أصبح من عادة المحدثين سؤال الرواة، وأن السؤال اشتهر بينهم عقب قيام الفتنة، ولا يلزم من أن السؤال كان منعدياً قبل قيام الفتنة، فلا منافاة بين قول ابن سيرين وبين ما تقرر من أن إلزام الرواة بذكر الإسناد بدأ منذ عهد الصديق<sup>(١)</sup>.



## الفصل الثالث

### اهتمام الصحابة بنقد متن الحديث

#### المبحث الأول

#### معنى نقد المتن وأهميته

ونقد المتن هو: عرض الخبر المروي على الخبر المحفوظ لدى العالم، فما وافق المحفوظ قبل، وما خالف المحفوظ ترك<sup>(٢)</sup>.

فنقد المتن يقوم على نقد متن الرواية وتحليلها وعرضها على الوقائع التي هي أقوى منها، ومعارضتها بها، ودراسة لغة الخبر وغيرها، واستخدام جميع الوسائل المتاحة للناقد التي تثبت دعواه.

ونقد المتن ليس معناه الانتقاد لكلام الرسول ﷺ الذي ثبتت عصمته، إنما هو انتقاد الطرق التي يصلنا من خلالها ما يروى عن رسول الله ﷺ، وذلك بواسطة القواعد والشروط التي ينبغي أن تتوفر في هذه الطرق، ليغلب على الظن صدقها وصحتها<sup>(٣)</sup>.  
إن السؤال عن الإسناد ضروري لمعرفة درجة الحديث، لكنه لا يكفي لمعرفة

(١) - الوضع في الحديث لعمر حسن فلاته ٢: ٢٢.

(٢) - انظر لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث: ٧٧.

(٣) - انظر: منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي.

صحة الحديث، فالرواية لا بد أن لا تكون شاذة بالنسبة للروايات الأخرى قال الشافعي: «ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره، إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس»<sup>(١)</sup>، والشذوذ يتعلق بالمتن إذ لا يعرف أن الحديث شاذ أو غير شاذ إلا بمقارنته بغيره من الأحاديث المخالفة له، لذلك اشترطوا في تعريفهم للحديث الصحيح انتفاء الشذوذ والعلة، والعلة غالباً ما تكون في الإسناد، أما الشذوذ فغالباً ما يكون في المتن.

والمتن لا يحكم له بالصحة لكون رواته ثقات فقط، بل لا بد من توافر أمور أخرى، قال الإمام ابن القيم: «وقد علم أن صحة الإسناد شرط من شروط صحة الحديث، وليست موجبة لصحته، فإن الحديث إنما يصح بمجموع أمور منها: صحة سنده، وانتفاء علته، وعدم شذوذه ونكارتة، وأن لا يكون روايه قد خالف الثقات أو شدَّ عنهم»<sup>(٢)</sup>، لذلك كان لا بد من النظر في متن الحديث<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ الدكتور صلاح الدين الإدلبي: والمحدثون إذا قالوا عن حديث إنه «صحيح الإسناد» فهو دون قولهم «صحيح» لأنه قد يصح السند ولا يصح المتن، ولكي يحكم المحدثون لحديث بأنه صحيح فلا بد بعد نقد سنده من نقد متنه، واشترطوا لصحة المتن شرطين:

**الأول:** أن لا يكون الحديث شاذاً، أي قد يصح الإسناد، فيكون إسناداً صحيحاً، ولكن روي حديث آخر، أصح وأثبت وأوثق إسناداً من الحديث الأول، وهو مخالف له، بحيث لا يمكن صدور الحديثين كليهما عن رسول الله ﷺ، فيكون الأول

(١) - مقدمة ابن الصلاح: ٤٤.

(٢) - الفروسية: ٢٤٥.

(٣) - انظر مقاييس نقد متون السنة للدكتور مسفر الدميني: ٥١ وما بعدها.

إسناده صحيح و متنه شاذ، فهو ضعيف، رغم صحة سنده، ويكون الحديث الثاني  
إسناده صحيح و متنه محفوظ، فهو صحيح.

**الثاني:** أن لا يكون الحديث مُعَلَّأً، أي قد يكون الحديث صحيح الإسناد غير  
شاذ، ولكن اطلع أحد جهابذة النقاد على أن فيه علةً قاذحة، كأن يكون أحد الرواة وهم  
فيه، فأدخل في كلام رسول الله ﷺ ما ليس منه وهو لا يدري <sup>(١)</sup>.

إن نقد المتن عند المحدثين بدأ مع نقد السند، وكان نقد العلماء للمتن واسعاً  
كسعة نقدهم للسند، ولقد أولي نقد المتن عناية كبيرة في علم علل الحديث الذي هو  
رأس علم الدراية وهو علم متابعة الثقات في رواياتهم، يقول ابن الصلاح في تعريفه بأنه  
عبارة عن أسباب خفية غامضة قاذحة، فالعلة سبب غامض يدل على وهم الراوي  
سواء أكان ثقة أم ضعيفاً وسواء أكان الوهم في السند أم المتن. وموضوع هذا العلم  
الحديث والذي ظاهر إسناده الصحة، إلا أن العلماء يضعفون متنه لأن فيه نكارة أو  
شذوذاً أو اضطراباً أو غرابة لذا فقد أطلق علماء المصطلح على العلل الموجودة في المتن  
مصطلحات عدة مثل: هذا حديث منكر المتن، حديث غريب، حديث شاذ، حديث  
مضطرب، فعلم العلل إذن يدخل في النقد الموضوعي العميق للحديث سنداً و متنأً  
ويحتاج إلى علم غزير.

● - وعندما قسم علماء الحديث علم مصطلح الحديث قسموه إلى قسمين:  
علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية، وعرفوا الثاني بأنه: علم بقوانين يعرف بها  
أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد، وهذا يعني أن هذا العلم وضع قوانين  
ليضبط بها السند والمتن معاً.

(١) - انظر كتابه: منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي.

وذكر العلماء في تعريف الصحيح والحسن شروطاً عائدة للسند، وشروطاً عائدة للمتن والسند معاً، وهناك شرطان أساسيان لقبول الحديث ويرجعان للسند والمتن معاً وهما:

١- سلامته من الشذوذ، ٢- وسلامته من العلة القادحة. وعندما يشرحون التعريف يقولون: إن الشذوذ قسمان: شذوذ في السند، وشذوذ في المتن، وأكثر ما يكون الشذوذ في المتن. وكذلك العلة قسمان: علة في السند، وعلة في المتن، فهل بعد هذا من شك في عناية المحدثين بنقد المتن؟

ويبين العلماء في بحث الشاذ والمنكر والمعل والمضطرب والمدرج والمقلوب وقوع الشذوذ والنيكاراة والعلة والاضطراب والإدراج والقلب والغرابة في السند والمتن، ومتى تكون هذه الصفات قادحة في صحة الحديث وثبوته، ومتى تكون موجبة لرده. وقد أطلق العلماء على صنيع من يقلب الحديث سنداً ومتناً بأنه يسرق الحديث إذا قصد إليه.

وكما نقد المحدثون السند واهتموا به واشتروا سلامته من وجود الوضاعين والكذابين، فكذلك وضع العلماء شروطاً لقبول المتن، ووضعوا علامات تدل على الوضع فيه دون النظر إلى سنده. وفي هذا رد واضح على من زعم أن نقد الحديث كان نقداً شكلياً منحصراً في السند. ومن العلامات على الوضع في المتن: مخالفة الحديث للحس أو للمقبول، أو لصريح القرآن، أو لصريح السنة الثابتة المشهورة، أو كونه ركيك الألفاظ، سمج المعاني، وما إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم ينتقد بعضهم مضمون روايات بعض. فمثلاً انتقدت السيدة عائشة مضمون روايات بعض الصحابة وكذلك تعرضت بعض رواياتها للنقد من بعض الصحابة الآخرين. وقد ألف الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ) كتاباً جمع فيه الروايات التي انتقدت فيها السيدة عائشة مرويات

(١) - الرد على مزاعم المستشرقين: ٣٠ وما بعدها.

بعض الصحابة. واسم هذا الكتاب هو: الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة.



## المبحث الثاني

### نقد الصحابة للمتن ومستندهم فيه

وقد قام الصحابة بنقد ما يرونه مخالفاً لما علموه أو سمعوه من رسول الله ﷺ،

١- فمن نقدهم لمتن الحديث ما رواه أبو إسحق قال: كنت مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي فحدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس: أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة، ثم أخذ الأسود كفاً من حصى فحصبه به فقال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة قال الله ﷻ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ الطلاق: ١. (١).

٢- ومن ذلك حديث: لما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول وا أخاه وا صاحباه. فقال عمر ﷺ: يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه). قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما مات عمر ﷺ ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ: (إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه) ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذاباً

(١) - رواه مسلم في باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (٢٧١٩).

يبكاء أهله عليه) وقالت: حسبكم القرآن ﴿وَلَا نَزْرُ وَإِزْدَةٌ وَزَرٌ أُخْرَىٰ﴾ الأنعام: ١٦٤. (١)

٣- وعن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة فقالا إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله ﷺ كان يقول: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار قال: فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض فقالت والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الحديد: ٢٢ (٢).

٤- وعن عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن زيد أنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر قال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ ولكن أبا ذلك البحر يعنى ابن عباس وقرأ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الأنعام: ١٤٥ (٣).

٥- وعن أبي بكر قال سمعت أبا هريرة ﷺ يقص يقول في قصصه من أدركه الفجر جنباً فلا يصم فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألها عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمت

(١) - رواه البخاري (١٢٠٦) ومسلم (١٥٤٤).

(٢) - رواه أحمد في المسند (٢٤٨٩٤). قال ابن الأثير في النهاية: (فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض)، هو مبالغة في الغضب والغيط، يقال: قد انشق فلان من الغضب والغيط كأنه امتلأ باطنه منه حتى انشق. ومنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾. اهـ. وفي موضع آخر من الكتاب قال أيضاً: أي كأنها تفرقت وتقطعت قطعاً من شدة الغضب.

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٣٣٠، والطبراني في الكبير (٣٠٩٣).

عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول قال فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله قال فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم. ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبي ﷺ قال فرجع أبو هريرة عمًا كان يقول في ذلك<sup>(١)</sup>.



## الفصل الرابع

### اهتمام الصحابة بكتابة الحديث

#### المبحث الأول

#### كتابة الأحاديث النبوية والموقف منها

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث ، فكرها طائفة منهم : ابن عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وآخرون .

وأباحها طائفة وفعلوها ، منهم : عمر وعلي ، وابنه الحسين ، وابن عمرو وأنس وجابر ، وابن عباس وابن عمر أيضًا ، والحسن وعطاء وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز .

وجاء في الإباحة والنهي حديثان فحديث النهي : ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن ، ومن كتب عني شيئًا

(١) - رواه مسلم في باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٨٦٤) . وللمزيد من الأمثلة انظر في : مقاييس نقد متون السنة من ٦١-١٠٨ ، ومنهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي .

غير القرآن فليَمَحْهُ»

وحديث الإباحة قوله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني

### الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإباحة

وقد اختلف في الجمع بينها وبين حديث أبي سعيد السابق، فقالوا أن الإذن لمن خيف نسيانه، والنهي لمن أمن النسيان فوثق بحفظه وخيف اتكاله على الخط إذا كتب، فيكون النهي مخصوصاً.

وقيل: المراد النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية، فربما كتبوه معها، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه.

وقيل: النهي خاص بوقت نزول القرآن، خشية التباسه، والأذن في غيره<sup>(٢)</sup>.

والأمر استقر في حياته ﷺ كما تبين الأدلة على إباحة الكتابة، وأن امتناع من امتنع من الصحابة عن كتابة الحديث ليس للنهي الوارد في حديث أبي سعيد الخدري، ولكن لأسباب أخرى منها: الخوف من انكباب الناس على الكتب وانشغالهم بها عن القرآن، وقد أورد الخطيب النصوص الكثيرة المصروفة بذلك.

ومنها: الحفاظ على ملكة الحفظ عند المسلمين، إذ الاتكال على الكتاب يضعفها، ولذلك كان بعضهم يكتب ثم يمحو ما كتب، ولو كان النهي عن الكتابة مستقراً عندهم لما كتبوا ابتداءً<sup>(٣)</sup>.

(١) - تدريب الراوي ١: ٣٣٢.

(٢) - تدريب الراوي ١: ٣٣٢.

(٣) - تقييد العلم: ٥٧ وما بعدها. انظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره: ٨٣.



## المبحث الثالث

### مَعْرِفَ مَنْ الصَّحَابَةِ بِكِتَابَةِ الْحَدِيثِ

ومن أهم الوسائل التي سلكها الصَّحَابَةُ في حفظ الحديث الكتابة، وقد كتب الصَّحَابَةُ ﷺ الحديث عن رسول الله ﷺ:

١- فعن ابن عمرو ﷺ قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الشَّيْءَ فَأَكْتُبُهُ، قال: «نَعَمْ». قال: في الغَضَبِ والرِّضَا؟ قال: «نَعَمْ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا حَقًّا»<sup>(١)</sup>.

٢- وقال أبو هريرة ﷺ: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ فَيَعْجَبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (اسْتَعْنِ بِيَمِينِكَ). وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْخَطِّ<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن رافع بن خديج قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ أَفْنَكْتَبُهَا؟ قال: (اكتبوا ذلك ولا حرج)<sup>(٤)</sup>.

٥- وثبت أن رسول الله ﷺ قال: (اكتبوا لأبي شاه)<sup>(٥)</sup>.

وأخذت الكتابة في عصر الصَّحَابَةِ صوراً متعددة، فمن ذلك:

١- الكتابة بالسُّنَّةِ بعضهم إلى بعض، ومن أمثلة ذلك: كتب أسيد بن حضير الأنصاري ﷺ بعض الأحاديث النبويَّة، وقضاء أبي بكر وعمر وعثمان، وأرسله إلى مروان بن الحكم<sup>(٦)</sup>.

(١) - رواه أبو داود والحاكم وغيرهما.

(٢) - رواه البُخَّاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم، (١١٠).

(٣) - رواه الترمذ في كتاب العلم، باب ما جاء في الرخصة فيه (٢٥٩٠).

(٤) - رواه الطبراني في الكبير (٤٢٨٤)، والخطيب في تقييد العلم (١١٨). انظر: تدريب الراوي ١: ٣٣٢.

(٥) - رواه البخاري في كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطه أهل مكة (٢٣٠٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام (٣٣٧١).

(٦) - مسند الإمام أحمد ٤: ٢٢٦.

وكتب جابر بن سمرة رضي الله عنه بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث بها إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص بناء على طلبه ذلك منه <sup>(١)</sup>.

وكتب زيد بن أرقم رضي الله عنه بعض الأحاديث النبوية وأرسل بها إلى أنس بن مالك رضي الله عنه <sup>(٢)</sup>.

وكتب زيد بن ثابت رضي الله عنه في أمر الجدل إلى عمر بن الخطاب وذلك بناء على طلب عمر رضي الله عنه <sup>(٣)</sup>.

وجمع سمرة بن جندب رضي الله عنه ما عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث به إلى ابنه سليمان، وقد أثنى محمد بن سيرين على هذه الرسالة فقال: «في رسالة سمرة إلى ابنه علم كثير» <sup>(٤)</sup>.

وكتب عبد الله بن أبي أوفى بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر بن عبید الله <sup>(٥)</sup>.

٢- حث تلاميذهم على كتابة الحديث وتقييده، ومن ذلك: أن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه كان يحث أولاده على كتابة العلم فيقول: «يا بني قيدوا العلم بالكتاب»، وكان يقول: «كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً» <sup>(٦)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس قال: «قيدوا العلم بالكتاب، خير ما قيد به العلم الكتاب» <sup>(٧)</sup>.

٣- تدوين الحديث في الصحف وتناقلها بين الشيوخ والتلاميذ، وذلك مثل صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي فيها فرائض الصدقة، وعليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) - روى ذلك مسلم في كتاب الإمامة وأحمد في المسند ٥ : ٨٩.

(٢) - انظر: مسند الإمام أحمد ٤ : ٣٧٠ - ٣٧٤، وتهذيب التهذيب ٣ : ٣٩٤.

(٣) - سنن الدارقطني ٤ : ٩٣.

(٤) - تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٦، وانظر سنن أبي داود ١ : ٣١٤.

(٥) - رواه البخاري في كتاب الجهاد (٢٦٦٣)، ومسلم في الجهاد (٤٦٤٠).

(٦) - تقييد العلم: ٩٦، طبقات ابن سعد ٧ : ١٤.

(٧) - تقييد العلم: ٩٢، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٧.

وفيه: «هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وصحيفة علي بن أبي طالب عليه السلام، فعن علي أنه خطب الناس فقال: «من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة فقد كذب»<sup>(٢)</sup>.

وصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص عليه السلام، المعروفة بالصحيفة الصادقة فعن مجاهد قال: أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً، قال: «هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد، إذا سلمت لي هذه وكتاب الله تبارك وتعالى، والوهط فما أبالي ما كانت عليه الدنيا»<sup>(٣)</sup>. وهذه الصحف الثلاثة كُتبت في حياته عليه السلام وهناك غيرها مما كتب في حياته عليه السلام.

وصحيفة عبد الله بن أبي أوفى، ذكرها الإمام البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه باب الصبر عند القتال.

والصحيفة الصحيحة التي يرويها همّام عن أبي هريرة من حديثه، وتضم (١٣٨) حديثاً رواها الإمام أحمد في مسنده<sup>(٤)</sup>.

فهذه لمحة وإشارة لبعض الجهود التي بذلها الصحابة رضوان الله عليهم في حفظ السُّنة والذب عنها لتبقى منهلاً صافياً تستقي منه الأمة أمور دينها ودنياها

---

(١) - رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، (١٣٦٢)، ورواه أيضاً في كتاب الشركة باب ما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية في الصدقة، (٢٣٠٧).

(٢) - رواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي عليه السلام فيها بالبركة (٢٤٣٣) ورواه أيضاً في كتاب العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه (٢٧٧٤).

(٣) - رواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم (١٥١) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١: ٢٦٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٧٣. والوهط هو: بستان عظيم بالطائف، كما في السير للذهبي ٣: ٨٩.

(٤) - صور الكتابة ذكرتها من تدوين السُّنة النبوية نشأته وتطوره: ٨٦ وما بعدها.

وأخرتها حتى يتحقق لها اتباع رسولها محمد ﷺ الذي أمر الله بالافتداء به والسير على نهجه والطاعة له في كل ما جاء به ﷺ.



## الباب الرَّابِع

### معالم البناء الحضاري عند الصَّحابة

#### الفصل الأوَّل

##### العقيدة عند الصَّحابة

**المبحث الأوَّل:** الدَّعوة إلى عبادة الله وحده.

**المبحث الثَّاني:** الاتِّباع والبعث عن الابتداع.

**المبحث الثَّالث:** الولاء لله ورسوله ﷺ، والبراء من الكفر وأهله.

**المبحث الرَّابع:** إيمان الصَّحابة بالقضاء والقدر وموقفهم من الخوض فيه.

##### المبحث الأوَّل: الدَّعوة إلى عبادة الله وحده

جاء الإسلام مبنيًا على القاعدة الكبرى «شهادة أن لا إله إلا الله»، بمعناها الذي عبر عنه رباعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، وهو يسأله: «ما الذي جاء بكم؟» فيقول: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»<sup>(١)</sup>، وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهًا خالقًا للكون، ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة، ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه، فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد، ويقرون لهم بخصائص الألوهية، وهي الحاكمة والتشريع، والخضوع لهذه

(١) - تاريخ الطبري ٣: ٣٤، والكامل في التاريخ ١: ٤١٣، والمنتظم ١: ٤٧٥.

الحاكمية والطاعة لهذا التشريع (وهي الأديان) يخرجهم من ذلك إلى عبادة الله وحده وإلى عدل الإسلام.

فعبادة الله وحده يتحرَّر الناس من عبادة غيره والخضوع له، وبذلك يتحقق للإنسان كرامته وحرية الحقيقية، هذه الحرية والكرامة يستحيل ضمانها في ظل أي نظام آخر غير النظام الإسلامي الذي يدين فيه الناس بعضهم لبعض بالعبودية، في صورة من صورها الكثيرة، سواء في الاعتقاد، أو في الشعائر، أو في التشريع.

**أما في الاعتقاد** فمعناها: الوقوع في الأوهام والأساطير والخرافات التي لا تنتهي، والتي تمثل الجاهليات الوثنية المختلفة صوراً منها، وتمثل أوهام العوام المختلفة صوراً منها، ويعيش الناس معها في رعب من الأرباب الوهمية المختلفة، ومن الكهنة المتصلين بهذه الأرباب، ومن المشايخ والقديسين أصحاب الأسرار، وتُقدَّم فيها النذور والأضاحي من الأموال تحت وطأة العقيدة الفاسدة والتصور المنحرف، كما أن بعضهم كانوا يعتقدون في الكواكب ومشاركتها في تسيير الأحداث عن طريق المشاركة لله.

**وأما في الشعائر:** فيتمثل ذلك في تقديم الشعائر للأصنام، وتقديم قربان والنذور لها وللكهان، وإقامتهم لأنفسهم عن طريق الكهان والشيخو شرائع وقيماً وتقاليد لم يأذن بها الله، وكانوا يدعون ما يدعيه بعض الناس اليوم من أن هذا هو شريعة الله، كما أن بعضهم كانوا يتقدمون للكواكب بالشعائر.

**وأما في التشريع:** فهو تحويل الحاكمية عن شريعة هذا الكتاب إلى شرائع كتب أخرى من صنع البشر، وقبول غير الله حكماً، فالتحريم والتحليل لا يكونان إلا بأمر من الله، فهما تشريع والتشريع لله وحده لا لأحد من البشر<sup>(١)</sup>.

---

(١) - من مواضع متفرقة من كتاب: في ظلال القرآن، بتصرف يسير.

فلتخليص الناس من هذه العبوديات الباطلة والاعتقادات الفاسدة اهتم  
الصَّحابة بالدَّعوة إلى الله ونشر الإسلام:

١- فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أسلم وأظهر إسلامه دعا إلى الله تعالى، قال ابن  
إسحاق: فأسلم على يديه: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله،  
وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام وبما  
وعدهم الله من الكرامة، فأمنوا وأصبحوا مقرّين بحق الإسلام، فكان هؤلاء نفر  
الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند  
الله تعالى <sup>(١)</sup>.

٢- وقال مُحَمَّد بن إبراهيم بن الحَارِث التيمي: لما أسلم طَلَيْب بن عُمَيْر دخل  
على أمه أَرْوَى بنت عَبْدِ الْمُطَّلِب فقال لها: قد أسلمت وتبعت مُحَمَّدًا وذكر الحديث،  
وقال لها: ما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة؟ قالت: أنظر ما تصنع  
أخواتي، ثم أكون مثلهن. قال: فقلت: إني أسألك بالله إلا أتيتك وسلّمت عليه وصدّقته،  
وشهدت أن لا إله إلا الله. فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدًا رسول الله.  
ثم كانت بعد تعضد النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وتعيينه بلسانها، وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره  
<sup>(٢)</sup>.

٣- وهذا عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه لما أسلم قال: يا رسول الله إني كنت  
جاهدًا في إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله؛ وإني أحب أن تأذن لي فأقدم  
مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام؛ لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت

(١) - سيرة ابن إسحاق ١: ١٢٠.

(٢) - أسد الغابة ٣: ٣٠٨، وقال: أخرجه أبو عمر.

أُوذِيَ أصحابك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب ﷺ يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم ركباً فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير<sup>(١)</sup>.

٤- وهذا ضمام بن ثعلبة ﷺ لما أسلم قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بنست اللات والعزى. فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون!

فقال ﷺ: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة<sup>(٢)</sup>. زاد ابن سعد: (وبنوا المساجد وأذنوا بالصلوات)<sup>(٣)</sup>.

٥- وعروة بن مسعود ﷺ دعا قومه إلى الإسلام حتى قتلوه، فعن عروة بن الزبير ﷺ قال: لما أنشأ الناس الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود ﷺ على رسول الله ﷺ فاستأذن رسول الله أن يرجع إلى قومه فقال رسول الله ﷺ: (إني أخاف أن يقتلوك) فقال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً فقدم

(١) - سيرة ابن هشام ١: ٦٦٢، والروض الأنف ٣: ١١٤، ومغازي الواقدي ١: ١٢٦، وتاريخ الطبري ١: ٤٥٨.

(٢) - سنن الدارمي (٦٧٧)، ومسند أحمد (٢٣٨٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢١١٨)، سيرة ابن هشام ٥: ٢٦٨، وأسد

الغابة ٢: ٣٣، والسيرة النبوية لابن كثير ٤: ١١٧، وانظر سبل الهدى والرشاد ٦: ٣٥٥.

(٣) - الطبقات الكبرى ١: ٢٩٩.



عشاء فجاءته ثقيف يحيونه فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه ما لم يكن يحتسب ثم خرجوا من عنده حتى إذا أسحروا وطلع الفجر قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقال رسول الله ﷺ: (مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه) <sup>(١)</sup>.

٦- ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ قال: أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت: إليك عني يا أبة، فلست مني ولست منك. قال: لم يا بني؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قال: أي بني فديني دينك. قال: قلت: فاذهب يا أبة فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وغسل ثيابه ثم جاء فعرضت إليه الإسلام فأسلم. ثم أتتني صاحبتني فقلت لها إليك عني فلست مني ولست منك قالت لم بأبي أنت وأمي قال قلت فرق الإسلام بيني وبينك، فأسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا علي فجئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنى فادع الله عليهم، فقال: (اللهم اهد دوساً ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم) فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله وإلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فقدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس <sup>(٢)</sup>.



(١) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٧٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤٨)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٦٥٧٩).

(٢) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢١٠٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٠٠)، سيرة ابن هشام ١: ٣٨٤، دلائل النبوة للأصبهاني ١: ٢١٤، الروض الأنف ٢: ١٦٨، وانظر في دعوة الصحابة إلى الإسلام: حياة الصحابة ١: ١٨٦ وما بعدها.

## المبحث الثاني: الاتِّباع والبعء عن الابتداء

كان الصَّحابة أكثر الناس حرصاً على اتباع ما جاء به الله ورسوله ﷺ، وشددوا الإنكار على إحداث ما ليس من الدين مما ليس في كتاب ولا سنة، فعن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال له: «يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تُفْتِ إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإنك إن فعلتَ غير ذلك هلكتَ وأهلكتَ»<sup>(١)</sup>.

وكان حذيفة رضي الله عنه يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: «يا معشر القراء! اسلكوا الطريق فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتُم ضلالاً بعيداً»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله، وعليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يفتر إليه، أو يفتر إلى ما عنده، وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم. عليكم بالعلم، وإياكم والتبدُّع والتنطُّع، والتعمُّق، وعليكم بالعتيق»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمنَ آمنَ وإن كفرَ كفرَ فإنه لا أسوة في الشر وإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه الدارمي في سننه (١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية ٣: ٨٦، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٦٥).

(٢) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٨٥٣).

(٣) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٩١)، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٢٥٢، (٢٠٤٦٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠٠)، والدارمي في سننه (١٤٥)، وابن وضاح في البدع (٦٠)، والمروزي في السنة (٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٨٤٥). والتنطع هو: التكلف والمغالاة والتعمق في القول أو الفعل، والتعمق: المبالغة في الأمر والتشدد فيه.

(٤) - رواه الطبراني في الكبير (٨٧٦٤)، وأبو نعيم في الحلية ١: ١٣٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسُّنة فترد عليه»<sup>(١)</sup>.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن القدمين أولى وأحق بالمسح من ظاهرهما ولكنني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مسح ظاهرهما»<sup>(٣)</sup>.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أشدِّ الصَّحابة؛ إنكاراً للبدع، واتباعاً للسنة؛ فعن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر فقال الحمد لله والسَّلام على رسول الله. قال ابن عمر: «وأنا أقول الحمد لله والسَّلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال»<sup>(٤)</sup>.

وعن نافع، قال: «كان ابن عمر يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل فيه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة، فكان ابن عمر يجيء بالماء، فيصبه في أصل السمرة كي لا تبيس»<sup>(٥)</sup>.

وقال الزبير بن بكار: وكان عبد الله بن عمر يتحفظ ما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يحضر يسأل من يحضر عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل، وكان يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩).

(٢) - رواه المروزي في السنة (٨٣)، وابن وضاح في البدع (٦٠).

(٣) - رواه أبو داود في كتاب الطهارة، باب كيف المسح (١٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف ١: ٢٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١: ٢٩٢، (١٤٣٨) والدارقطني في سننه ١: ٢٠٤، والبغوي في شرح السنة ١: ١٩٥.

(٤) - رواه الترمذي في كتاب الأدب، باب ما يقول العاطس إذا عطس (٢٦٦٢)، والحاكم في المستدرک (٧٨٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٢٧).

(٥) - رواه ابن حبان في صحيحه (٧٠٧٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧٤).

فيقال له في ذلك فيقول: أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن عمر: «لا يزال الناس على الطريق؛ ما اتبعوا الأثر»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنبه ابن أخ له، فخذف فنهاه وقال إن رسول الله ﷺ نهى عنها فقال: إنها لا تصيد صيداً ولا تنكي عدواً، وإنما تكسر السن وتفقا العين. قال: فعاد ابن أخيه فخذف، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تخذف لا أكلمك أبداً<sup>(٤)</sup>.

وقد قال عمر ﷺ: «إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»<sup>(٥)</sup>.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم

---

(١) - تاريخ بغداد ١: ٧٨.

(٢) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٥٨).

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٣: ١٩، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦٨)، والحاكم في المستدرک (٣٢٤) وقال: صحيح على شرطها ولم يخرجها، والمروزي في السنة (٨٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٠) و (١٠٠)، وأحمد في الزهد (٨٧٩).

(٤) - رواه ابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغلب على من عارضه (١٧)، والدارمي في سننه (٤٤٧)، والحميدي في مسنده (٩٢٨) والحاكم في المستدرک (٧٨٦٧).

(٥) - رواه الدارمي في سننه (١٢١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٥) و (٢٣٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٦)، والآجري في الشريعة (١٠٠).

ممرضة للقلوب»<sup>(١)</sup>.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ألا وإن رفعه ذهاب أهله، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بأمركم العتيق»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيتم»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لن تضل ما أخذت بالأثر»<sup>(٤)</sup>.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «ما ابتدعت بدعة؛ إلا ازدادت مضياً، ولا نزع سنة؛ إلا ازدادت هرباً»<sup>(٥)</sup>.

وعن سالم بن عبد الله أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال عبد الله بن عمر هي حلال فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها فقال عبد الله بن عمر: رأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبي نتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup>.

وهذه النصوص تصور حرصهم على الاتِّباع، وعظم خطر الابتداع على الأمة وشره الذي يهدد عقيدتهم وما هم عليه من السُّنة.

---

(١) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٧٦)، والفريابي في القدر (٣٧١)، والآجري في الشريعة (١٣٠).

(٢) - رواه ابن وضاح في البدع (٦١).

(٣) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٢)، والدارمي في سننه (٢١١)، والمروزي في السُّنة (٧٨)، والطبراني في الكبير (٨٧٧٠)، وأبو خيثمة في كتاب العلم: ١٦، وابن وضاح في البدع (١٣)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٤٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة (٩٢).

(٤) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٠).

(٥) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة (١١٣).

(٦) - رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في التمتع (٧٥٣).

وهكذا عرف التابعون مدى تمسك الصحابة بسنة نبيهم حتى قال إبراهيم النخعي: «لو بلغني أنهم -يعني الصحابة- لم يجاوزوا بالوضوء ظفراً لما جاوزت، وكفى بنا على قوم إزراء أن نخالف أعمالهم»<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى رجل: «سلام عليك، أما بعد: فإنني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت سنته، وكفوا مئوته، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط، إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها، وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها بإذن الله لك عصمة، فإن السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق، والتعمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل ما فيه - لو كان - أخرى، فإنهم السابقون، ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت حدث بعدهم حدث، فما أحدثه إلا من خالف سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مُقَصَّر، ولا فوقهم مُحَسَّر لقد قَصَّر عنهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»<sup>(٢)</sup>.



(١) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٦٤).

(٢) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٧١)، وابن وضاح في البدع (٧٣)، والآجري في الشريعة (٥٣٥)، والبيهقي في القضاء والقدر (٤٧٥).

### المبحث الثالث: الولاء لله ورسوله، والبراءة من الكفر وأهله

عقيدة الولاء والبراء أقوى من رابطة القربى والدم، فهي رابطة العقيدة، فنوح عليه السلام لما نادى ربه وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِ﴾ هود: ٤٥، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَنِ اسْتَشَارَكَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود. فالاعتبار برابطة العقيدة، وليس بالأبوة ولا بالقبيلة، ولم ينتصر المسلمون الأوائل إلا بعدما تخلصوا من هذه الأشياء، من الرواسب الجاهلية، أو التعصب للقبيلة، أو التعصب للبلد والعلاقة العائلية، فكان تعصبهم إنما هو لله ورسوله، وقطعت الوشائج والعلاقات ولم يبق إلا علاقة الدين، ورابطة العقيدة، فمن تولى الكافرين ورضي عن دينهم، وابتعد عن المسلمين وعابهم فهو كافر عدو لله ولرسوله ولعباده المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيَكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ التوبة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران. ﴿٢٨﴾

● - وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في تقرير عقيدة الولاء والبراء، وكان الإنسان يفصل أباه وأخاه وأهله وعشيرته في سبيل الدين، ويحارب حتى أقرب الناس إليه إذا كان معادياً لله ورسوله، فقد آثروا إرضاء الله ورسوله ﷺ على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، ولذلك كان ولاؤهم لله ورسوله سبباً وعاملاً مهماً من عوامل النصر على الكافرين. وقد رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صوراً مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطأً فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعاً مادياً وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبه في صف المشركين، وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى.

٢- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين، وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيراً في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها<sup>(١)</sup>. إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي.

٤- كان شعار المسلمين في بدر (أَحَدٌ، أَحَدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها، وللإيمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه حينما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مضطهداً ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

(١)- انظر: سيرة ابن هشام ١: ٦٤٥.



فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم<sup>(١)</sup>.  
 ٥- وهذا أبو عبيدة يلتقي في بدر مع أبيه وهو مشرك، فيميل عنه أبو عبيدة لا يريد أن يقاتله، ثم في المرة الثانية يميل عنه، ثم في الثالثة يأخذه أبو عبيدة فيضرب رأسه فإذا رأسه في أرض وجثته في أرض، ورأى أبو حذيفة أباه المشرك وهو يسحب ليرمى في القليب ببدر دون أن ينكر قلبه ذلك.

ولهذا قال الله تعالى عنهم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

المجادلة. ﴿٢٢﴾

عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ يعني: أبا عبيدة ابن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: متعنا بنفسك يا أبا بكر ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة<sup>(٢)</sup>.

(١) - انظر: البداية والنهاية ٣: ٣٠٧، ومعين السيرة: ٢١٣. نقلاً عن السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لعلي الصلابي: ٣٢٢.

(٢) - أسباب النزول للواحدي: ٢٧٨، وتفسير البغوي ٨: ٦٣.

ومن أروع المواقف في ولائهم لله ورسوله ﷺ موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي مع والده المنافق: عندما قال ابن أبي: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون، ويخرجوا ويهربوا؛ أتى عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي؟ قال: وما ذاك؟ فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: (إِذَا تَرَعْدُ لَهُ أَنْفٌ كَثِيرَةٌ يَبْثِرَب) قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة فيقتلانه. فقال رسول الله ﷺ: (إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، اذْعُوا لِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي)، فدعاه، فقال: ألا ترى ما يقول أبوك؟ قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: يَقُولُ: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتينهما به، فقال رسول الله ﷺ: لا؛ فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه؛ ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج ابني يمنعي بيتي، يا للخزرج ابني يمنعي بيتي، فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه، فقال: (اذْهَبُوا إِلَيْهِ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ وَمَسْكَنَهُ)؛ فأتوه فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عند الترمذي: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنفلت حتى

تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه الطبري في تفسيره ٢٣: ٤٠٥.

(٢) - رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين (٣٢٣٧).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال (نعم صلي أمك) <sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ الممتحنة: ٨. قال: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قتيلة ابنة عبد العزى، فأتها بهدايا وصناب وأقط وسمن، فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلني علي حتى يأذن رسول الله ﷺ فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة <sup>(٢)</sup>.

ويأتي أبو سفيان وهو يحارب الرسول ﷺ يدخل فجأة في المدينة، يريد أن يسلم على ابنته زوجة الرسول ﷺ، فقد كان صهره، فأتى إلى رملة أم حبيبة في بيت الرسول ﷺ في غرفة، فدخل عليها، فلما دخل أراد أن يجلس على فراش الرسول ﷺ فطوت عنه الفراش، قال: له؟ وهو أبوها، قالت: أنت مشرك نجس، والرسول ﷺ نبي طاهر.

● - ومن تطبيقهم لهذه العقيدة: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ولتتم البراءة شرعت الهجرة، وقد مدح الله تعالى المهاجرين في سبيله فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٤١)</sup> النحل. أي: الذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى

(١) - رواه البخاري في كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين (٢٤٧٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (٢٣٧٢).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ٢٣: ٣٢٢.

آخرين غيرهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا﴾ يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكانة في ذات الله ﴿لَنْبُؤْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يقول: لنسكنهم في الدنيا مسكناً يرضونه صالحاً<sup>(١)</sup>.

وقد خرج الصحابة من ديارهم وفارقوا الأهل والأموال والمساكن وهاجروا إلى الله ورسوله ﷺ وتركوا كل شيء جمعوه في حياتهم فداءً وتضحية لهذا الدين، فقام المجتمع قياماً صحيحاً مبنياً على العقيدة والولاء لله والرسول ﷺ.

فقد نقل عن مالك بن أنس الأصبحي أنه مات في المدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف، وباقيهم تفرق في البلدان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فالصحابة خرجوا من ديارهم وتركوا كل شيء، تركوا آباءهم وأبناءهم وأموالهم لله ﷻ، حتى إن بعض هؤلاء كان رجلاً مريضاً فخرج مهاجراً فأتاه الموت وهو في الطريق عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قال: كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص - أو العيص بن ضمرة - قال: فلما أمروا بالهجرة كان مريضاً، فأمر أهله أن يفرشوا له على سريريه ويحملوه إلى رسول الله ﷺ قال: ففعلوا، فأتاه الموت وهو بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء<sup>(٢)</sup>، فهؤلاء ما ضحوا إلا بعد ما خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان.

وأقبل صهيب الرومي مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من المشركين فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أني من أركام رجلاً؛ وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم. فقالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوهم ففعل، فلما قدم على النبي ﷺ قال: (ربح البيع أبا يحيى)

(١) - جامع البيان ١٧: ٢٠٥.

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ٩: ١١٤، (١٠٢٨٢)، والبيهقي في السنن ٩: ١٤.

وتلا له الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٧) البقرة وأكثر الروايات أن هذه الآية نزلت في صهيب الرومي رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

وكان من تمام هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة: أن النبي صلى الله عليه وسلم منع المهاجر أن يظل في مكة بعد النسك أكثر من ثلاثة أيام، فقال للصحابة: (يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً) <sup>(٢)</sup>. أي لا يحل لرجل هاجر من مكة إلى المدينة أن يرجع فيستوطن مكة مرة أخرى، له ثلاثة أيام بعد النسك فقط، وبعدها لا يحل له أن يبقى في مكة؛ حتى لا يرجع في ما وهبه وفعله الله عز وجل، ولهذا خشي سعد أن يموت بمكة في الأرض التي هاجر منها عن سعد بن أبي وقاص قال: مرضت عام الفتح مرضاً أشفيت منه على الموت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني.. ثم قال: قلت يا رسول الله أخلف عن هجري؟ قال: إنك لن تحلف بعدي فتعمل عملاً تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة ودرجة ولعلك أن تحلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد ابن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة <sup>(٣)</sup>.

● - ومن الولاء والبراء: حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمحبة في الله والبغض في الله، عن أنس بن مالك: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله؟ قال (ما أعددت لها). قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنني أحب الله ورسوله قال: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم «إفانك مع من أحببت». قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم <sup>(٤)</sup>.

(١) - انظر: زاد المسير ١: ٢٢٣، وروح المعاني ٢: ١٨٣، وقد روى قصة صهيب: الطبراني في الكبير (٧٣٠٨) والحرث بن أبي أسامة كما بغية الحرث: ٢١٤، (٦٧٧)، وأبو نعيم في الحلية ١: ١٥١، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٢٢٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤: ٢٢٨.

(٢) - رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه (٣٧١٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز الإقامة بمكة للمهاجر منها بعد فراغ الحج والعمرة ثلاثة أيام بلا زيادة (٣٣٦٤).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم خزيمة بن سعد (١٢٣٣)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (٤٢٩٦).

(٤) - رواه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله (٥٨١٩)، وفي كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر، (٣٤٨٥) ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب (٦٨٨١).

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وقال: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: أي عرى الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: (الموالة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله)<sup>(٣)</sup>.

عاش الصحابة على هذا المنهج الرباني: أن تحب الرجل لا تحبه إلا لله، عن ابن عباس قال: أحب في الله ووال في الله وعاد في الله، فإنها تنال ولاية الله بذلك، لا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك، ثم قرأ: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> الزخرف، وقرأ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(٥)</sup> المجادلة: ٢٢.

وعن زجلة قالت: كنا مع أم الدرداء جلوساً فقال لهم هشام بن إسماعيل الأمير: يا أم الدرداء ما أوثق عملك في نفسك؟ قالت: الحب في الله<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا وكثير التبسم، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، قيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما كان من الغد بكرت إلى المسجد مسرعاً،

(١) - روه أبو داود في كتاب السنّة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٤٦٨١)، والطبراني في الكبير (٧٦١٣)، والبغوي في شرح السنّة ٦: ٢٩٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٠٢١) وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٩١، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٤٨) عن أبي أمامة.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢٢٩، و ٨: ١٣٠، والطيالسي في مسنده (٧٤٧)، قال ابن حجر: واستدل بذلك على أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأن الحب والبغض يتفاوتان. الفتح ١: ٩.

(٣) - رواه الطبراني في الكبير (١١٥٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥١٣)، والبغوي في شرح السنّة ٦: ٢٩٤.

(٤) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٩٦، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٣٥٣)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٢٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (١٣٥٤) وهو الذي زاد: ثم قرأ.. إلخ.

(٥) - رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان (١٨) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ٢: ٤٢١.

فوجدته قد سبقني ووجدته يصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك، فقال ﷺ: الله؟ فقلت: الله، فأخذني في بحبوة ردائي فجذبني إليه فقال: أبشر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (وجبت محبتي للمتحابين والمتباذلين في) <sup>(١)</sup>.

وإن من أعظم وأنصح صور الحب في الله والبغض في الله، ما سطره الأنصار الأبرار الأطهار الأخيار، الذين فتحوا القلوب والأعين للمهاجرين، قبل أن يفتحوا البيوت والدور، وزكاهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

لقد فتح الأنصار قلوبهم فحلَّ فيها المهاجرون، حتى قاسم الأنصاريُّ المهاجرَ وشاركه في كل شيء، ومن أجل ما ثبت في هذا ما ورد من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: لما قدمنا إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، قال: فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع. قال: فعدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة فقال رسول الله ﷺ: تزوجت؟ قال: نعم. قال ومن؟ قال: امرأة من الأنصار. قال: كم سقت؟ قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب. فقال له النبي ﷺ: (أولم ولو بشاة) <sup>(٢)</sup>.

وكان المهاجرون والأنصار يرث بعضهم بعضاً بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض، وبقوله: ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ فَصَبِيهِمْ﴾ ، قال: كان المهاجرون حين

(١) - رواه مالك في كتاب الجامع، باب ما جاء في المتحابين في الله (١٥٠٣).

(٢) - رواه البخاري في كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ﴾ (١٩٤٣)، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب إحياء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار (٣٥٧٠).



قَدِمُوا المدينة، يرث المهاجريُّ الأنصاريُّ دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم. فلما نزلت هذه الآية: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾، نسخت<sup>(١)</sup>.

● - **ومن الولاء والبراء: عدم الاستعانة بغير المسلمين**، فعن عياض أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك فعجب عمر، وقال: «إن هذا لحفيظ هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟» فقال: إنه لا يستطيع، قال عمر: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي، قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١. <sup>(٢)</sup> . وزاد البيهقي في رواية: وقال عمر: «لا تক্রموهم إذ أهانهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ولا تأتمنوهم إذ خونهم الله ﷻ» <sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب: إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة، لم يُرَ قط أحفظ منه ولا أكتب منه، فإن رأيت أن تتخذه كاتباً بين يديك، إذا كانت لك الحاجة شهديك، قال: فقال عمر: قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين <sup>(٤)</sup>.

وعن وسق الرومي قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب وأنا نصراني فكان يعرض علي الإسلام ويقول: «إنك إن أسلمت استعنت بك على أمانتي فإنه لا يحل لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولست على دينهم» فأبيت عليه فقال: لا إكراه في الدين، فلما حضرته الوفاة أعتقني وأنا نصراني وقال: اذهب حيث شئت <sup>(٥)</sup>.

وكتب إليه بعض عماله يستشيريه في استعمال الكفار، فقال: إن المال قد كثر، وليس يحصيه إلا هم -أي: أن الجبايات والخراج والواردات كثرت وهم عندهم حذق وفهم في أعمال المحاسبة-، فاكتب إلينا بما ترى، فكتب إليه: «لا تدخلوهم في دينكم،

(١) - رواه الطبري في تفسيره ٨: ٢٧٧، (٩٢٧٥).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٢٠٤، وفي شعب الإيمان (٩٣٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤: ١١٥٦.

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٢٧.

(٤) - رواه ابن أبي شيبه في المصنف ٦: ١٥٥.

(٥) - رواه أبو نعيم في الحلية ٩: ٣٤، والقاسم بن سلام في الأموال (٧٥)، وفي الناسخ والمنسوخ (٤٢١)، وابن زنجويه في الأموال (١١٨)، وابن أبي شيبه في المصنف ٣: ٥٠٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢: ٤٩٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى



ولا تسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلموا الكتابة فإنها هي للرجال».

وكتب إلى عماله: «أما بعد، فإنه من كان قبلك كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يوازره ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه، فإن رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم، ولا خليفته من بعده».

وورد عليه كتاب معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن في عملي كتاباً نصرانياً لا يتم أمر الخراج إلا به، فكرهت أن أقلده دون أمرك. فكتب إليه: «عافانا الله وإياك، قرأت كتابك في أمر النصراني، أما بعد، فإن النصراني قد مات، والسلام». يعنى: هب أنه مات فما تصنع بعده، فما تعمله بعد موته فاعمله الآن، واستعن عنه بغيره.

وكتب إلى أبي هريرة رضي الله عنه: «.. وأبعد أهل الشر وأنكر أفعالهم، ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك وساعد على مصالح المسلمين بنفسك، فإنما أنت رجل منهم؛ غير أن الله تعالى جعلك حاملاً لأثقالهم».

وقد سار الخلفاء الذين لهم ثناء حسن في الأمة على نهج عمر رضي الله عنه في استبعاد أهل الذمة عن الوظائف التي فيها اطلاع على دواخل المسلمين، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله: «أما بعد، فإنه بلغنى أن في عملك كاتباً نصرانياً يتصرف في مصالح المسلمين والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِبَاسًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ المائدة فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسناً - يعنى ذلك الكاتب - إلى الإسلام، فإن أسلم فهو منا، ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به، ولا تتخذ أحداً على غير دين الإسلام في شيء من مصالح المسلمين». فأسلم حسناً وحسن إسلامه <sup>(١)</sup>.

ولهذا اشترط العلماء في عامل الخراج المختص بوضع الخراج وتقديره: الإسلام؛ لأن هذا العمل ولاية شرعية، ويحتاج إلى الأمانة، فلا يولى الذمى تقدير الخراج ووضعه، عند جمهور الفقهاء؛ لأن من شروط من يتولى هذا العمل: الأمانة والنصح للمسلمين، والحرص على مصالحهم، وهذه الشروط غير متحققة في المشركين، وقد نبه

(١) - انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم ١: ١٦٧ ما بعدها.

الله المسلمين على صفاتهم فهم لا يجبون الخير للمسلمين، ويغشون، ولا ينصحون، قال تعالى فيهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٠٥، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَقُّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> المتحنة .  
وعن معمر قال: بلغني أن أبا هريرة مر على يهودي فسلم، فقيل له: إنه يهودي، فقال: يا يهودي! رد على سلامي، وأدعوك، قال: قد رددته، قال: اللهم كثر ماله وولده<sup>(٢)</sup> .



### المبحث الرابع: إيمان الصحابة بالقضاء والقدر وموقفهم من الخوض فيه

عن الوليد بن عباد قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قال قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار<sup>(٣)</sup> .

وعن يعلى بن مرة قال: اجتمعنا نفراً من أصحاب علي، فقلت: لو حرسنا أمير المؤمنين، إنه محارب، ولا نأمن أن يغتال، قال: فبيننا نحن نحرسه عند باب حجرته حتى خرج لصلاة الصبح، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: حرسناك يا أمير المؤمنين؟ إنك محارب، وخشينا أن تغتال فحرسناك، فقال: أمن أهل السماء تحرسوني أم من أهل الأرض؟ قلنا: لا بل من أهل الأرض، وكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء؟ قال: «فإنه لا

(١) - انظر: الموسوعة الفقهية ١٩: ٧٥ وما بعدها.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦: ١٥٥.

(٣) - رواه أحمد في المسند (٢١٦٤٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٤٣٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١٩٢٢).

يكون في الأرض شيء حتى يقدر في السماء شيء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلاونه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن حجية عن أبيه قال: كان عبد الله بن مسعود إذا قعد يقول: «إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع. لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه. المتقون سادة والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أسير بن جابر أن علياً عليه السلام قال: «ما من آدمي إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه وإياه»<sup>(٣)</sup>.

ونظر علي بن أبي طالب إلى عدي بن حاتم كئيباً حزيناً فقال له: «ما لي أراك كئيباً حزيناً؟» فقال: وما يمنعني يا أمير المؤمنين وقد قتل أبي، وفقئت عيني؟ فقال: «يا عدي بن حاتم، إنه من رضي بقضاء الله جرى عليه، وكان له أجراً، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه، وحبط عمله»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود قال: «ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً وما يضر أحدكم على ما أصبح وأمسى من الدنيا إلا أن تكون في النفس حزازة، ولأن يعرض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله ليت هذا لم يكن»<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ١٢٤، (٢٠٠٩٦)، وفي تفسير القرآن (١٣١٧)، ومعمّر بن راشد في جامعه (٧٠٣).

(٢) - رواه أحمد في الزهد (٨٩٨)، وأبو داود السجستاني في الزهد (١٥٩)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٣٤١)، والطبراني في الكبير (٨٤٧٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣: ١٧٦.

(٣) - رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٥٦).

(٤) - رواه البيهقي في شعب الإبان، (٩٨٠٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠: ٩٤، وذكره المزني في تهذيب الكمال ١٩: ٥٣٠.

(٥) - رواه البيهقي في شعب الإبان، (٢١٣)، وفي القضاء والقدر (٤١٢)، و (١٥٢)، وقال: هذا إسناد صحيح وروي عن عبد الله مرفوعاً. وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٦٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٧١.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما أبالي على أي حال أصبحت، على ما أحب أو على ما أكره، لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره»<sup>(١)</sup>.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: قال معاوية بن أبي سفيان وهو على المنبر: «أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله ولا ينفع ذا الجدم منه الجدم، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ثم قال معاوية سمعت هذه الكلمات من رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأعواد<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يكرهون الخوض والجدال في القدر والتعمق فيه، ويذمون من تكلم فيه بغير علم، أما فهم مسائل القدر ومعرفتها والإيمان به وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فذلك غير داخل في النهي؛ لأنه معرفة ركن من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها ومعرفتها والتعبد لله بها، ولكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب حذروا من ذلك، ورأوا أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، وأنه لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر. والذين جحدوه هم القدرية وعامة ما يوجد من كلام الصَّحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء، فهذا الصَّحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «باب شرك فتح على أهل الصَّلَاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم»<sup>(٣)</sup>.

وقال وهب بن منبه: صحبت ابن عباس قبل أن يصاب بصره وبعدما أصيب فسئل عن القدر فقال: «وجدت أصوب الناس فيه حديثاً أجهلهم به وأضعفهم فيه حديثاً أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظراً ازداد بصره فيه تحيراً»<sup>(٤)</sup>.

وقيل لابن عباس إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر فقال: دلوني عليه وهو يومئذ قد عمي. قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ولئن وقعت رقبتة في يدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله

(١) - رواه ابن المبارك في الزهد والرفائق، (٤٢٠)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٨٥).

(٢) - رواه مالك في كتاب الجامع، باب جامع ما جاء في أهل القدر (١٤٠٠)، وأحمد في المسند (١٦٢٩٠)، والطبراني في الكبير (١٦١٣٨).

(٣) - رواه ابن بطه في الإبانة الكبرى (١٦١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٨٩٥)، والآجري في الشريعة (٤٦٤).

(٤) - رواه الطبراني في الكبير (١٠٦٠٧).

يقول: (كأنى بنساء بني فهر يظفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً) <sup>(١)</sup>.

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيـان <sup>(٢)</sup>.

وقال يحيى بن يعمر: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. قال: فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف الله لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد، فاكتفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الديلمي: وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت علي ديني وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به، فقال: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنت إن مت على غير هذا دخلت النار» <sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه أحمد في المسند (٣٠٥٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦١٢)، والفريابي في القدر (٣٧٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٨٦)، والآجري في الشريعة (٥٤٦).

(٢) - رواه الفريابي في القدر (١٨٧)، والخلال في السنة (٩١٩) و (٩٥٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٩٩)، والآجري في الشريعة (٤٥١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦٢٩).

(٣) - رواه مسلم في كتاب الإيـان، باب معرفة الإيـان والإسلام (١٠٢).

(٤) - رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، (٤٧٠١)، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٧٤)، وأحمد في المسند (٢١٥٨٩)، والطبراني في الكبير (٤٩٤٠)، وابن أبي شيبه في مسنده (١٣٠).

وعن عبد الله بن عمر أنّ رجلاً قال له: إنا نساfer فنلقى قوماً يقولون: لا قدر.  
قال: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه براء» ثلاث مرات  
(<sup>١</sup>). هذا بعض كلامهم في التحذير من إنكار القدر أو الخوض فيه، وفي بغض أهله  
ومعاداتهم، وعلى هذا المنهج سار علماء السلف رحمهم الله تعالى.



---

(١) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٨٦)، والطبراني في الكبير (١٣٥٨١).

## الفصل الثاني

### تفسير الصحابة للقرآن الكريم ومنهجهم فيه

بعد وفاة النبي ﷺ انتقلت أمانة حمل هذا الدين وتبليغه للناس كافة إلى صحابته الكرام الأوفياء الذين تعلموا في مدرسة النبوة، وتأدبوا بأدابها، ونهلوا من معين صاحبها ﷺ، فاقتدوا به في سائر شؤون حياتهم، فانتشر الصحابة في الأمصار، يبلغون الأمانة التي حملوها بصدق، وأدوها على أكمل وجه، فمن العلوم التي نشرها الصحابة تفسير كتاب الله تعالى وفهمه الفهم الصحيح، فتلقى عنهم التابعون ومن بعدهم، وكان التفسير في عهد الصحابة والتابعين مرتبطاً بالحديث الشريف كباب من أبوابه، ثم استقل وصار علماً مستقلاً له أصوله ومناهجه.

### المبحث الأول: المشتهرون بالتفسير من الصحابة

الصحابة ﷺ ليسوا سواء في فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه؛ وإنما برز منهم من اشتهر بالتفسير: كالخلفاء الراشدين الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله ﷺ وغيرهم، وهؤلاء كما كان لهم دورهم في بيان بعض ما أنزل الله تعالى، كان لهم كذلك دور آخر في تصحيح ما يظهر من فهم خاطئ لبعض الآيات الكريمة، وهؤلاء الكرام البررة كانوا يستجيون لكل من يطلب علمهم، وكانت تشد إليهم الرحال. وقام بعضهم بدور كبير في عصر التابعين.

وعلي وابن عباس هما أكثر الصحابة قولاً في التفسير. قال الإمام السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>.

(١) - الإتيان ٢: ٤٩٣

وقال الإمام ابن كثير: وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصَّحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبرائهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومنهم الخبر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترجمان القرآن دعا له

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل) <sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابنُ عباس» <sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثاني: علم الصَّحابة بالتفسير

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» <sup>(٣)</sup>.

وقال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣.

لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر: «إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة

(١) - رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٧٤)، وطرفه الأوَّل في البخاري في باب وضع الماء عند الخلاء (١٤٠).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٩٠، وابن أبي شيبه في المصنف ٧: ٥١٩، والحاكم في المستدرک (٦٣٥٢)، وأبو نعيم في معرفة الصَّحابة (٣٧٨٨).

(٣) - رواه البخاري في باب القراء من أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم (٤٦١٨).



في يوم الجمعة»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يُقَرِّئوننا: أنهم كانوا يستقرون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بها فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً»<sup>(٣)</sup>.

وقال مسروق: «كان عبدُ الله يقرأ علينا السُّورة، ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامّة النهار»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو وائل شقيق بن سلمة: «قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة، فجعل يُفسرها، فقال رجل: لو سمعتُ هذا الديلمُ لأسلمتُ»<sup>(٥)</sup>.

وقال شقيق: استعمل عليُّ ابنَ عباسٍ على الحج، قال: «فخطب الناسَ خطبة لو سمعها الترك والرُّوم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سُورة النور، فجعل يفسرها»<sup>(٦)</sup>.

وقال وهب بن عبد الله: شهدت علياً ﷺ يخطب ويقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أفي سهل أم في جبل»<sup>(٧)</sup>.

وفي رواية عنه ﷺ قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين

(١) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٦٧٢٦).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٣٥.

(٣) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨٠، والفريابي في فضائل القرآن (١٥٣).

(٤) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨١.

(٥) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨١.

(٦) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨١.

(٧) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨.

أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»<sup>(١)</sup>.

وقد قال الحاكم: «إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم

المرفوع»<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثالث: علمهم بالمكي والمدني

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول<sup>(٣)</sup>.

قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين أنزلت، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تنال المطايا لأتيته»<sup>(٤)</sup>.  
وقال علي: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً»<sup>(٥)</sup>.

وقد ورد عن ابن عباس وغيره عد المكي والمدني، فعن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: «كنت ألزم الأكاابر من أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً،

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨، وابن عساکر ٤٢: ٣٩٨.

(٢) - المستدرک ٢: ٢٨٣.

(٣) - الإتيقان ١: ٣٥.

(٤) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٨٠، (٨٣).

(٥) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨، وابن عساکر ٤٢: ٣٩٨.

وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرهما بمكة»<sup>(١)</sup>.

وكذلك يرجع في تفسير الآيات المتشابهة إلى الصحابة، قال الإمام الشافعي في مختصر البويطي: «لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أحد من أصحابه أو إجماع العلماء»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أكد الصحابة على أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ: فعن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً ﷺ أتى على قاض فقال له هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو البخري: دخل علي ﷺ المسجد فإذا رجل يخوف الناس، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل يذكر الناس، فقال: ليس برجل يذكر الناس، لكنه يقول أنا فلان ابن فلان فاعرفوني، فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه<sup>(٤)</sup>.



---

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٧١.

(٢) - الإتيقان ١: ٤٤٧.

(٣) - رواه البيهقي واللفظ له، في السنن الكبرى ١٠: ١١٧، (٢٠٨٥٧)، وفي المدخل إلى السنن (١٣٢) وابن أبي شيبة في المصنف ٦: ١٩٦، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ١: ٤.

(٤) - ذكره في كنز العمال ١٠: ٢٨١، ونسبه إلى (المروزي في العلم والنحاس في نسخه والعسكري في المواعظ)، وذكره السيوطي في الدرر المنثور ١: ٢٠١، والقرطبي في تفسيره ٢: ٦٢.

## المبحث الرابع: ورع الصحابة في التفسير

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾<sup>(٣١)</sup> عيس فقال: «هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟» ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا هو التكلف يا عمر»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾<sup>(٥)</sup> السجدة فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> المعارج؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما<sup>(٣)</sup>. فكره أن يقول في كتاب الله بغير علم.



## المبحث الخامس: أهمية الرجوع إلى تفسيرهم

لا شك أن تفسير الصحابة للقرآن هو أوثق التفاسير بعد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بد

(١) - رواه الطبري في تفسيره هذا اللفظ، ورواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٦٨٧)، بلفظ: أن أبا بكر الصديق، سئل عن قوله: وفاكهة وأبا، وذكر بقيته.

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٣٨٥٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن أبي شيبة في المصنف ٧: ١٨٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٠٢)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٦٨٨).

(٣) - رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٦٨٩)، بهذا اللفظ، ورواه الحاكم في المستدرک باختلاف يسير، (٨٩٥٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وانظر تفسير القرآن العظيم ١: ١١.

من الرجوع إليه، فلا يصح لأحد أن يفسر القرآن بدون الرجوع إلى تفاسير الصحابة، ومن أهم الأسباب التي تدلُّ على أهمية الرجوع إلى تفسيرهم:

**أولاً:** حسن فهمهم للقرآن؛ لأنهم شهدوا التنزيل، وعرفوا أحواله ومن نزل فيه: إذ الشاهد يدرك من الفهم ما لا يدركه الغائب، ومعرفة سبب النزول ومشاهدة وقت التنزيل للآية يعين كثيراً على فهم معاني الآيات، لهذا فالصحابة لما شهدوا التنزيل وعرفوا مواقعها ومتى أنزلت الآية، صاروا أولى الناس بمعرفة معاني القرآن.

قال الإمام الشاطبي: «فمتى جاء عنهم تقييدُ بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه على الصواب، وهذا إن لم ينقل عن أحدهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية»<sup>(١)</sup>.

قال الحاكم: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، عند الشيخين حديث مسند»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: «فهم أعلم الأمة بمراد الله ﷻ من كتابه؛ فعليهم نزل، وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يُعدَّل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل»<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً:** أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وقد نزل بلسان عربي مبين، وأصح الناس لفهم اللغة هم الصحابة؛ لأن اللحن لم يوجد فيهم ولم تدخلهم العجمة، ولم يتفرقوا في البلاد بمخالطة من ليس من أهل اللغة، فهم أهل اللسان الصحيح، وهم في المرتبة العليا في الفصاحة ولذا فهم أعرف من غيرهم في فهم الكتاب والسنة، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صحَّ اعتماده من هذه الجهة<sup>(٤)</sup>.

وهم أعمق الأمة في فهم اللغة التي نزل بها القرآن؛ لأن علماء الصحابة كانوا يعتنون بموارد التفسير في اللغة، كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر: ما تقولون في

(١) - انظر: الموافقات ٤: ١٢٨.

(٢) - في التفسير من كتاب المستدرک ٢: ٢٥٨.

(٣) - بدائع التفسير ٣: ٤٠٤، وفي هذه الأسباب انظر مقالة: تفسير الصحابة للقرآن لمساعد بن سليمان الطيار مجلة البيان العدد ٩٨.

(٤) - انظر: الموافقات ٤: ١٢٨.

هذه الآية؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم. قال شاعرنا وأنشد:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا.. كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: «شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس قال: «إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتزمه في الشعر فإنه ديوان العرب»<sup>(٢)</sup>.

وابن عباس رضي الله عنه كان عالماً بأشعار العرب، فكان يجلس في منزله في مكة ويصيح غلامه من أراد أن يسأل عن شعر العرب ولغتها فليدخل، فيدخل من يريد أن يسأل عن الأشعار فيجيب ابن عباس رضي الله عنهما وهكذا.

وقد ظهرت عناية ابن عباس بالشعر واستفادته منه في سؤالات نافع بن الأزرق له، ومن ذلك:

أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: أخبرني عن قوله يَعْمَهُونَ قال: يلعبون ويترددون. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول الشاعر:

أراني قد عمهت وشاب رأسي... وهذا اللعب شين بالكبير<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قول الله إِذْ

(١) - ذكره الرازي في تفسيره ٩: ٣٩٥، والقرطبي ١٠: ١١٠، والألوسي ١٠: ١٧٩، والباقعي في نظم الدرر ٤: ٤٦٧. والرحل: ما يوضع على الدابة، والضمير في «منها» لناقة، وتامكا، على وزن فاعل: سنام الناقة، وقرد، بفتح القاف، وكسر الراء: لبد من السمن، والقرد: الذي تجعد شعره فكان كأنه وقاية للسنام، وعود النبعة، النبع: شجر للقسي والسهام، والسفن، بفتح السين والفاء: آلة القطع كالقدوم، يقول: إن الرحل قطع من ناقته سناماً سميناً كما قطع القدوم شجرة النبع والسفن: كل ما ينحت به غيره.

(٢) - رواه البيهقي واللفظ له في السنن الكبرى ١٠: ٢٤١، وفي شعب الإيمان (١٦٨٣)، والحاكم في المستدرک (٣٨٠٤)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء: ٨٦.

(٣) - أخرجه الطستي كما في الدر المنثور ١: ٣٧.

**تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ** ❁ آل عمران: ١٥٢. قال: تقتلونهم قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك

قبل أن ينزل الكتاب على محمد ﷺ؟ قال: نعم. أما سمعت قول عتبة الليثي:

نحسهم بالبيض حتى كأننا... نفلق منهم بالجهاجم حنظلاً<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله ﷺ: ❁ **فَلَا تَأْسَ** ❁

المائة. قال: لا تحزن. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت امرؤ القيس

وهو يقول:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم... يقولون لا تهلك أسي وتجمّل<sup>(٢)</sup>.

كما أن ما نقل عنهم من كلام أو تفسير فإنه حُجَّة في اللغة، وفيه بيان لصحة

الإطلاق في لغة العرب.

**ثالثاً:** هو أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أشدُّ الناس ورعاً في تفسير القرآن

الكريم، ولذلك كان كلامهم في التفسير قليلاً، ولكنه كثير الفائدة.



### المبحث السادس: منهج الصحابة في التفسير

الصحابة ﷺ هم أول من نقل إلينا التفسير، فقد كانوا يسألون رسول الله ﷺ عما

يشكل عليهم من معاني القرآن، كما سأله عمر ﷺ عن الكلاله، وكذلك حين قال النبي

ﷺ من نوقش الحساب عذب سألته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قوله تعالى:

(١) - جزء من خبر طويل فيه سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس رواه الطبراني في الكبير (١٠٥٩٧).

(٢) - أخرجه الطستي في مسائله كما في الدر المنثور ٣: ٣٥٦.

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْفَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الانشقاق فقال: ذلك العرض.

وعن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ إبراهيم فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط <sup>(١)</sup>.

وكان الصحابة يعتمدون في تفسيرهم على:

أولاً: القرآن الكريم، فما جاء مجملاً في موضع جاء مبيناً في موضع آخر، وتأني الآية مطلقة أو عامة، ثم ينزل ما يقيدتها أو يخصصها، وهذا ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، وأمثله كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة: ١. تفسره آية: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّعُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ﴾ المائدة: ٣.

فمن تفسيرهم آيات القرآن بعضها ببعض: ما رواه أبو عبيد قال: رفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر، فقال: إنها رفعت إلي امرأة، لا أراها إلا قد جاءت بشر - أو نحو هذا - ولدت لستة أشهر! فقال ابن عباس: إذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر. قال: وتلا ابن عباس: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف: ١٥، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر. فحلى عثمان سبيلها <sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عن بعجة بن زيد الجهني: أن امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضاً، فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان ﷺ فأمر بها أن تُرجم، فدخل عليه علي بن أبي طالب ﷺ فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه:

(١) - رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، (٤٩٩).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ٥: ٣٤، واللفظ له، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠: ٣٢٩٣، ورويت هذه الحادثة عن عمر أنه أمر برجمها.. إلى نهاية الرواية كما في معرفة السنن والآثار للبيهقي في كتاب العدد، باب أقل الحمل وأكثره، (٤٩١٢).



﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥. وقال: ﴿وَفِصْلُهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ لقمان: ١٤. قال: فوالله ما عبدَ عثمان أن بعث إليها تردّ. قال ابن وهب: عبد: استنكف<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: النَّبِيُّ ﷺ**، فهو المبين للقرآن، فكان يبين لهم ما يشاء، فعن عقبة بن عامر **قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** الأنفال: ٦٠. **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ**<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد **قال: عن النبي ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْتِكُ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾** الأنعام: ١٥٨. **قَالَ: (طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا)**<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة **قال: عن النبي ﷺ قال: (ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَمْ نَكُنْ ءَامِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبْنَا فِي إِيمَانِنَا خَيْرًا﴾** الأنعام: ١٥٨. **طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالذَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس **قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي أنفا سورة فقراً: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾** **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾** **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** **﴿الْكَوْثَرَ﴾**. ثم قال: أتدرون ما الكوثر فقلنا: الله ورسوله أعلم قال: **(فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيَخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتَ بَعْدَكَ)**<sup>(٥)</sup>.

وكان الصَّحابة يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات، كما قال ابن مسعود: **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾** الأنعام: ٨٢.

(١) - رواه الطبري في تفسيره ٢١: ٦٥٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٧: ٢٨٠، وكذلك السيوطي في الدر المنثور ٩: ١٥٠.

(٢) - رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، (٣٥٤١).

(٣) - رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، (٢٩٩٧) وقال: حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه. ورواه أحمد في المسند، (١٠٨٣٦) و(١١٥٠٠).

(٤) - رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، (٢٢٧).

(٥) - رواه مسلم في كتاب الصَّلَاة، باب حجة من قال: **بِسْمِ اللَّهِ** آية من أول كل سورة سوى براءة، (٦٠٧).

قلنا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) لقمان (١).

**ثالثاً: الفهم والاجتهاد**، فكانوا يجتهدون إذا لم يجدوا في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسول الله ﷺ شيئاً، فقد كانوا على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة، والمعرفة بالعربية.

ولا شك أن التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمة كبيرة، إذ هم أهل اللسان العربي، وعاصروا الوقائع التي نزلت فيها الآيات، كما قال الشاطبي: «فهم أعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية» (٢).

وهذا منه ما رووه عن النبي ﷺ، ومنه ما كان موقوفاً عليهم، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن تفسير الصحابي إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وما ليس للرأي فيه مجال، فله حكم المرفوع، أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

والموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به؛ لأنهم أهل اللسان، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها (٣).

قال الإمام الزركشي: واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ،

(١) - رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١١٥) وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ (٣١١٠)، وأيضاً في باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

كُلَّ مُخَنَّالٍ فُخُورٍ﴾ (١٨) (٣١٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه، (١٧٨).

(٢) - الموافقات ٣: ٣٠٠.

(٣) - انظر: مباحث في علوم القرآن للقطن: ٣٣٤ وما بعدها.

أو عن الصَّحابة، أو عن رؤوس التابعين، فالأوَّل: يبحث فيه عن صحة السند، والثَّاني: ينظر في تفسير الصَّحابي، فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتماده، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه. وحيث إن تعارضت أقوال جماعة من الصَّحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النَّبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: اللهم علمه التأويل <sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير: وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصَّحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختلفوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه <sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: وللصحابة فهمٌ في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السُّنة وأحوال الرِّسول لا يعرفها أكثر المتأخرين؛ فإنهم شهدوا الرِّسول ﷺ والتنزيل، وعابنوا الرِّسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك <sup>(٣)</sup>.

روى مالك في الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنه مكث في تعلم سورة البقرة ثمانين سنين، فلمَّا أتمَّها نحر بدنة شكرًا لله تعالى، وهو لا شك كان يتعلم البقرة ألفاظًا ومعاني، وإلا فصغار الطلبة اليوم في المدارس الابتدائية يحفظون سورة البقرة في أسبوع أو في شهر، حاشا ابن عمر أن يحتاج إلى ثمانين سنين في حفظ ألفاظها فحسب؛ بل كان يتفهمها ويتلقاها ألفاظًا ومعاني.



(١) - البرهان ٢: ١٧٢.

(٢) - تفسير القرآن العظيم ١: ٧.

(٣) - مجموع الفتاوى ١٩: ٢٠٠.

## المبحث السابع: تعلم التابعين التفسير عن الصحابة

تخرج على أيدي الصحابة أجيال التابعين الكرام، وبرز عدد من أعلام التابعين تتلمذوا على يد الصحابة، وأخذوا عنهم التفسير، وزادوا عليه ما استنبطوه وفهموه بأنفسهم، مما كان غامضاً على الناس في عصرهم، فكان منهم أئمة في التفسير كمجاهد بن جبر المكي، تلقى جميع التفسير عن ابن عباس، يقول بمحض المصحف على ابن عباس ثلاث عرصات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها<sup>(١)</sup>.  
عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواح، فيقول له ابن عباس: «اكتب»، قال: حتى سأله عن التفسير كله<sup>(٢)</sup>.  
وقال عنه سفيان الثوري رحمه الله: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»<sup>(٣)</sup>.

**مدارس التفسير:** بعد زمن الصحابة نشأت مدارس على أثر تفسير الصحابة للقرآن، حيث عُني أهل كل قطر بتدوين ما سمعوه وروايته، مما ورد من التفسير عن الصحابي الذي كان معهم، فظهرت عدة مدارس في التفسير أشهرها:

**١- مدرسة مكة المكرمة:** ومعلمها الأول عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وتميّزت مدرسته بحذق التفسير وبحسن الكلام عليه. وأخذ عنه مولاة عكرمة أبو عبد الله البربري المدني، مجاهد بن جبر، فإنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يوقفه عند كل آية يسأله عن معناها، ولهذا كان سفيان الثوري وغيره من أئمة الحديث يقولون: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فعليك به أو فحسبك. وذلك لأنه أخذه عن ابن عباس. ومن تلامذته: طاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبو العالية

(١) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٩٠، (١٠٨)، و ٤: ٤٠٩، (٤٣٣٧)، وابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢٠٣، والحاكم في المستدرک (٣٠٦٠)، والدارمي في سننه (١١٦٧) والواحدي في أسباب النزول: ٤٧، والطبراني في المعجم الكبير (١١٠٩٧)، وأبو نعيم في الحلية ٣: ٢٧٩.

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٩٠، (١٠٧).

(٣) - رواه الطبري في تفسيره ١: ٩١.

الرياحي، وغيرهم.

كذلك نقل عن ابن عباس أصحابه في مكة: سعيد بن جبير وعكرمة وطاووس بن كيسان، والسدي صاحب التفسير، وأبو الزبير المكي المقرئ، فنشأت مدرسة التفسير في مكة، ثم توسعت هذه المدرسة في تبع التابعين وهكذا. ويقال: إن سعيد بن جبير أول من كتب في التفسير.

قال الإمام الذهبي: وفي «التهذيب» من الرواة عن ابن عباس: مئتان سوى ثلاثة أنفس<sup>(١)</sup>.

**٢- مدرسة المدينة المنورة:** وأستاذها الأكبر أبي بن كعب، وهي مدرسة الخلفاء الأربعة وأكثرهم تفسيراً هو علي بن أبي طالب؛ ولهذا صار تلامذة علي بن أبي طالب في التفسير الذين تلقوا عنه التفسير والأقوال في تفسير الآي أكثر من غيره من الخلفاء. واشتهر في هذه المدرسة: سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم.

**٣- مدرسة العراق:** وأستاذها الأكبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ممن هو في الذروة في الصحابة في فهم كلام الله جل وعلا، وكثيراً ما يفسر القرآن بما يعلمه من أسباب النزول فإنه ممن أسلم قديماً وكان يقرأ القرآن أحسن قراءة وقد قال في ذلك النبي ﷺ: «من سره القرآن غصاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

واشتهر فيها مسروق ابن الأجدع، وقتادة بن دعامة، والحسن البصري، وعلقمة بن قيس، وإبراهيم ابن يزيد النخعي، والشعبي.

ووجدت مدارس أخرى للتفسير في اليمن ومصر والشام أيضاً.

(١) - سير أعلام النبلاء ٣: ٣٣٣.

قال الإمام ابن تيمية: أما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم. وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم. وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب<sup>(١)</sup>.

ثم دوّن العلماء تفاسير السلف، وهذه تسمى كتب التفسير بالمأثور؛ لأنه ليس فيها رأي لأصحابها كتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وكتفسير الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وكتفسير بابن مردويه وكتفسير ابن المنذر وكتفسير عبد بن حميد، وتفسير ابن أبي حاتم، أتى بعد ذلك ابن جرير فجمع كثيراً من تلك التفاسير المنقولة عن السلف في كتابه المشهور بالتفسير.

وهذه التفاسير المنقولة عن السلف في كتب التفسير بالمأثور هي عمدة الذين يفسرون القرآن بالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم؛ لكن الصحابة رضوان الله عليهم ربما اجتهدوا في التفسير بل كثيراً ما اجتهدوا في التفسير، فليس كل ما فسروا به القرآن قد سمعوه عن النبي ﷺ أو أخذوا تفسيرهم من القرآن في آية أخرى؛ بل إنهم اجتهدوا فيه.

وهذا كما يقول الإمام ابن تيمية: (والعلمُ إمّا نقلٌ مُصدّقٌ عن معصومٍ، وإمّا قولٌ عليه دليلٌ معلومٌ وما سوى هذا إمّا مزيفٌ<sup>٢</sup> مردودٌ وإمّا موقوفٌ لا يُعلمُ أنه بهرَجٌ ولا منقودٌ)<sup>(٢)</sup>.

والصحابة رضوان الله عليهم فيما اجتهدوا فيه في التفسير لم يفسروا القرآن بالرأي المجرد المذموم الذي جاءت الأدلة بدمه وإنما فسروا القرآن بما عندهم من آلات الاجتهاد والاستنباط.

(١) - مجموع الفتاوى ٣: ١٩٤.

(٢) - مجموع الفتاوى في مقدمة التفسير ٣: ١٩١.

ولهذا أهل العلم بعد ذلك ربما فسروا القرآن بالاجتهاد وبالاستنباط لأن الصحابة رضوان الله عليهم فسروا القرآن بالاجتهاد وبالاستنباط، فظهرت هناك تفاسير اجتهد فيها أصحابها أن يفسروا القرآن إما على وفق اللغة في كتاب مجاز القرآن ويعني بالمجاز معاني القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى الإمام اللغوي المعروف، وككتاب الفراء معاني القرآن ونحو ذلك.

فنشأ مع مدرسة التفسير بالمأثور مدرسة أخرى في التفسير هي تفسير بالاجتهاد وبالاستنباط إما من جهة النظر في اللغة وإما من جهة النظر في النحو، وإما من جهة النظر في أسباب النزول ونحو ذلك، وأولئك الذين فسروا بالرأي يعني بالاجتهاد بالاستنباط منهم المصيب ومنهم المخطئ<sup>(١)</sup>.

● - فمن أثر الصحابة في التفسير إذن:

**أولاً:** تبيينهم المنهج الصحيح في تفسير القرآن، فيفسر القرآن بالقرآن، ويرجع إلى النبي ﷺ فيما فسره من الآيات، فإن النبي ﷺ أوتي القرآن ومثله معه، وحيث لم يوجد شيء في ذلك عن رسول الله ﷺ اجتهدوا في الفهم فإنهم من خالص العرب يعرفون العربية ويحسنون فهمها ووجوه البلاغة فيها.

**ثانياً:** رجوعهم إلى النبي ﷺ وسؤالهم لما أشكل عليهم من القرآن، ورواية ما سمعوه عن النبي ﷺ من تفسير لكتاب الله تعالى.

**ثالثاً:** أنهم أهل اللسان العربي الفصيح، فتفسيرهم للقرآن أولى من تفسير غيرهم، بل له حكم المرفوع إذا لم يكن للرأي فيه مجال.

**رابعاً:** تعليمهم للناس معاني آيات القرآن الكريم حتى إن بعضهم عرض القرآن كاملاً على ابن عباس عدة مرات.



(١) - انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ: ٩ وما بعدها.

## الفصل الثالث

### فقه الصحابة واجتهادهم

#### المبحث الأول: نقل الصحابة لتفاصيل أحكام الشريعة

فقد كانوا حريصين على معرفة أمور دينهم، وكانوا يسألون رسول الله ﷺ عما أشكل عليهم، وأمثلة ذلك كثيرة لا تكاد تحصر، ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سألت رجل النبي ﷺ وهو على المنبر ما ترى في صلاة الليل؟ قال: مثني مثني فإذا خشي الصبح صلى واحدة فأوترت له ما صلى، وإنه كان يقول: اجعلوا آخر صلاتكم وتراً فإن النبي ﷺ أمر به <sup>(١)</sup>.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن مسح الحصى فقال: واحدة أو دع <sup>(٢)</sup>.

وعن وابصة بن معبد الأسدي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار، فقال: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك <sup>(٣)</sup>.

وعن وابصة بن معبد أيضاً قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ. قلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه. قال: دعوا وابصة، أدنُ يا وابصة مرتين أو ثلاثاً. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال: يا وابصة أخبرك أو تسألني؟ قلت: لا بل أخبرني، فقال: جئت تسألني عن البر والإثم. فقال: نعم فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول:

(١) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، (٤٥٢).

(٢) - رواه أحمد في المسند (٢٠٤٧٣)، و (٢٢١٨٨) عن حذيفة، و ابن خزيمة في صحيحه (٨٧٤)، والطيالسي في مسنده (٤٦٦)، وعبد الرزاق في مصنفه ٢: ٣٩، (٢٤٠٣)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢: ٣٠٢، بلفظ: (مرة واحدة وإلا فدع).

(٣) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٨٥٤).



(يا وابصة، استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) <sup>(١)</sup>.

ومن حرصهم على معرفة أمور دينهم: سألهم عن كيفية الصلاة في اليوم الذي كسنته، فعندما سألوا النبي ﷺ عن المسيح الدجال: وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوماً كسنته، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنته أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره <sup>(٢)</sup>.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه رسول الله حتى تعرفه.

وتوفي رسول الله ﷺ ولم يدع شيئاً إلا بينه، فعن أبي ذر رضى الله عنه قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكّرنا منه علماً» <sup>(٣)</sup>.

وهذا مصداق ما قاله الرسول ﷺ: (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء). قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء <sup>(٤)</sup>.

وقد كان الصحابة يطبقون ما رأوا عليه رسول الله ﷺ من العبادة، فيتعلم الناس منهم، عن الأصعب بن نباتة، أن رجلاً سأل علياً بالمدائن وهو في مسيرة للقاء معاوية، عن وضوء رسول الله ﷺ فدعا بمخضب من برام قد نصّفه الماء، قال علي: من السائل

---

(١) - رواه أحمد في المسند (١٧٣٢٠)، واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (١٧٨٥٨)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١٥٥٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٧٨٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠: ١١٠.

(٢) - رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (٥٢٢٨).

(٣) - رواه أحمد في المسند (٢٠٣٩٩) و (٢٠٤٦٧)، والطيلوسي في مسنده (٤٧٥)، والبخاري (٣٣١٩) ووكيع في الزهد (٥١٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٤، ورواه أبو يعلى في مسنده (٤٩٨١) عن أبي الدرداء.

(٤) - رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٥)، وابن أبي عاصم في السنّة (٤٠).

عن وضوء رسول الله ﷺ؟ فقام الرجل، فتوضأ علي ثلاثة ومسح برأسه واحدة، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ<sup>(١)</sup>.

وعن علي ﷺ أنه صلى الفجر ثم دخل الرحبة فدخلنا معه فدعا بوضوء فأتاه الغلام بإناء فيه ماء وطست فأخذ الإناء بيمينه فأفرغ على يده اليسرى ثم غسلها جميعاً ثم أخذ الإناء بيمينه فأفرغ على يده اليسرى فغسلها جميعاً فغسل كفيه ثلاثاً قبل أن يدخلها في الإناء وذكر الحديث وفي آخره قال من أحب أن ينظر إلى وضوء رسول الله ﷺ فهذا كان طهوره<sup>(٢)</sup>.

وعن يحيى المازني أنه قال لعبد الله بن زيد: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم فدعا بوضوء فأفرغ على يده فغسل يديه مرتين مرتين ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجله<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي قلابة قال جاءنا مالك بن الحويرث في مسجدنا هذا فقال: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي، فقلت لأبي قلابة: كيف كان يصلي؟ قال: مثل شيخنا هذا قال وكان شيخاً يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل أن ينهض في الركعة الأولى<sup>(٤)</sup>.

---

(١) - وقعة صفين لابن مزاحم المنقري: ١٤٦. والمخضب: شبه الإجانة يغسل فيها الثياب. والبرام: جمع برمة، وهى قدر من حجارة. نصفه الماء: بلغ نصفه.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١: ٤٧، (٢١٦).

(٣) - رواه مالك في كتاب الطهارة باب العمل في الوضوء (٢٩).

(٤) - رواه البخاري في كتاب الأذان، باب من صلى بالناس وهو لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته، (٦٣٦).

كما كانوا يلتمسون الوصية منه ﷺ، فعن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني قال: (أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف)، فلما ولى الرجل قال النبي ﷺ: (اللهم ازوله الأرض وهون عليه السفر) <sup>(١)</sup>.  
وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً جاءه فقال: أوصني. فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: (أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإن ذلك لك نور في السماوات ونور في الأرض)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (لا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ويذهب نور الوجه)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بالصمت إلا من خير فإنه مردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (صل قرابتك وإن قطعوك)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (لا تخف في الله لومة لائم)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (تحب للناس ما تحب لنفسك)، ثم ضرب بيده على صدره، فقال: (يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق) <sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه أحمد في المسند (٧٩٥٩) و (٩٣٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٩)، والحاكم في المستدرک (١٥٨٥) و

(٢٤٣٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٩٩ و ٧٢٤، ولم يذكر: (فلما ولى الرجل..).

(٢) - رواه أحمد في المسند (١١٣٤٩).

(٣) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٢٨).

وعن جبير بن نفير قال: دخلت على أميمة، مولاة رسول الله ﷺ قالت: كنت يوماً أفرغ على يديه وهو يتوضأ إذ دخل عليه رجل فقال: يا رسول الله إني أريد الرجوع إلى أهلي فأوصني بوصية أحفظها، فقال: «لا تشركن بالله شيئاً وإن قُطِّعَتْ وَحُرِّقَتْ بالنار، ولا تعصينَّ والدَيْكَ وإن أمراك أن تخلِّي من أهلك ودينك فتخلَّ، ولا تترك صلاة متعمداً فمن تركها متعمداً برئت منه ذمة الله ﷻ وذمة رسوله ﷺ، ولا تشربن الخمر فإنها رأس كل خطيئة، ولا تزد في تخوم أرضك فإنك تأتي يوم القيامة وعلى عنقك مقدار سبع أرضين، ولا تفرنَّ يوم الزحف فإنه من فر يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، وأنفق على أهلك من طَوْلِكَ ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم في الله ﷻ»<sup>(١)</sup>.

فهم الذين نقلوا إلينا أصول هذا الدين وفروعه، من أعمال القلب وأعمال الجوارح، وقد أمرهم النبي ﷺ باتباعه والاهتداء بهديه فقال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)<sup>(٢)</sup>، وقال في حجة الوداع: (خذوا عني مناسككم)<sup>(٣)</sup>.

### نقل زوجات النبي ﷺ للأحكام:

كما كان لتعدد زوجات النبي ﷺ أثر كبير في نقل الأحكام، وهي من أهم الحِكَم لتعدد زوجاته ﷺ، فكان كثير من النساء يأتون إلى أزواج النبي ﷺ، وخاصة إلى عائشة رضي الله عنها ليسألوها عن أحكام الدين وعن أمورهن الخاصة التي قد يستحيون أن

(١) - رواه الحاكم في المستدرک (٦٩٣١)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٠٤٦)، والطبراني في الكبير (١٩٩٥٠)، وأبو نعیم في معرفة الصحابة (٦٨٨٧).

(٢) - جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الأذان باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، (٦٠٥).

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥: ١٢٥، (٩٧٩٦).

يسألوا عنها النبي ﷺ، فعن عائشة قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه»<sup>(١)</sup>.

وعن إبراهيم بن المهاجر قال سمعت صفية تُحدِّث عن عائشة: أن أساء سألت النبي ﷺ عن غُسل المحيض، فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصبُّ على رأسها فتدلكه دلماً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها فقالت أساء: وكيف تطهر بها؟ فقال: سبحان الله تطهرين بها، فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك: تتبعين أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة، فقال؟ تأخذ ماءً فتطهر، فتُحسِّن الطهور، أو تُبلِّغ الطهور ثم تصبُّ على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تُفِيضُ عليها الماء. فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين<sup>(٢)</sup>.

كما أن زوجاته بيَّنوا عيشه وأفعاله وأحواله ﷺ في منزله، فهن أعلم الناس بها، فمن ذلك وصف عائشة رضي الله عنها ما كان عليه رسول الله في بيته، فعن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة<sup>(٣)</sup>.

وتصف عظمة أخلاقه ﷺ، فعن سعد بن هشام بن عامر قال أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن: قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم. قلت: فإني أريد أن أتبتل قالت

(١) - ذكره البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٠١).

(٢) - رواه مسلم في كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، (٥٠٠)، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الاغتسال من المحيض، (٢٧٠)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في الحائض كيف تغتسل، (٦٣٤)، وأحمد في المسند (٢٣٩٩٠).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، (٦٣٥)، وفي كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله (٤٩٤٤) بلفظ: فإذا سمع الأذان خرج. ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (٢٤١٣)، وأحمد في المسند (٢٣٠٩٣).

لا تفعل أما تقرأ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب: ٢١. فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له <sup>(١)</sup>.

وعن المقدام وهو ابن شريح عن أبيه قال: قلت لعائشة: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته قالت: بالسواك <sup>(٢)</sup>.

وكان المؤمنات يسألنه عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهن في الحياء حتى كان بعضهن يشكو إليه هجر بعولتهن لهن، اشتغالا بالتعبد أو لغير ذلك. وكان لا بد من تعليمهن وإنصافهن من بعولتهن.

مثل هذه الأسئلة كانت تخرج النبي ﷺ، فتتولى أمهات المؤمنين شرحها وبيانها. كما كان الرجال والنساء يرجعون بعده ﷺ إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين ولا سيما الزوجية فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها.

فكان أكثر الرواة عن عائشة رضي الله عنها أختها أم كلثوم وأخاها من الرضاة عوف بن الحارث، وابن أخيها القاسم وعبد الله ابني محمد بن أبي بكر، وحفصة وأسما بنتي أخيها عبد الرحمن، وعبد الله وعروة ابني عبد الله بن الزبير من أختها أسما. وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جداً.

كذلك كان أكثر الرواة عن السيدة حفصة رضي الله عنها أخاها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت عبيد وأم بشر الأنصارية ﷺ.

وأكثر الرواة عن السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أبناء أخواتها ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس ﷺ.

وأشهر الرواة عن السيدة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ابنتها حبيبة وأخوها معاوية وعنبسة وابنا أخيها وأختها ﷺ.

(١) - رواه أحمد في المسند (٢٣٤٦٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٧٩٣).

(٢) - رواه النسائي في كتاب الطهارة، السواك في كل حين، (٨).

أما السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها فقد روى عنها ابن أخيها رضي الله عنه.

وهكذا نرى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها كثيرٌ من أقربائها ومن النساء والرجال الآخرين<sup>(١)</sup>.

ولقد ذكر رواية السُّنَّة أن نساء النَّبي ﷺ روين عنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام أكثر من ثلاثة آلاف حديث، كان للسيدة عائشة فيه النصيب الأكبر، فقد روت ألفين ومائتين وعشر أحاديث.. ثم تلتها السيدة أم سلمة حيث روت حوالي ثلاثمائة وثمانية وسبعين وتتابع الباقي يروين ما بين خمسة وستين مثل أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وستين كحفصة بنت عمر، وستة وأربعين كميمونة بنت الحارث، وأحد عشر كزينب بنت جحش، وغير ذلك، رضي الله عنهن جميعاً<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثاني: فقهاء الصَّحابة ﷺ ومفتوهم

ورث الصَّحابة من النَّبي ﷺ العلم والفقہ بدين الله فكانوا أعلاماً يقتدى بهم في ذلك، فكان منهم من يفتي ويجتهد في النوازل، وكان منهم الفقهاء ويسمون بالقراء جمع قارئ وهم حفظة القرآن؛ لأنهم كانوا يحفظون الآيات مع أحكامها فكان القراء هم علماء الشريعة وفقهاءها، وقد ترك لهم النَّبي ﷺ جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية<sup>(٣)</sup>.

وقد أكسبتهم صحبتهم الطويلة لرسول الله ﷺ ومشاهدتهم للأحداث فهماً نافذاً، وفكراً صائباً، للوقوف على معرفة أسرار الشريعة ومقاصدها.

(١) - انظر: حقوق النساء في الإسلام لرشيد رضا: ٨٧، وأمهات المؤمنين في مدرسة النبوة لمصطفى الطحان: ٥.

(٢) - انظر: مقدمة ابن الصلاح تحقيق الدكتورة عائشة بنت الشاطي: ٧٦٦، ومقال: تعدد الزوجات وحكمته في الإسلام للدكتور جمعة الخولي مجلة الجامعة الإسلامية العدد: ٤٦.

(٣) - انظر بعض هذه القواعد والأحكام في: المدخل الفقهي العام ١: ١٦٦.

قال ابن القيم: كما أن الصحابة سادة الأمة وأئمتها وقادتها فهم سادات المفتين والعلماء.

عن مجاهد: العلماء أصحاب محمد ﷺ، وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ سبأ: ٦. قال: أصحاب محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن ميمون قال: قال لي معاذ بن جبل: «التمس العلم عند عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، فإنه عاشر عشرة في الجنة، وسلمان الخير، وعويمر أبي الدرداء»، قال: فلحقت بعبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup>.

وعن مسروق قال: «شامت أصحاب محمد ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: عمر، وعلي، وعبد الله، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم شامت - يعني الستة - فوجدت علمهم انتهى إلى: علي، وعبد الله»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي إسحاق، قال: قال عبد الله: «علماء الأرض ثلاثة، فرجل بالشام، وآخر بالكوفة، وآخر بالمدينة، فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة، والذي بالمدينة لا يسألها عن شيء».

وقال الشعبي: «ثلاثة يستفتي بعضهم من بعض: فكان عمر وعبد الله وزيد بن ثابت يستفتي بعضهم من بعض، وكان علي وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري يستفتي بعضهم من بعض»، قال الشيباني: فقلت للشعبي: وكان أبو موسى بذاك؟ فقال: ما كان أعلمه، قلت: فأين معاذ؟ فقال: هلك قبل ذلك.

عن أبي البخري قال: سئل علي عن أصحاب محمد ﷺ فقال: عن أيهم تسألوني؟ قالوا: عن عبد الله بن مسعود قال: علم القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى به علماً. فقالوا: أخبرنا عن أبي موسى؟ قال: صبغ في العلم صبغاً. قالوا: أخبرنا عن

(١) - رواه الطبري في تفسيره ٢٠: ٣٥٢.

(٢) - رواه أبو زرعة في تاريخه: ٩٦.

(٣) - رواه أبو زرعة في تاريخه: ٩٦.



حذيفة؟ قال: أعلم أصحاب رسول الله ﷺ بالمنافقين. قالوا: حدثنا عن عمار؟ قال: مؤمن نسي وإذا ذكرته ذكر. قالوا: حدثنا عن أبي ذر؟ قال: وعى علماً عجز عنه. قالوا: حدثنا عن سلمان؟ قال: عن لقمان الحكيم تسألوني، عِلْمَ علمِ الأولى وعلم الآخرة، بحرّاً لا يدرك قعره، وهو منا أهل البيت. قالوا: حدثنا عن نفسك؟ قال: كنت إذا سئلت أعطيت وإذا سكت ابتديت<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألتنا حذيفة عن رجل قريب السميت والهدي من رسول الله ﷺ حتى نأخذ عنه، فقال: لا أعلم أحداً أشبه سمياً وهدياً ولا دلاً برسول الله ﷺ من ابن أم عبد<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن المسيب: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن وشهد رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود بأنه عليم معلم<sup>(٣)</sup>، وبدأ به في قوله ﷺ: (خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد، ومن أبي بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل)<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي خالد قال: وفدت إلى عمر ففضل أهل الشام علينا في الجائزة فقلنا له، فقال: «يا أهل الكوفة، أجزعتم أني فضلت عليكم أهل الشام في الجائزة لبعثت شقتهم، فقد آثرتكم بابن أم عبد»<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ: ٣٠٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢: ٦١، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٣٨٨.

(٢) - رواه النسائي في السنن الكبرى ٧: ٣٥٥، (٨٢٠٨)، ويعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ: ٣٠٨.

(٣) - مسند أحمد (٣٥٩٨) وابن أبي شيبة في مسنده (٣١٧).

(٤) - سبق تخريجه.

(٥) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢٧٦، و ٥٢١، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦: ٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ٤:

٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣: ١٤٨.

وقال عقبة بن عمرو: «ما أرى أحداً أعلم بما أنزل على محمد ﷺ من عبد الله، فقال أبو موسى: إن تقل ذلك فإنه كان يسمع حين لا نسمع، ويدخل حين لا ندخل»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»<sup>(٢)</sup>.

قال الداوودي: بينما عمر بن الخطاب بطريق مكة ليلاً، إذا ركب مقبلين من جهة، فقال لبعض من معه: سلهم من أين أقبلوا؟ فقال له أحدهم: من الفج العميق، نريد البلد العتيق، فأخبر عمر بذلك، فقال: أوقعوا في هذا؟ قل لهم، فما أعظم، آية في كتاب الله، وأحكم آية في كتاب الله، وأعدل آية في كتاب الله، وأرجى آية في كتاب الله، وأخوف آية في كتاب الله؟ فقال له قائلهم: أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي، وأحكم آية في كتاب الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠. وأعدل آية في كتاب الله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(٧)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>(٨)</sup> الزلزلة. وأرجى آية في كتاب الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤٠)</sup> النساء. وأخوف آية في كتاب الله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣. فأخبر عمر بذلك، فقال لهم عمر: أفيكم ابن أم عبد؟ فقالوا: نعم، وهو الذي كلمك، قال عمر: «كنيف مليء علماً آثرنا به أهل القادسية على أنفسنا». قال الداوودي، ومعنى أعظم آية يريد في الشواب<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٣٨١).

(٢) - رواه البخاري في باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٤٦١٨).

(٣) - تفسير الثعالبي ٤: ٢٧٥.

وقال الأعمش عن إبراهيم: «إنه كان لا يعدل بقول عمر وعبد الله إذا اجتمعا، فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه؛ لأنه كان ألطف»، وقال أبو موسى: «لمجلس كنت أجالسه عبد الله أوثق في نفسي من عمل سنة»، وقال عبد الله بن بريدة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا﴾<sup>(١)</sup> محمد: ١٦. قال: هو عبد الله بن مسعود وقيل لمسروق: كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: «والله لقد رأيت الأخبار من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض». وقال أبو موسى: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألناه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً» وقال ابن سيرين: «كانوا يرون أن أعلمهم بالمناسك عثمان بن عفان، ثم ابن عمر بعده».

وقال شهر بن حوشب: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبة له» وقال علي: «أبو ذر أوعى علماً ثم أوكى عليه فلم يخرج منه شيئاً حتى قبض».

وقال مسروق: «قدمت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم»، وقال أبو تيممة: قدمنا الشام فإذا الناس مجتمعون على رجل، قال: قلت: من هذا؟ قالوا: «هذا أفقه من بقي من أصحاب النبي ﷺ، هذا عمرو البكالي»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس وهو قائم على قبر زيد بن ثابت: «هكذا يذهب العلم»، وكان ميمون بن مهران إذا ذكر ابن عباس وابن عمر عنده يقول: «ابن عمر أورعهما، وابن عباس أعلمهما»، وقال أيضاً: «ما رأيت أفقه من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس».

وكان ابن سيرين يقول: «اللهم أبقني ما أبقيت ابن عمر أقتدي به».

وقال ابن عباس: ضمنني رسول الله ﷺ وقال: (اللهم علمه الحكمة) وقال

(١) - رواه البخاري في التاريخ الأوسط ٢: ١٠٠٢، (٧٨١)، وفي التاريخ الصغير ١: ٢١٦.

أيضاً: دعاني رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتي، وقال: (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب). ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية: «مات رباني هذه الأمة».

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: «ما رأيت أحداً أعلم بالسنة، ولا أجلد رأياً، ولا أثقب نظراً حين ينظر مثل ابن عباس، وإن كان عمر بن الخطاب ليقول له: قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها».

وقال عطاء بن أبي رباح: «ما رأيت مجلساً قطُّ أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، وأعظم جفنةً، إن أصحاب القرآن عنده، وأصحاب النحو عنده، وأصحاب الشعر، وأصحاب الفقه، يسألونه كلُّهم، يصدُرهم في وادٍ واسع»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يسألني مع الأكابر من أصحاب رسول

الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مسعود: «لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد»<sup>(٣)</sup>.

وقيل لابن عباس: أنى أصبت هذا العلم؟ قال: «بلسان سؤال وقلب عقول»

<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه وقال طاووس:

«أدركت نحواً من خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكر ابن عباس شيئاً فخالفوه»

---

(١) - رواه ابن المبارك في الزهد (١١٧٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٠٥)، والبرجاني في الكرم والجود (٦٠).

(٢) - رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٧٣)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٩٦٧).

(٣) - رواه ابن أبي خيثمة في العلم (٤٨)، والحاكم في المستدرک ٣: ٦١٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ١٩٣.

(٤) - رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٨٧٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٣٣٠)، والبلاذري في أنساب الأشراف ١:

لم يزل بهم حتى يقررهم».

وقيل لطاووس: أَدْرَكْتَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَانْقَطَعَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ؟  
فقال: «أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا تَدَارَوْا فِي شَيْءٍ انْتَهَوْا إِلَى قَوْلِ ابْنِ  
عَبَّاسٍ»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي نجیح: كان أصحاب ابن عباس يقولون: ابن عباس أعلم من عمر  
ومن علي ومن عبد الله، ويعدون ناساً، فيثب عليهم الناس، فيقولون: «لا تعجلوا علينا،  
إنه لم يكن أحد من هؤلاء إلا وعنده من العلم ما ليس عند صاحبه، وكان ابن عباس قد  
جمعه كله»<sup>(٢)</sup>.

وقال الأعمش: «كان ابن عباس إذا رأته قلت: أجمل الناس فإذا تكلم قلت:  
أفصح الناس، فإذا حدث قلت: أعلم الناس»<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد: «كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه النور»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن المسيب: «ما أعلم أحداً بعد رسول الله ﷺ أعلم من عمر بن الخطاب»  
وقال بعض التابعين: «دُفِعْتُ إِلَى عُمَرَ، فَإِذَا الْفُقَهَاءُ عِنْدَهُ مِثْلُ الصَّبِيَّانِ، قَدْ  
اسْتَعَلَى عَلَيْهِمْ فِي فِقْهِهِ وَعِلْمِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٩١٤).

(٢) - رواه الطبري في تهذيب الآثار ١: ١٨٠.

(٣) - رواه الطبري في تهذيب الآثار ١: ١٧٩.

(٤) - رواه الطبري في تهذيب الآثار ١: ١٨١.

(٥) - رواه ابن زنجويه في الأموال (٨٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٦.

وقال محمد بن جرير: «لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود، وكان يترك مذهبه وقوله لقول عمر، وكان لا يكاد يخالفه في شيء من مذاهبه، ويرجع من قوله إلى قوله»<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: كان عبد الله لا يقنت، وقال: ولو قنت عمر لقنت عبد الله، وكان عبد الله يقول: «لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادي عمر وشعبه»<sup>(٢)</sup>.

وكان من المفتين عثمان بن عفان، قال ابن جرير: «غير أنه لم يكن له أصحاب يعرفون، والمبلغون عن عمر فتياه ومذاهبه وأحكامه في الدين بعده كانوا أكثر من المبلغين عن عثمان والمؤدين عنه».

قال ابن القيم: والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر، وأصحاب عبد الله بن عباس؛ فعلم الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة؛ فأما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وأما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس، وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود.

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ابن عمر وجماعة ممن عاش بعده بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ إنما كانوا يفتون بمذاهب زيد بن ثابت وما كانوا أخذوا عنه، مما لم يكونوا حفظوا فيه عن رسول الله ﷺ قولاً.

وعن علي اللخمي: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس بالجابية فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبا بن كعب ومن أراد أن يسأل عن الفرائض

(١) - إعلام الموقعين ١: ٢٠.

(٢) - رواه الطبري في تهذيب الآثار ١: ٣٧٢.

فليأت زيد بن ثابت ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله تعالى جعلني له خازناً وقاسماً<sup>(١)</sup>.

وأما عائشة فكانت مقدمة في العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام، وكان من الآخذين عنها الذين لا يكادون يتجاوزون قولها، المتفقهين بها: القاسم بن محمد بن أبي بكر ابن أخيها، وعروة بن الزبير ابن أختها أسماء.

قال مسروق: «لقد رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض».

وقال عروة بن الزبير: «ما جالست أحداً قط كان أعلم بقضاء، ولا بحديث بالجاهلية، ولا أروى للشعر، ولا أعلم بفريضة ولا طب من عائشة»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: والعلم إنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملئوا الدنيا خيراً وعلماً، والناس اليوم في بقايا آثار علمهم

وقال مالك عن نافع: «كان ابن عباس وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج وكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما يسأل عنه وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي»<sup>(٣)</sup>.

وقال مالك: «أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين»<sup>(١)</sup>، وقال عمر لجرير: «يرحمك الله إن كنت لسيداً في

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٦: ٢١٠، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣١٩)، والقاسم بن سلام في الأموال (٤٦٨)، وابن زنجويه في الأموال (٦٠٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧: ٣١٠، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٩٤، وابن أبي شيبه في المصنف ٧: ٣٢٥ إلى قوله: «فليأت زيد بن ثابت» فقط.

(٢) - انظر هذه الآثار في إعلام الموقعين ١: ١٦ وما بعدها.

(٣) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٩٠).

الجاهلية فقيهاً في الإسلام»، وقال محمد بن المنكدر: «ما قدم البصرة أحد أفضل من عمران بن حصين».

وكان لجابر بن عبد الله حلقة في مسجد رسول الله ﷺ يؤخذ عنه العلم<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم: وقد شهد لهم الصادق المهدي الذي لا ينطق عن الهوى بأنهم خير القرون على الإطلاق، كما شهد لهم ربهم تبارك وتعالى بأنهم خير الأمم على الإطلاق وعلمائهم وتلاميذهم وهلم جراً. وهؤلاء الأئمة الأربعة الذين طبق علمهم الأرض شرقاً وغرباً، هم تلاميذ تلاميذهم، وخيار ما كان عن الصحابة، وخيار الفقه ما كان عنهم، وأصح التفسير ما أخذ عنهم.

وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب، فمن وقف عليه وعرف ما قالته الأنبياء عرف أنه مشتق منه مترجم عنه، وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم، وهؤلاء تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم قد طبقت تصانيفهم وفتاويهم الأرض، فهذا مالك جمعت فتاويه في عدة أسفار، وكذلك أبو حنيفة، وهذه تصانيف الشافعي تقارب المائة، وهذا الإمام أحمد بلغت فتاويه وتأليفه نحو مائة سفر، وفتاويه عندنا في نحو عشرين سفرًا، وغالب تصانيفه بل كلها عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين، وهذا علامتهم المتأخر شيخ الإسلام ابن تيمية جمع بعض أصحابه فتاواه في ثلاثين مجلدًا ورأيتها في الديار المصرية، وهذه تأليف أئمة الإسلام التي لا يحصيها إلا الله، وكلهم من أولهم إلى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل، ويعترف بأن علمه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة

(١) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٩٢).

(٢) - هداية الحيارى: ١٢٦.



إلى علم نبيهم<sup>(١)</sup>.



### المبحث الثالث: المكثرون من الصحابة للفتوى

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ثم قام بالفتوى بعد النبي ﷺ برك الإسلام وعصابة الإيوان، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، أولئك أصحابه ﷺ، ألين الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة.

وكان الصحابة بين مكثر من الفتوى ومقل ومتوسط.

والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو محمد (ابن حزم): والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل<sup>(٣)</sup>. والباقون منهم مقلون في الفتيا<sup>(٣)</sup>.



(١) - انظر هداية الخيارى: ١٢٦ وما بعدها.

(٢) - إعلام الموقعين ١: ١٢.

(٣) - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، وإعلام الموقعين ١: ١٢.

## المبحث الرابع: ورع الصحابة في الفتوى

كان الصحابة يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره: فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «أدرت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدثه حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه»<sup>(١)</sup>.

وعن معاوية بن أبي عياش الأنصاري أنه كان جالساً مع عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر قال فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلاً من أهل البادية طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها، فماذا تريان؟ فقال ابن الزبير: إن هذا أمر مالنا فيه قول، اذهب إلى ابن عباس وإلى أبي هريرة رضي الله عنهما فإني قد تركتهما عند عائشة رضي الله عنها فسلهما ثم اتتنا فأخبرنا، فذهب فسألها، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: «الواحدة تبينها والثلاث تحرمها» فقال ابن عباس مثل ذلك حتى تنكح زوجاً غيره<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه في كل شيء فهو مجنون»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: «إذا ترك العالم (لا أدري) أصيبت مقاتلته»<sup>(٤)</sup>.

(١) - سبق تخريجه.

(٢) - رواه مالك في الموطأ في كتاب الطلاق، باب طلاق البكر (٢١١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ٣٥٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٤٢٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣: ٥٧.

(٣) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٥٢)، وابن بطة في إبطال الحيل (٨١)، وأبو يوسف في الآثار (٨٩٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٤٢٦، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١١٨٩).

(٤) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٦٧)، والآجري في أخلاق العلماء (١٠١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه

وقال ابن وهب: قال حذيفة: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بدا، أو أحق متكلف، قال: فربما قال ابن سيرين: فلست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث<sup>(١)</sup>.

وقد كان شأن الصحابة في المسألة المعضلة أن يجمعوا لها كبار فقهاءهم، قال أبو حصين: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الخامس: الاجتهاد عند الصحابة

كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الاجتهاد فيما لا نص فيه، كما في حديث معاذ عندما سأله النبي ﷺ كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله

---

(١١٠٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٦١، ورويت هذه المقولة عن ابن مسعود كما في الأمالي للصنعاني (١٥٧)، وعن ابن عجلان كما في المدخل إلى السنن للبيهقي (٦٦٦)، وأخلاق العلماء للأجري (١٠٢)، وقال بعضهم:

إذا ما قتلت الشيء علماً فقل به ..... ولا نقل الشيء الذي أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يرى متصديراً ..... ويكره (لا أدري) أصيبت مقاتله.

(١) - رواه الدارمي في سننه (١٧٨)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٤٣٠، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٢٣١، (٢٠٤٠٥) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٤٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٨٥، وانظر: إعلام الموقعين ١: ٤٠ وما بعدها.

(٢) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٥٧)، وابن بطة في إبطال الحيل (٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨:

الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معها ماء فتيهما صعيداً طيباً فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: أصبت السنة وأجزأتك صلاتك. وقال للذي توضأ وأعاد: لك الأجر مرتين<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> النساء. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً<sup>(٣)</sup>.

وكان لهذا التوجيه دوره الكبير في تأهيلهم للقضاء والإفتاء.

وبعد وفاته ﷺ كان عليهم المرجع، فقد استجدت أمور وأحداث، فكانوا يجتهدون فيما لا نص فيه، قال الإمام الجويني: «نحن نعلم قطعاً أن الوقائع التي جرت فيها فتاوى علماء الصحابة وأقضيتهم تزيد على المنصوصات زيادة لا يحصرها عد، ولا

(١) - رواه أبو داود في كتاب الأفضية باب اجتهاد الرأي في القضاء (٣١١٩)، والترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي (١٢٤٩)، وأحمد في المسند (٢١٠٠٠)، والطبراني في الكبير (١٦٧٧٥).

(٢) - رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب في المتيمم يجد الماء بعد ما يصلي في الوقت (٢٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ١: ٢٣١ في باب المسافر يتيمم في أول الوقت إذا لم يجد ماء ويصلي ثم لا يعيد وإن وجد الماء في آخر الوقت، والحاكم في المستدرک (٥٩٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والطبراني في الأوسط (١٩١١).

(٣) - رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم (٢٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ١: ٢٢٥ في باب التيمم في السفر إذا خاف الموت أو العلة من شدة البرد، وأحمد في المسند (١٧١٤٤) والحاكم في المستدرک (٥٨٩). وانظر: أصول الفقه قبل عصر التدوين للشيخ صفوان داوودي: ٣٥٧ وما بعدها.

يحيوها حد، فإنهم كانوا قايسين ما يقرب من مائة سنة والوقائع تترى، والنفوس إلى البحث طلقة، وما سكتوا عن واقعة صائرين إلى أنه لا نص فيها، والآيات والأخبار المشتملة على الأحكام نصاً وظاهراً، بالإضافة إلى الأقضية والفتاوى، كغرفة من بحر لا ينزف، وعلى قطع نعلم أنهم ما كانوا يحكمون بكل ما يعن لهم من غير ضبط وربط، وملاحظة قواعد متبعة عندهم، وقد تواتر من شيمهم أنهم كانوا يطلبون حكم الواقعة من كتاب الله تعالى، فإن لم يصادفوه فتشوا في سنن رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا اشتوروا ورجعوا إلى الرأي»<sup>(١)</sup>.

● - **فمن اجتهادات الصحابة:** جمع أبي بكر للقرآن بعد وفاته ﷺ، وذلك بعد موقعة اليمامة التي استحر فيها القتل بكثير من حفاظ القرآن، وذلك خشية ضياعه إن مات بقية القراء.

**ومن ذلك:** عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، حتى لا يختلف الناس من بعده، ويكون للعدو مطمع فيهم، مع أن النبي ﷺ لم يعهد بالخلافة إلى أحد من بعده.

**ومن ذلك:** قضاء الخلفاء الراشدين بتضمين الصناعات، وقول علي: «لا يصلح الناس إلا ذاك»، وما أفتى به عمر من قتل الجماعة بالواحد مستنداً في ذلك إلى أن القتل معصوم قتل عمداً، وقد أضيف القتل إلى مجموع الأشخاص، فلو لم يقتص منهم لكان ذلك إهداراً لدم بريء وتعطيلاً لحكم القصاص، وفتحاً لباب الجنايات دون تعرض للعقوبة الرادعة عنها<sup>(٢)</sup>.

وللخليفة عمر بن الخطاب ﷺ اجتهادات تتجلى فيها دقة فهمه لدين الله وبعده نظره، فمن ذلك: منعه عن الأشخاص المؤلفة قلوبهم من الموجودين في عهده ما كانوا يتناولونه من بيت المال من عطاء وقد كانوا يأخذونه في عهد الرسول ﷺ، ولكنه نظر إلى علّة النص لا إلى ظاهره، فقد كانت علّة إعطائهم تأليفهم عندما كان الإسلام ضعيفاً،

(١) - البرهان ٢: ٧٦٥. وانظر: الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية: ٢٧ وما بعدها.

(٢) - انظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد سعيد البوطي: ٣٦٥ وما بعدها.

فلما قويت شوكة الإسلام زال الداعي إلى إعطائهم، وليس معنى ذلك أنه أبطل سهم المؤلف قلوبهم، وإنما حبس العطاء عن هؤلاء الأشخاص بأعيانهم لزوال الحاجة إلى ذلك.

وكذلك اجتهاده في وقف تنفيذ حد السرقة في عام المجاعة، واكتفائه بتعزير السارق بدلاً من قطع يده، وذلك اجتهاداً منه في تطبيق شروط هذه العقوبة؛ لأن من شروطها شرعاً: أن لا يكون السارق مضطراً إلى السرقة اضطراراً، فقد اعتبر عمر في ذلك شبهة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة ملجئة وقد قال النبي ﷺ: (ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة) <sup>(١)</sup>.

وعن إبراهيم قال: قال عمر بن الخطاب: «لئن أعطت الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات» <sup>(٢)</sup>.

واجتهاده في منع تقسيم أراضي سواد العراق وأراضي مصر على الفاتحين لها، الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقسم الغنائم، وقد ذهب عمر إلى خلاف رأيهم فاعتبر الأراضي من الفيء الذي تتعلق به حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم، مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة وحقوقها في بيت المال، فأبقى الأرضين لأهلها، وطرح عليها ضريبة الخراج؛ لأن ذلك أصلح لإحيائها، وأعمّ لنفعها <sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ٢٣٨.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦: ٥١٤.

(٣) - انظر: المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقا ١: ١٧٥ وما بعدها.

## المبحث السادس: أثر فقه الصحابة واجتهاداتهم

وبفضل الاجتهاد الذي كان عليه الصحابة تضاعفت المادة العلمية ونمت لأصول الفقه، فقد اتخذوها أسساً ومصادر للتشريع أطلقوا عليها عناوين علمية مناسبة تشير إلى مدلولاتها وحقيقة معانيها، فمن ذلك:

**١- الإجماع:** وهو اتفاق الآراء، فقد كان أبو بكر إذا نزلت به نازلة ولم يجدها في صريح كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ جمع الفقهاء واستشارهم، وكان عمر يفعل ذلك فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة، سأل هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء، فإن كان له قضى به، وإلا جمع العلماء واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به. عن المسيب بن رافع قال: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا»<sup>(١)</sup>.

**٢- والأخذ بالمصالح المرسلة:** فقد أفتوا بفتاوى لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ وكانت فتاواهم مبنية على مراعاة المصالح المرسلة، وذلك نظراً لتوسع رقعة الإسلام، ونشوء أمور جديدة استوجبت عليهم أن يجتهدوا فيها، وكان ذلك وصولاً إلى تحقيق مصالح العباد، ودفع الأذى عنهم، فمن ذلك: جمع القرآن الكريم في مجموعة واحدة بعد أن كان في صحف مفرقة، واستخلاف أبي بكر الصديق قبل وفاته لعمر بن الخطاب، حيث كتب: «هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر. إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذلك علمي به، ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب»<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه الدارمي في سننه (١١٦).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ١٤٩، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٠٠٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٩٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٤١١.

فمن قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه «والخير أردت» وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إشارته على أبي بكر بجمع القرآن «هو والله خير» تعلم أن دافع هؤلاء الصحابة إلى فعل ما فعلوا إنما هو الخير وهو الذي عناه من سمي هذا الأصل بالمصلحة، وحيث لم يكن عند هؤلاء نص شرعي يعملون به أو يقيسون عليه كان هذا استصلاحاً، وعملاً بالخير للمسلمين. وحيث أنه لا يوجد نص شرعي ينهى عن مثل ذلك، كانت هذه المصلحة معتبرة.

وجعل عمر الأمر بعده شورى بين ستة من الصحابة يكون الخليفة واحداً منهم يختارونه فيما بينهم، وتدوين عمر الدواوين، وإسقاطه حد السرقة عام المجاعة، ونفيه نصر بن الحجاج عن مكة وكان شاباً جميلاً حينما سمع تشييب النساء به خوف الفتنة، وكذلك منعهم الخليفة من الخروج للتكسب وحسبه على مصالح المسلمين مقابل أجره يأخذها له ولأولاده، وغير ذلك مما كان سندهم فيه المصالح المرسله <sup>(١)</sup>.

**ومن ذلك أيضاً:** كتابتهم لأسماء المسلمين في ديوان واحد أو إحصائهم للجند، ووضع الخراج على سواد العراق، وعدم توزيع الأرض على الغانمين، وتحديد هم حد شارب الخمر بثمانين جلدة، ومنعهم الصديق والفراروق وذي النورين من الخروج بأنفسهم للغزو، ومنع عمر الولاة من التجارة، ونحو ذلك كثير <sup>(٢)</sup>.

**٣- والأخذ بالقياس:** فمن كلام عمر في رسالته إلى أبي موسى: «ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال والأشبهاء ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى، وأشبهها بالحق» <sup>(٣)</sup>.



(١) - انظر: الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية: ٣٧ وما بعدها، والبيان المأمول في علم الأصول: ١٤٢ وما بعدها.

(٢) - البيان المأمول في علم الأصول: ١٤٣.

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٥٠، وفي معرفة السنن والآثار (٦٠٤٨)، وفي السنن الصغير (٣٢٨٦)، والدارقطني في سننه ٤: ٢٠٦، ووكيع في أخبار القضاة: ١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢: ٧٠، وابن شبة النميري في تاريخ المدينة ٢: ٧٧٥، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٢٨) بألفاظ متقاربة.



## المبحث السابع: موقف العلماء من قول الصحابي

ومن أعظم الوسائل لفهم الكتاب والسنة: آثار الصحابة، فإن فهم ما يشكل من النصوص يعرف بأقوال الصحابة ومن تبعهم، فإنهم شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وقولهم مقدم على من جاء بعدهم، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وانظروا إلى عموم كلام الله ﷻ ورسوله لفظاً ومعنى حتى تعطيه حقه، وأحسن ما استدل به على معناه آثار الصحابة الذين كانوا أعلم بمقاصده، فإن ضبط ذلك يوجب توافق أصول الشريعة، وجريها على الأصول الثابتة»<sup>(١)</sup>.

وكان أبو بكر الطمستاني يقول: «من اتبع الكتاب والسنة، وهاجر إلى الله بقلبه، واتباع آثار الصحابة لم تسبقه الصحابة إلا بكونهم رأوا رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وفي أصول مذهب الإمام أبي حنيفة قال الشيخ ملا علي القاري: فإن لم يجد خبراً عن النبي ﷺ أخذ من آثار الصحابة ما كان أقرب إلى كتاب الله وسنة نبيه ويسمى ذلك اجتهاداً كما أثر عنه ﷺ قوله: كذب والله وافترى علينا من يقول: إننا نقدم القياس على النص، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس! وقال: نحن لا نقيس إلا عند الضرورة الشديدة، وذلك أننا ننظر في دليل المسألة من الكتاب والسنة أو أقضية الصحابة، فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتاً عنه على منطوق به<sup>(٣)</sup>.

وذكر من أصوله: عدم مخالفة الخبر للعمل المتوارث بين الصحابة والتابعين<sup>(٤)</sup>.

(١) - مجموع الفتاوى ٣: ٢٢٨.

(٢) - الطبقات الكبرى للشعراني ١: ١٢١.

(٣) - شرح مسند أبي حنيفة: ٦.

(٤) - شرح مسند أبي حنيفة: ٤.

وقال أبو حنيفة: «إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ولم نخرج عنه»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم وهو يذكر أصول الإمام أحمد: الأصل الثاني من أصل فتاوى الإمام أحمد: ما أفتى به الصحابة، فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها، ولم يقل إن ذلك إجماع، بل من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئاً يدفعه، أو نحو هذا، كما قال في رواية أبي طالب: لا أعلم شيئاً يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسري العبد، وهكذا قال أنس بن مالك: لا أعلم أحداً رد شهادة العبد، حكاه عنه الإمام أحمد، وإذا وجد الإمام أحمد هذا النوع عن الصحابة لم يقدم عليه عملاً ولا رأياً ولا قياساً.

والأصل الثالث من أصوله: إذا اختلفت الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول<sup>(٢)</sup>.

**أخذ الأئمة بأقوال الصحابة:** وأقوال الصحابة تنقسم بحسب الاستدلال بها إلى أقسام:

(١) ما أجمعوا جميعاً عليه، ونقل نقلاً صريحاً عنهم، وهذا هو الإجماع القولي، ولا شك أن هذا دليل عظيم من أدلة الدين لا تجوز مخالفته البتة.

(٢) ما سنه الخلفاء الراشدون المهديون، ودرجت عليه الأمة، وهذا في عامته يشبه الإجماع، وذلك لما ثبت من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، وقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم

(١) - هداية الخيارى: ١٢٦.

(٢) - إعلام الموقعين ١: ٣٦.

عبد، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث نص في وجوب التزام سنة الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ كنظام الولاية والخلافة، وتدوين الدواوين، وسياسة الأمة، ونظام الحرب، وشروط الصلح، وجمع المصحف، وتوحيد القراءة، ونحو هذا مما سنه الخلفاء الراشدون. (٣) ما نقل عن بعضهم، وسكت عنه الباقيون، ولم ينقل عن أحد منهم خلافه وهذا إجماع سكوتي، وهو يأتي من حيث المرتبة بعد الإجماع القولي.

(٥) إذا اختلف الصحابة في مسألة واحدة على قولين فلنا أن نأخذ القول الذي نراه أقرب إلى الصواب كما اختلفوا مثلاً في مسألة قراءة الفاتحة خلف الإمام، وهل تجب العمرة على كل من جاء الحج أم لا؟ والعول، ومسائل في الربا، ونحو ذلك من مسائل اختلفوا فيها.

والصحيح أيضاً أنه لا يجوز إحداث رأي ثالث لأن معنى هذا أن تكون الأمة في عصر من عصورها جميعها على خطأ، وهذا لا يتصور لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة. قال الإمام الشافعي في الرسالة: «أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ إذا تفرقوا فيها فقلت: نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة، أو الإجماع أو كان أصح في القياس»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) - رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٩)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتتاب البدع (٢٦٠٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (٤٢)، وأحمد في المسند (١٧١٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١١٤، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٤٨) والحاكم في المستدرک (٣٠١)، والدارمي في سننه (٩٦).

(٢) - الرسالة: ٥٩٦.

ولا شك أيضاً أن قول الصحابة متى تحقق لنا أنه مخالف للنص فإنه لا يجوز لنا اتباعه، بل يجب علينا اتباع ما ترجح لدى الصحابة الآخرين مما يوافق النص، كالقول بسقوط الصلاة عن الجنب إذا لم يجد ماء، وقول بعضهم ببقاء نكاح المتعة على مشروعيته، وتحريم الادخار والكنز للذهب والفضة حتى مع أداء زكاته، ونحو هذا من الأقوال التي ثبت أن الحق والدليل بخلافها؛ لأنه لا معصوم بعد رسول الله ﷺ، ولا اتباع لقول أحد يخالف كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### مذاهب العلماء في حجية مذهب الصحابي:

لقد اتفق العلماء على أن الصحابة جميعاً كلهم عدول ثقات لا ترد شهادتهم ولا يطعن في روايتهم متى ما ثبتت عنهم.

- ١- إذا أجمع الصحابة على قول في مسألة واحدة، فقد اتفق العلماء على أن هذا القول حجة قاطعة كما ورد على لسان الأئمة (إجماعهم حجة قاطعة).
  - ٢- وأما مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد إماماً كان أو حاكماً أو مفتياً فليس بحجة على صحابي مجتهد آخر.
  - ٣- ولا خلاف بين العلماء أن قوله ومذهبه ليس حجة إذا ظهر لنا رجوعه عن هذا القول، أو خالفه فيه غيره من الصحابة.
  - ٤- وأما مذهبه فيما اشتهر من حوادث مما تعم به البلوى، وتمس الحاجة له، ولم يرد إلينا خلاف من غيره في هذه المسألة، فهو حجة عند أكثر أهل العلم.
- محل النزاع والخلاف: فيما إذا ورد عن أحدهم قول أو اجتهاد في مسألة أو حادثة لم تحتمل الاشتهار بين الصحابة بأن كانت مما لا تعم بها البلوى، ولا تمس الحاجة إليها، ثم ظهر لنا نقل هذا القول في عهد التابعين ومن بعدهم من المجتهدين، ولم يرد عن غيره من الصحابة خلاف ذلك، فهل قوله حجة أو لا؟

(١) - من البيان المأمول في علم الأصول: ١٣٧ وما بعدها.

١- ذهب مالك وأحمد في إحدى روايتيه إلى أنه حجة يلزم العمل به يترك له القياس.

٢- ذهب الشافعي في الجديد، وأحمد في رواية له إلى أنه ليس بحجة مطلقاً، ولا يلزم العمل به، وقد أنكر ابن القيم نسبة هذا القول إلى الشافعي في الجديد، وقال: فيه نظر.

٣- وفصل الحنفية في هذه المسألة فقالوا:

أ- إذا كان مما لا يدرك بالرأي فهو حجة عندهم باتفاق.

ب- إذا كان مما يدرك بالرأي، ولكنه اشتهر، ولم يعلم له مخالف فهو حجة.

ج- إذا كان مما يدرك بالرأي ولم يشتهر فهو مختلف فيه عندهم:

قال أبو الحسن الكرخي: إنه ليس بحجة.

وقال أبو سعيد البردعي: إنه حجة يترك به القياس.

٤- وذهب بعض العلماء إلى أنه حجة إذا خالف القياس، لأنه إذا خالف القياس لم يكن إلا عن توقيف، ولكل من هذه الأقوال أدلتها.

ولدى التحقيق بدا أن مذهب الشافعي في قول الصحابي مختلف عما ترويه كتب الأصول، كما أكد ذلك أبو زهرة، فبالرجوع إلى كتب الشافعي نفسه وأقواله في الأصول يتبين ما يلي:

١- أنه يأخذ بقول الصحابة إذا اتفقوا على أمر ليس في كتاب ولا سنة، ولم يعلم لهم فيه مخالف، ويقدم قولهم هذا على القياس، لأنه من قبيل الإجماع.

٢- وإذا اختلفت أقوال الصحابة أخذ من أقوالهم ما هو أقرب إلى ظاهر الكتاب والسنة أو الإجماع أو بما هو أملح في القياس وبه أشبه أو بما عضده دليل آخر.

٣- كذلك يأخذ بقول الصَّحابي إذا لم يعرف عن غيره أنه وافقه أو خالفه (أي إذا انفرد به) والظاهر أنه لا يقدمه على القياس وإن كان نادر وجوده وحصوله

٤- وكثيراً ما نجده يستأنس ويسترشد بأقوال الصَّحابة في فهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

### ومذهب الخنابلة في قول الصَّحابي يتلخص فيما يلي:

١- إذا كان قول الصَّحابي مما لا مجال للرأي فيه فهو في حكم المرفوع، فيقدم على القياس ويخص به النص، وإن كانوا قد اختلفوا في المرفوع هل يسمى حديثاً أو أثراً عند المحدثين، لكن شريطة أن لا يكون الصَّحابي ممن اشتهر بالأخذ عن الإسرائيليات.

٢- وإذا كان القول للرأي فيه مجال فهو أقسام:

أ- فتوى الصَّحابي فيما لا يعرف له مخالف من الصَّحابة من فتواه، كأن يقول الصَّحابي قولاً ويشتهر ولم يظهر لنا خلافه، فظاهر كلام أحمد أنه إجماع يحتج به وتحرم مخالفته<sup>(١)</sup>.

### موقف العلماء من عمل الخلفاء الراشدين:

١- إن عمل واجتهد أحد الخلفاء أو بعضهم إذا اتفق عليه سائر الصَّحابة فهو إجماع ملزم لمن جاء بعدهم وتحرم مخالفته.

٢- وما نقل عنهم فيما لا مجال للرأي فيه فحكمه حكم السُّنة المرفوعة.

٣- وما كان مجاله الاجتهاد وخالفه فيه الآخرون من الصَّحابة ولكن أذعنوا له من باب طاعة الخليفة وولي الأمر، فهذا اختلف العلماء في حجيته:

(١) - من: اجتهادات الصَّحابة لمحمد معاذ بن مصطفى الخن دار الأعلام: ١٧٧ وما بعدها.

ذهب أحمد في إحدى روايته: أن عملهم حجة على من بعدهم ما لم يخالف كتابا ولا سنة فلا يخرج عن قولهم إلى قول غيرهم.

وأما الشافعي فيقدم قولهم على قول غيرهم من الصحابة حال اختلافهم ونقل عنه أنهم سواء.

قال الشافعي: «ما كان الكتاب أو السنة موجودين، فالعذر على من سمعها مقطوع إلا باتباعها فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم ثم كان قول الأئمة أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة فيتبع القول الذي معه الدلالة؛ لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس ومن لزم قوله الناس كان أشهر ممن يفتى الرجل أو النفر وقد يأخذ بفتياه أو يدعها وأكثر المفتين يفتون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم ولا تعنى العامة بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام وقد وجدنا الأئمة يبتدئون فيسألون عن العلم من الكتاب والسنة فيما أرادوا أن يقولوا فيه ويقولون فيخبرون بخلاف قولهم فيقبلون من المخبر ولا يستنكفون على أن يرجعوا لتقواهم الله وفضلهم في حالاتهم فإذا لم يوجد عن الأئمة فأصحاب رسول الله ﷺ من الدين في موضع أخذنا بقولهم وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع من بعدهم»<sup>(١)</sup>.

**أثر اختلاف العلماء في حجة قول الصحابي:** كانت أدلة كثير من المسائل هي آثار وردت عن الصحابة، فمثلاً اختلف العلماء في حكم سجود التلاوة ومرد هذا الاختلاف إلى اختلاف العلماء بالأخذ بقول الصحابي ومذهبه، ومذاهب العلماء في ذلك:

١- مالك والشافعي وأحمد قالوا: سنة وليس بواجب.

(١)- الأم ٧: ٢٨٠. وانظر: اجتهادات الصحابة لمحمد الخن: ١٨٧ وما بعدها.

٢- أبو حنيفة قال بوجوبه. احتج أحمد ومالك بمذهب الصحابي حيث روى مالك في الموطأ عن عروة أن عمر بن الخطاب قرأ سجدة وهو على المنبر يوم الجمعة فنزل فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها يوم الجمعة الأخرى فتهياً للناس للسجود فقال على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء فلم يسجد ومنعهم أن يسجدوا<sup>(١)</sup>.

وأما دليل الشافعية فإنهم يعتبرون السجود صلاة ولا صلاة مفروضة إلا الصلوات الخمس، وكل ما عداها ليس بفرض، قال الشافعي: (فلما كان سجود القرآن خارجاً من الصلوات المكتوبات كانت سنة اختيار فأحب إلينا أن لا يدعه ومن تركه ترك فضلاً لا فرضاً)<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثامن: التوسعة على الأمة باختلافهم

عن قتادة، أن عمر بن عبد العزيز، كان يقول: «ما يسرني لو أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو لم يختلفوا لم تكن رخصة»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «ما يسرني باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ حمر النعم، لأننا إن أخذنا بقول هؤلاء أصبنا، وإن أخذنا بقول هؤلاء أصبنا»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه مالك في الموطأ في باب ما جاء في سجود القرآن (٧٠١).

(٢) - الأم ١: ١٦٠. انظر اجتهادات الصحابة: ١٩١ وما بعدها.

(٣) - رواه ابن بطنة في الإبانة الكبرى (٧١٠).

(٤) - رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٧٣٩).



قال ابن عبد البر: إن اختلاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة رحمة واسعة، وجائر لمن نظر في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ أن يأخذ بقول من شاء منهم، وكذلك الناظر في أقاويل غيرهم من الأئمة - ما لم يعلم أنه خطأ - فإذا بان له أنه خطأ لخلافه نص الكتاب أو نص السنة، أو إجماع العلماء لم يسعه اتباعه. فإذا لم يبين له ذلك من هذه الوجوه، جاز له استعمال قوله، وإن لم يعلم صوابه من خطئه، وصار في حيز العامة التي يجوز لها أن تقلد العالم إذا سألته عن شيء وإن لم تعلم وجهه.

وهذا كما قال سفيان: «ما اختلف فيه الفقهاء، فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذ به»<sup>(١)</sup>.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: «لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أنه خير منه قد عمله»<sup>(٢)</sup>. وعن عمر بن عبد العزيز قوله: «ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كانوا قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة»<sup>(٣)</sup>.

وسئل القاسم بن محمد عن القراءة خلف الإمام فيما لم يجهر فيه، فقال: «إن قرأت فلك في رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وإذا لم تقرأ فلك في رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٧٥٤).

(٢) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢: ٧٨.

(٣) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢: ٧٩.

(٤) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢: ٧٨. وانظر: دراسات في الاختلافات العلمية للدكتور محمد أبي الفتح

البيانوني: ٥٤.

وقال العلامة الدهلوي رحمه الله مبيناً موقف العلماء من الاختلافات العلمية، وسيرتهم العملية في عدم إنكار بعضهم على بعض، حيث قال: وقد كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من يقرأ البسملة ومنهم من لا يقرؤها، ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت في الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، إلى أمثلة أخرى.

ثم قال: ومع هذا فكان بعضهم يصلي خلف بعض، مثل ما كان أبو حنيفة أو أصحابه والشافعي وغيرهم رضي الله عنهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم، وإن كانوا لا يقرؤون البسملة لا سراً ولا جهرًا.

وصلى الرشيد إماماً وقد احتجم، فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد، وكان قد أفتاه الإمام مالك بأنه لا وضوء عليه.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة، ف قيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل تصلي خلفه؟

فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب!

وروي أن أبا يوسف ومحمدًا كانا يكبران في العيدين تكبير ابن عباس، لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده.

وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله، فلم يقنت تأدباً معه، وقال أيضاً -أي الشافعي رحمه الله-: ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق <sup>(١)</sup>.

ومن المسائل التي اختلفوا فيها على سبيل المثال:

ميراث الجد، فذهب ابن عباس رضي الله عنه، إلى أن الجد يحجب الإخوة أياً كانوا كالأب من الميراث لإطلاقه لفظة الأب عليه من القرآن.

وذهب آخرون كعمر، وعلي، وزيد رضي الله عنهم إلى أن الإخوة الأشقاء أو لأب يقاسمون الجد في الميراث نظراً لاتحاد وجهتهم؛ إذ أن كلا منهم يدلي إلى الميت بواسطة الأب.

(١) - دراسات في الاختلافات العلمية: ٦٤.

واختلفوا في خروج المرأة المطلقة من عدتها، فقال ابن مسعود رضي الله عنهما: لا تخرج المرأة من العدة إلا إذا اغتسلت من الحيضة الثالثة.

وقال آخرون كزيد رضي الله عنه: تخرج من العدة بمجرد دخولها في الحيضة الثالثة. وذلك عائد إلى اختلافهم في معنى القرء.

واختلفوا في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها. فقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما:

تعتد بوضع الحمل، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: تعتد بأبعد الأجلين.

إلى غير ذلك من أمثلة تعرف في محالها من كتب الخلاف.

وهكذا توالى الاختلاف في الأحكام في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، حتى امتد إلى تابعيهم، واتسع نطاقه في زمن التابعين وتابعيهم، تبعاً لكثرة الحوادث الجديدة، والمسائل المستحدثة التي تحتاج إلى بيان الحكم فيها من جهة، وتبعاً لانتشار الفقه الفرضي من جهة أخرى.

فكان اتساع الاختلاف في الأحكام الشرعية أمراً طبعياً، اقتضته طبيعة الحياة العلمية والعملية<sup>(١)</sup>.



---

(١) - دراسات في الاختلافات العلمية: ١٧.

## الفصل الرَّابِع

### القضاء عند الصَّحابة

#### القضاء في عهد النَّبي ﷺ:

بأشر بعض الصَّحابة القضاء بأمر من الرَّسول ﷺ حين بعثهم إلى بعض الأمصار لتعليم القرآن وشرائع الدين، فقد بعث معاذاً إلى اليمن فقال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله<sup>(١)</sup>، وبعث علياً إلى اليمن فقد روى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلت يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء فقال: إن الله جل ثناؤه سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوَّل، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد وهذا يتناول الموضع الذي يحضره الخصمان جميعاً<sup>(٢)</sup>، وكذلك ولَّى الرَّسول ﷺ عتاب بن أسيد أمر مكة وقضاءها بعد فتحها. والقضاء في هذا العهد كان مستكملاً أصوله ومبادئه.

#### القضاء في عهد الخلفاء الراشدين:

كان القضاء في عهد الخلفاء قائماً على العدل، فكان الفصل في خصومات الناس يتم على أساس الأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسُّنة. ورسالة عمر ابن الخطاب

(١) - سبق تخريجه.

(٢) - رواه أبو داود في كتاب الأفضية، باب كيف القضاء، (٣٥٨٤)، وأحمد في المسند (١٢٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى

ﷺ إلى أبي موسى الأشعري في القضاء معروفة، وقد اتخذها القضاة المسلمون أساساً لأنظمتهم القضائية.

وعين الخلفاء الراشدون قضاة للأمصار الإسلامية المفتوحة، مستقلين عن الأمراء وقادة الجند، ينوبون عنهم في الفصل بين الناس، على أساس من الكتاب والسنة والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص.

وكان يراعى في اختيار القاضي: غزارة العلم والتقوى والورع والعدل، فكان القضاة من خيار الناس، يخشون الله ويحكمون بين الناس بالعدل، وكلمتهم نافذة على الولاية وعمال الخراج، بل على الخلفاء، واستمر ذلك في عهد الأمويين، وفي كثير من عهود دولة الإسلام. كما كان للقاضي رزق من بيت المال لما يلزمهم من الانقطاع لهذا العمل، وترك ما يرتزقون منه، ورزق القاضي كبير، ويُعطاه مقدماً حتى لا ينظر بعد ذلك إلى شيء، وكثير من قضاة الإسلام كانوا يرفضون الرزق محتسبين.

وحفظ لنا التاريخ نزاهة هؤلاء القضاة، فلم يُعرف عنهم ميل إلى الدنيا واغترار بها يعدل بهم عن قول الحق والحكم به، وكان في نظرهم سواء: الشريف والوضيع، والخليفة وأفراد الرعية، ولم يتأثروا بالفتن، وبقي القضاء نظيفاً كما هو من الاستمرار في العدل فكان عامل جذب كبير لرعايا الدولة الإسلامية إلى اعتناق الإسلام<sup>(١)</sup>.

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال قدم على عمر بن الخطاب رجل من أهل العراق فقال لقد جئتك لأمر ما له رأس ولا ذنب. فقال عمر: ما هو؟ قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا. فقال عمر: أو قد كان ذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: والله لا يُؤسّر رجلٌ في الإسلام بغير العُدُول<sup>(٢)</sup>.

(١) - من مقال: انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين للدكتور جميل عبد الله محمد المصري مجلة الجامعة الإسلامية ٣٥: ٨٦.

(٢) - رواه مالك في كتاب الأفضية باب ما جاء في الشهادات (١٢٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٦٦.

وعن عمر بن الخطاب قال: لا تجوز شهادة خصم ولا ظنين<sup>(١)</sup>.

قال علي بن المديني: قضاة الأمة أربعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري<sup>(٢)</sup>.

وقال مسروق: كان القضاء في أصحاب رسول الله ﷺ في ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد بن ثابت، وأبي موسى<sup>(٣)</sup>.

وكانت خلافتهم مبنية على الشورى بين المسلمين، ولهذا فقد كان عهدهم خير العهود الإسلامية بعد رسول الله ﷺ.

● - وقد تغيرت أمور عما كانت عليه في العهد النبوي فمنها:

١- أن الدولة الإسلامية كانت منحصرة في جزيرة العرب فكانت المشاكل متشابهة والعادات والأعراف متقاربة.

٢- أن الوحي كان هو المصدر الأصلي للتشريع، وكان النبي ﷺ هو المرجع فيما يجيّد من قضايا وحوادث، وقد انقضى الوحي بانقضاء ذلك العهد بوفاة رسول الله ﷺ.

٣- أن ولاية القضاء كانت جزءاً من الولايات العامة، فلم تفصل في عهده كولاية مستقلة لها قضاة مختصين ليس لهم عمل غيرها.

ومنذ خلافة عمر عين بعض الصحابة على القضاء في المدينة منهم زيد بن ثابت وأبو الدرداء، كما عين عدداً من القضاة في الأمصار منهم عبد الله بن مسعود على قضاء

(١) - ذكره مالك بلاغاً في كتاب الأفضية باب ما جاء في الشهادات (١٢٠٨).

(٢) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢: ٦٥، وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥: ٣١٨، وفي الإصابة ٢: ١٦٥. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٥١، عن الشعبي، وكذلك ابن حجر ذكره في تذكرة الحفاظ ١: ٢٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢: ١٧ عن الشعبي.

(٣) - تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ١٧.

الكوفة، وشريح بن الحارث الكندي على قضاء الكوفة، وعبيدة السلماني على قضاء الكوفة. وكان ألمعيا في اختياره لهما فقد خدما الناس مدة طويلة في مجال القضاء خلال عصر الراشدين والأمويين. كما عين عمر عبادة بن الصامت على قضاء حمص وقنسرين. وبهذا الإجراء فصل عمر السلطة القضائية عن سلطة الولاية، وبذلك يتعزز موقع القاضي حيث أنه يرتبط بالخليفة مباشرة. ولكن استمر بعض الولاة يقومون بمهام القاضي في الولايات الداخلية المستقرة حيث يجد الولاة الوقت الكافي لذلك، خلافاً لولاة الأقاليم المحاذية للأعداء حيث ينشغل الوالي بالمهام العسكرية والإدارية. وكان عمر يوصي الولاة باختيار الصالحين للقضاء وبإعطائهم المرتبات التي تكفيهم. وكان عثمان رضي الله عنه يعين القضاة على الأقاليم حيناً مثل تعيينه كعب بن سور على قضاء البصرة، ويترك القضاء للوالي حيناً آخر مثل طلبه من واليه على البصرة أن يقوم بالقضاء بين الناس إضافة إلى عمل الولاية، وذلك بعد عزله كعب بن سور \* وكذلك كان يعلى بن أمية والياً وقاضياً على صنعاء.

ويلاحظ أن بعض الولاة كانوا يختارون قضاة بلدانهم بأنفسهم، ويكونون مسؤولين أمامهم، مما يشير إلى ازدياد نفوذ الولاية في خلافته. ولم تكن الأفضية تسجل لقلتها وسهولة حفظها، وكان بإمكان القاضي حبس المتهم للتأنيب واستيفاء الحقوق، وقد فعل ذلك عمر وعثمان وعلي، فكانت الدولة تهيئ السجون في مراكز المدن، وكان القصاص ينفذ خارج المساجد.

**ندرة الخصومات بين الناس:**

كان الناس على مستوى عالٍ من الوعي الإسلامي، وكانوا يتعاملون بالمروءات فتقل بينهم الخصومات، مما خفف الأعباء عن القضاة. فلما ولي أبو بكر قال له أبو عبدة: أنا أكفيك بيت المال. وقال عمر: أنا أكفيك القضاء، فمكث سنة لا يأتيه رجلان<sup>(١)</sup>. وقال أبو وائل شقيق بن سلمة: «اختلفتُ إلى سلمان بن ربيعة حين قدم على قضاء الكوفة أربعين صباحاً لا أجد عنده فيها خصماً».

### الستر وعدم المجاهرة بالمعصية:

ولم تكن الدولة تشجع الناس على الاعتراف بخطاياهم، بل تريد لهم الستر والتوبة فيما بينهم وبين الله تعالى، فلما خطب شرحبيل بن السمط الكندي فقال: «أيها الناس، إنكم في أرضٍ الشرابُ فيها فاشٍ، والنساء فيها كثير، فمن أصاب منكم حداً فليأتنا فلننقم عليه الحد، فإنه طهوره»، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه: «لا أحل لك أن تأمر الناس أن يهتكوا ستر الذي سترهم». ولكن إذا رفع الناس الأمر إلى القضاء فإن الدولة كانت تقيم الحدود دون هوادة.

ومما يروى في الستر على حالات الجنوح ما ورد عن عامر: أن رجلاً من أهل اليمن أصابت أخته فاحشة، فأمرت الشفرة على أوداجها، فأدركت، فدووي جرحها حتى برئت. ثم إن عمها انتقل بأهله حتى قدم المدينة، فقرأت القرآن ونسكت، حتى كانت من أنسك نسائهم. فخطبت إلى عمها، وكان يكره أن يدلّسها، ويكره أن يفشي على ابنة أخيه، فأتى عمر فذكر ذلك له، فقال عمر: لو أفشيت عليها لعاقبتك، إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه<sup>(٢)</sup>.

وعن الشعبي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب قال: إن ابنة لي وأدت في الجاهلية وإني استخرجتها، فأسلمت فأصابت حداً، فعمدت إلى الشفرة فذبحت نفسها فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها فبرأت، ثم إنَّها نسكت فأقبلت على القرآن فهي

(١) - رواه وكيع في أخبار القضاة: ٢٦، والطبري في تاريخه ٢: ٦١٧، وذكره ابن الأثير في الكامل ١: ٣٩٦، وابن الجوزي في

المنتظم ١: ٤٣٦.

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ٩: ٥٨٣.



تخطب إلي، فأخبر من شأنها بالذي كان. فقال له عمر: تعمد إلى ستر ستره الله فتكشفه لئن بلغني أنك ذكرت شيئاً من أمرها لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار بل انكحها نكاح العفيفة المسلمة<sup>(١)</sup>.

### العدل في القضاء:

وخير ما يبين ذلك ما ورد عن الشعبي قال: كان بين عمر بن الخطاب وبين أبي بن كعب رضي الله عنهما تداري في شيء وادعى أبي على عمر رضي الله عنهما، فأنكر ذلك فجعلا بينهما زيد بن ثابت فأتياه في منزله، فلما دخلا عليه قال له عمر رضي الله عنه: أتيناك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم، فوسّع له زيد عن صدر فراشه، فقال: ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر رضي الله عنه: لقد جرت في الفتيا ولكن أجلس مع خصمي، فجلسا بين يديه، فادّعى أبي وأنكر عمر رضي الله عنهما فقال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمر رضي الله عنه: «لا يدرك زيد بن ثابت القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء»<sup>(٢)</sup>.

وعن الشعبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعاً فعرف علي الدرع فقال: هذه درعي بيني وبينك قاضي المسلمين. وكان قاضي المسلمين شريحاً كان علي استقضاه، فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس القضاء وأجلس علياً في مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني فقال علي: أما يا شريح لو كان خصمي مسلماً لقعدت معه ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تصافحوهم ولا تبدؤهم بالسّلام ولا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا عليهم وأجؤوهم إلى مضايق

(١) - رواه الحارث كما في بغية الباحث: ١٧٩، وعبد الرزاق في مصنفه ٦: ٢٤٦، (١٠٦٩٠)، وهناد في الزهد (١٤٠٩).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٣٦، ووكيع في أخبار القضاة: ٢٧، وابن الجعد في مسنده (١٤٠٣)، وابن عساكر في

تاريخ دمشق ١٩: ٣١٩.

الطرق وصغروهم كما صغروهم الله) اقضِ بيني وبينه يا شريح. فقال شريح: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال علي: هذه درعي وقعت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني فقال النصراني: ما أكذبُ أمير المؤمنين الدرْعُ درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل من بيّنة؟ فقال علي: صدق شريح. فقال النصراني: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، وأمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك مع الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي: أما إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس عتيق. فقال الشعبي: لقد رأيت يقاتل المشركين <sup>(١)</sup>.

وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له <sup>(٢)</sup>.  
وعن يحيى المازني أن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولاً وآخراً ولا يضرك فأبى محمد فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة فأمره أن يخلي سبيله فقال محمد: لا. فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولاً وآخراً وهو لا يضرك، فقال محمد: لا والله، فقال عمر: والله ليمرن به ولو على بطنك فأمره عمر أن يمر به ففعل الضحاك <sup>(٣)</sup>.

### إخضاع الخلفاء أنفسهم لأحكام القضاء وإجراءاته:

كان الخلفاء الراشدين يستوون مع الرعية في إجراءات التقاضي، بل إنهم عززوا مكانة القضاة وطالبوهم بأقصى درجات العدل في المساواة بين الناس حاكمهم

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٣٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣: ٢٣.

(٢) - رواه مالك في كتاب الأفضية باب الترغيب في القضاء بالحق (١٢٠٦) ووكيع في أخبار القضاة: ١١.

(٣) - رواه مالك في كتاب الأفضية باب القضاء في المرفق (١٢٣٦).

ومحكومهم. فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة المسلمين واختلف مع أبي بن كعب، حكماً زيد بن ثابت بينهما، فأتيه في منزله، فلما دخلا عليه قال له عمر: جنناك لتقضي بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم. فتنحى له زيد عن صدر فراشه، فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: جرت في قضائك، ولكن أجلسني مع خصمي. فجلسا بين يديه. فادعى أبي وأنكر عمر. فقال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألك لأحد غيره. فحلف عمر: «لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء»<sup>(١)</sup>.

وساوم عمر بن الخطاب بفرس فركبه ليجربه فعطب، فقال لصاحبه خذ فرسك. فأبى الرجل، فاحتكما إلى شريح، فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت أو رد كما أخذت. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضياً. وكان يتعاهده بالرسائل التي تحتوي على توجيهات بالقضاء وطرقه<sup>(٢)</sup>.

**القضاء في عهد أبي بكر:** لم يكن منصب القاضي متميزاً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، بل كان يقوم به فقهاء الصحابة، وكان الخليفة يقضى بنفسه بين الناس في المدينة، وأحياناً كان يقوم بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر الخليفة أبي بكر، وكان الولاية مسؤولين عن القضاء في الأمصار.

ويشير إلى كيفية القضاء في عهده حديث ميمون مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٣٦، ووكيع في أخبار القضاة: ٢٧، وابن الجعد في مسنده (١٤٠٣)، وابن عساكر في

تاريخ دمشق ١٩: ٣١٩.

(٢) - انظر عصر الخلافة الراشدة: ١٥٧ وما بعدها.

الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به<sup>(١)</sup>. ومن هنا نرى كيف نشأ الإجماع، وأصبح مصدراً من مصادر التشريع بعد العهد النبوي.

ولما ولي أبو بكر قال له عمر رضي الله عنه: أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان<sup>(٢)</sup>. وقال بعضهم جعل أبو بكر عمر قاضياً في خلافته فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد<sup>(٣)</sup>.

ولا يعني هذا أن أبا بكر لم يباشر القضاء بنفسه، غاية ما في الأمر أن عمر كان يساعده في هذه المهمة، أو أنه كان يتولاها بعد أن كثرت مهات الخلافة، كتفويض جيش أسامة، وقتال أهل الردة ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب، وجمع القرآن<sup>(٤)</sup>.

**القضاء في عهد عمر:** كانت مدة خلافة عمر أطول من خلافة أبي بكر الصديق إذ تولى الخلافة بعد وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ وبقيت خلافته حتى سنة ٢٣ هـ ثلاث وعشرين وكانت مدة خلافته إحدى عشر سنة. وأبو بكر تولى الخلافة سنة ١١ هـ وكانت مدة خلافته سنتين وبضعة شهور.

ولهذا فقد تيسر لعمر من العمل على تطوير القضاء ما لم يتيسر لأبي بكر، ولعل من أهم أعماله في تطوير القضاء: فصله عن غيره من الولايات العامة، فجعله ولاية مستقلة، فقد كان القضاء في عهد النبي وأبي بكر جزء من الولاية إلى أن جاء زمن عمر بن الخطاب، فكثرت فيه فتح الأمصار واتسع نطاق العمران، فأصبح من المتعسر على

(١) - رواه الدارمي في سننه، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١٦٣) واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١١٤.

(٢) - تاريخ الطبري ٢: ٦١٧.

(٣) - رواه وكيع في أخبار القضاة: ٢٦، والطبري في تاريخه ٢: ٦١٧، وذكره ابن الأثير في الكامل ١: ٣٩٦، وابن الجوزي في المنتظم ١: ٤٣٦.

(٤) - القضاء ونظامه في الكتاب والسنة: ٢٣٦ وما بعدها.

الخليفة أو نائبه أن يجمع مع النظر في الأمور العامة الفصل في الخصومات، ففصل عمر القضاء من الولاية، وعهد به إلى شخص غير الوالي.

قال ابن خلدون: وأول من دفعه إلى غيره وفوضه فيه عمر عمر، فولى أبا الدرداء معه بالمدينة، وولى شريحاً بالبصرة، وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة، وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء<sup>(١)</sup>.

وجعل عمر سلطة القضاء تابعة له مباشرة، وتحرّى في اختيار القضاة، وكان يختارهم بنفسه أو يفوض الأمر إلى الوالي، وصار يرسل القضاة ويسأل عنهم، ويطلب منهم مكاتبته والرجوع إليه في شؤون القضاء دون أن يتدخل الحاكم أو الوالي في أعمالهم.

وهو أول من رتب أرزاق القضاة، فجعل للقاضي سلمان بن ربيعة الباهلي خمسمائة درهم في كل شهر، ورتب لشريح مائة في كل شهر أيضاً<sup>(٢)</sup>.

قال الشعبي: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر فإنه كان يستشير<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به.

أما كفيته في القضاء، فكان يفعل فعل أبي بكر، فعن ميمون أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك فان أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر رضي الله عنه فيه قضاء فإن وجد أبا بكر رضي الله عنه قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس

(١) - تاريخ ابن خلدون ١: ١٨٤.

(٢) - تاريخ القضاء في الإسلام لعرنوس: ٢٩، نقلاً عن القضاء ونظامه في الكتاب والسنة: ٢٤٠ وما بعدها.

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٠٩، وفي المدخل إلى السنن الكبرى (٤٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤:

المسلمين وعلماهم فاستشارهم فإذا اجتمعوا على أمر قضى بينهم<sup>(١)</sup>.

وقد وضع عمر للناس نظام القضاء في رسالته إلى أبي موسى الأشعري، عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة، فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن جاء بيّنة أعطيته بحقه فإن أعجزه ذلك استحلت عليه القضية، فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاء قضيتك اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، لأن الحق قديم لا يبطل الحق شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض في الشهادة إلا مجلود في حد، أو مجرب عليه شهادة الزور، أو ظنين في ولاء أو قرابة، فإن الله ﷻ تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود، إلا بالبيّنات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال والأشباه ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى، وأشبهها بالحق وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذي بالناس عند الخصومة، والتنكر، فإن القضاء في مواطن الحق يوجب الله له الأجر، ويحسن به الذخر فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه، شانه الله فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصاً، وما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته<sup>(٢)</sup>.

وكان كتابه إلى أبي موسى الأشعري من أهم الكتب وأجمعها وأشملها، وقد

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١١٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٢٨.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٥٠، وفي معرفة السنن والآثار (٦٠٤٨)، وفي السنن الصغير (٣٢٨٦)، والدارقطني في سننه ٤: ٢٠٦، ووكيع في أخبار القضاة: ١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢: ٧٠، وابن شبة النميري في تاريخ المدينة ٢: ٧٧٥، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٢٨) بألفاظ متقاربة.

اهتم به المسلمون وسموه دستور القضاء، قال ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه <sup>(١)</sup>.

ومن رسائله في القضاء كتابه إلى معاوية، عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية وهو أمير بالشام: أما بعد، فإنني كتبت إليك في القضاء بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيراً، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتحظى بأفضل حظك؛ إذا حضر الخصمان فالبينات العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى يجترئ قلبه وينسط لسانه، وتعاهد الغريب، فإنه إن طال حبسه ترك حقه، وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، والسلام عليك <sup>(٢)</sup>.

**القضاء في عهد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:** كان القضاء في عهديهما يسير في منهجه ونظامه كما كان عليه في عهد عمر رضي الله عنه.

وذكر بعضهم أن عثمان رضي الله عنه أول من اتخذ داراً للقضاء، وكان القضاء في عهد الخليفين قبله في المسجد.

واستقلال القضاء بدار خاص يشير إلى اتساع دائرة التقاضي بين الناس في ذلك العهد.

---

(١) - إعلام الموقعين ١: ١١١، وقد شرح فيه رسالة عمر شرحاً موسعاً.

(٢) - رواه وكيع في أخبار القضاة: ١٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ٣: ٤٢٢، وابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف

(١٠٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٧٩.

واشتهر علي بالفهم في القضاء، وكان النبي يبعثه قاضياً ويوجهه ويرشده، ويبين له كيفية معاملة الخصوم وكيفية القضاء كما يظهر من قوله: إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر.

وعلى هذا المنهج سار علي في خلافته، فكان يوجه ولاته إلى تعهد القضاة، ويرشدهم إلى طريقة اختياره، فمن تلك التوجيهات ما ذكر من وصيته للأشتر النخعي حين ولاه على مصر فقد جاء فيها: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتهادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزهيه إطراء، ولا يستمليه إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك<sup>(١)</sup>.

أما علي عليه السلام فكان يتولى القضاء بنفسه في الكوفة، أما الأمصار فكان تعيين القضاة غالباً من قبل الولاية، ولكن علياً عين بعض القضاة مباشرة. وكانت مصادر الحكم في عصر الخلافة الراشدة هي القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد والرأي. وقد عرف من فقهاء الصحابة وأهل الفتوى الكثيرين والمتوسطين في عصر الخلافة الراشدة أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعائشة والشائع جلوسهم في المسجد.

(١) - نهج البلاغة: ٣٣٩. انظر القضاء ونظامه في الكتاب والسنة: ٢٦٠ وما بعدها.



وأوصى عمر حين كتب عهده أنه لا يولى العامل أكثر من عامين؛ وذلك أن القاضي إذا طالت مدة قضائه أكثر الأصحاب والإخوان، وإذا كان بمظنة العزل لا يغتر، وأيضاً فإن الحال إذا كان هكذا ظهرت مخايل المعرفة بين الأقران وكثر فيهم القضاة بتدريبتهم على الوقائع فيبقى الحال محفوظاً بخلاف ما إذا استبد الواحد بعمل فإنه لا يقع فيهم تناصف ولا يحصل لمن يلي بعده النفوذ بوظيفة ما قدم إليه إلا بعد حين<sup>(١)</sup>.



## الفصل الخامس

### اهتمام الصحابة بالسيرة النبوية

#### أهمية علم السيرة النبوية في حياة المسلمين

إنَّ لسيرة النبي ﷺ العطرة، سجلاً حافلاً بالماثر، مليئاً بالمكرمات، مفعماً بالفضائل والدروس، إنَّها كثيرة المواعظ والعبر التي تنبض بالنور، وترشد إلى الخير، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتزيد الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله ﷻ، وتضع المعالم أمام الدعاة والمصلحين.

إنها تجسد القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي محمد ﷺ، واقعاً محسوساً لحياة كريمة فاضلة، سار على هديها الصحابة الأجلاء ﷺ، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان، فاستنارت العقول، وصلحت القلوب، وزكت النفوس، واستقامت الأخلاق، فكانوا بحق خير أمة أُخرجت للناس.

(١) - التراتيب الإدارية ١: ٢٦٩.

لقد كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم هذه السيرة كما يعلمونهم السورة من القرآن، فنشئوا على الفضائل، ونهضوا إلى المكارم، وطمحوا إلى معالي الأمور، واتخذوا من الرسول ﷺ مثلاً أعلى، ومناراً شاخهاً، وقدوة حسنة ينالون باتباعه واقتفاء أثره والعمل بسنته خير الدنيا وسعادة الآخرة.

يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر. ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ آل عمران: ٣٢. فالسيرة النبوية هي الترجمة العملية للقرآن الكريم، وهي التطبيق الصحيح للكتاب والسنة المطهرة، في واقع الحياة على جميع محاورها، ولهذا تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن».

ففي العبودية والتعلق بالله سبحانه وتعالى كان المثل الأعلى حيث عرف ربه وعبده، وتوكل عليه حتى أتاه اليقين، وفي دعوته إلى الله تعالى دعا بالحسنى، فحاز على رضوان الله ﷻ، وفي تربيته لأصحابه كان من أرفق الناس بهم، وذلك بتوفيق وأمر من الله تعالى.

وفي جهاده وفي علاقاته، وفي بيعه وشرائه، وفي سفره وحضره، وفي طعامه وشرابه، ومع أهل بيته وجيرانه، ومع الفقراء والمساكين، والأطفال والنساء، حتى مع الجمادات والحيوانات، ومع كل شيء يحيط به، ويدخل في دائرة احتياجاته كان القدوة والمثل الكامل.

لقد كان ﷺ رحمة مهداة من المولى ﷻ لجميع مخلوقاته. يقول تعالى في محكم

التنزيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء. ويقول تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ.

من هنا يجمع المحدثون والمؤرخون وجمهور هذه الأمة، على أن السيرة النبوية تجسيد حي للتاريخ الإسلامي المجيد في عصر النبوة، من الناحية العملية؛ لأنَّ حوادثها ارتبطت بشخصه الكريم ﷺ في كل جوانب حياته.

فعلم السيرة النبوية من أشرف العلوم وأعزها وأسناها هدفاً ومطلباً، بها يعرف المسلم أحوال دينه، ونبيه ﷺ، وما شرفه المولى ﷺ من أصل كريم، ثم ما أكرمه به من اختياره للوحي والرسالة، وحمل عبء الدعوة الكاملة.

ثم ما قام به من بذل الجهود المتواصلة، وما عاناه من البلاء والمحن في هذا السبيل، وما حظي به ﷺ من نصرة الله وتأييده بجنود غيبية، وملائكة كرام بررة، وتوجيه الأسباب له، وإنزال البركات، وخوارق العادات.

إن التاريخ لم يتحدث عن سيرة أحدٍ وصفاته، ولا عن أطوار حياة إنسان ومنهجه مثلما تحدث عن سيدنا محمد ﷺ، وما هذا إلا لأنه جاء بالرسالة الجامعة، والدين الخاتم<sup>(١)</sup>.

● - وأثر الصحابة في السيرة النبوية يتجلى في أمرين:

**أولاً:** نقلهم لها وتعليمهم لمن بعدهم سيرته ﷺ، فالصحابة هم الذين بينوا لنا سيرة النبي ﷺ وحياته، وصفاته وشهائله، وكمال خلقه، وبيَّنوا ذلك بياناً مفصلاً شاملاً لجميع فترات حياته ﷺ، ومن نظر في كتب السيرة النبوية وجدها مليئةً بذلك، كما كانوا يعلمون سيرته ﷺ ويغرسونها في نفوس أبنائهم، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها<sup>(٢)</sup>.

(١) - مصادر تلقي السيرة النبوية للدكتور محمد البكري: ٩.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٠١).

وكانوا يعقدون الحلقات والدروس لتعليم السيرة النبوية، ويروي ابن سعد في طبقاته أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان له مجلس يدرس فيها السيرة النبوية، وكان ابن عباس يجلس في إحدى عشياته يعلم الناس المغازي والسير، بل بلغ الاهتمام بالسير والمغازي أنهم كانوا يتعلمونها كما يتعلمون السورة من القرآن، قال علي بن الحسين: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن<sup>(١)</sup>.

وهكذا اهتم السلف بالسيرة النبوية فقد قال الزهري رحمه الله تعالى: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا<sup>(٢)</sup>. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له<sup>(٣)</sup>.

وقال مالك بن أنس: صالحو السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن<sup>(٤)</sup>.

وعن مسروق قال حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلها من السنة<sup>(٥)</sup>.

**ثانياً:** تطبيقهم لسنة النبي ﷺ وسيرته العطرة، فقد تعلموها من أجل التأسي والعمل بها، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يحث أمته على التمسك بسنته ويجذرهم من مخالفتها فكان الصحابة يمثلون أمره في ذلك ويقتدون به ويتبعونه في جميع أقواله وأفعاله وسائر أحواله ويعتبرون أن كل ما يصدر منه فهو حجة يلزمهم إتباعها. وقد وردت الآثار الكثيرة بهذا الشأن فعن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك<sup>(١)</sup>.

(١) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٦٠٢)، وذكره ابن كثير في السيرة النبوية ٢: ٣٥٥، وفي البداية والنهاية ٣: ٢٩٧، وقال: رواه الواقدي.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٦٠٠)، وذكره ابن كثير في السيرة النبوية ٢: ٣٥٥، وفي البداية والنهاية ٣: ٢٩٧، عن الواقدي.

(٣) - البداية والنهاية ٣: ٢٩٧.

(٤) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٨٣.

(٥) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٩٢.

قال الحافظ ابن حجر: وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن ربيعة قال: رأيت علياً أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله فلما استوى عليها قال: الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثاً ثم كبر ثلاثاً ثم قال سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي. ثم ضحك، فقلت ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك، فقلت: لم تضحك يا رسول الله ﷺ؟ قال: (تعجب الرب من عبده إذا قال اغفر لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري)<sup>(٣)</sup>.

وعن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر في سفر فمر بمكان فحاد عنه فسئل لم فعلت؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت<sup>(٤)</sup>.

وعن ضمرة بن حبيب، أن عمرو بن الأسود، مر بعمر بن الخطاب ﷺ وهو سائر إلى الشام، فدخل على عمر، فلما خرج من عند عمر قال عمر: «من أحب أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فليتنظر إلى هدي عمرو بن الأسود»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) - رواه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٢٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٣١٢٦)، وأبو داود في كتاب المناسك، باب في تقبيل الحجر (١٨٧٥)، والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في تقبيل الحجر (٧٨٨).

(٢) - فتح الباري ٣: ٤٦٣.

(٣) - رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب، (٢٦٠٤)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة (٣٣٦٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٧٩٩) وأحمد في المسند (٧٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ٥: ٢٥٢، وعبد الرزاق في مصنفه ١٠: ٣٩٦، (١٩٤٨٠)، والحاكم في المستدرک (٢٤٣٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) - رواه أحمد في المسند (٤٨٧٠) ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧٥)، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ١: ١٧٤.

(٥) - رواه أحمد في المسند مختصراً (١١٥)، وعبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا (٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥: ٤١٤، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٢٥٢.

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، قال: حج عمرو بن الأسود، فلما انتهى إلى المدينة نظر إليه عبد الله بن عمر وهو قائم يصلي، فسأل عنه، فقيل: «رجل من أهل الشام يقال له عمرو بن الأسود»، فقال ابن عمر: «ما رأيت فتى أشبه صلاة ولا هدياً ولا خشوعاً ولا لبسة برسول الله ﷺ من هذا الرجل»<sup>(١)</sup>.

فكما كانت السُّنَّة النبويَّة بمجموعها بياناً وتفسيراً للقرآن فإن الصَّحابة كانوا بمجموعهم يمثلون حياة الرِّسول ﷺ بحكم اقتداءهم به ، فأبي إغفال لجانب من حياة الصَّحابة هو إغفال لجانب من حياة رسول الله ﷺ؛ لأنه قد بلغ من اهتداءهم به ﷺ أنهم كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سبباً أو يسألوه عن علته أو حكمه.

فقد كان النبي ﷺ مثلهم الأعلى وقدوتهم المثلى ، كانت أعمالهم صورة لأعماله وأحوالهم مظهراً لأحواله فكان احترامهم احتراماً له والتعريض بهم تعريض به ﷺ بل اعتراض على أقواله الأمرة باحترامهم ومودتهم.

وقد استخدم الواقدي كتباً من تأليف بعض الصَّحابة أسهمت إلى حد ما في رواية كتب المغازي. ومن هذه الكتب كتاب بخط مؤلفه الصَّحابي سهل بن أبي حنمة الأنصاري توفي زمن معاوية بن أبي سفيان. وقد بقيت بعض المعلومات التي جمعها لدى حفيده محمد بن يحيى، وعنه أخذ الواقدي بعض المغازي، وتعطي المقتبسات منه صورة تكفي لإيضاح أن سهلاً قد اهتم في كتابه بغزوات الرِّسول ﷺ.

وهناك قطعة من مصنف للصحابي العلاء بن الحضرمي يعطي مثلاً آخر على أن بعض الصَّحابة قد اعتادوا أن يسجلوا ذكرياتهم المهمة عن سيرة الرِّسول ﷺ.

والصَّحابة ﷺ على علم دقيق وواسع بالسيرة لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، وكانت محبتهم للرِّسول ﷺ وتعلقهم به ورغبتهم في اتباعه وأخذهم بسنته في

(١) - رواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٣٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥: ٤١٣.

الأحكام سبباً في ذبوع أخبار السيرة ومذاكرتهم فيها وحفظهم لها؛ فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام<sup>(١)</sup>.



## الفصل السادس

### عبادة الصَّحابة

مدح الله الصَّحابة فقال: ﴿ تَرْنَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ الفتح: ٢٩. وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصَّلَاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأوَّل، كما قال: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة: ٧٢<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الصَّحابة ﷺ يفهمون العبادة بالمعنى العام الواسع الشامل، فالحياة كلها عبادة قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> الأنعام: ١٦٢. قال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال أقرؤه في صلاتي، وعلى راحلتي، ومضطجعاً، وقاعداً، أتفوقه تفوقاً، قال معاذ: لكنني أنام، ثم أقوم، فأقرأه يعني جزأه، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، فكان معاذ بن جبل فضل عليه<sup>(٣)</sup>، يحتسب نومه لأنه يستعين به على الطاعة، فالعمر كله عبادة.

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه لما حضره الموت قال انظروا أصبحنا فأتي فقيل لم تصبح فقال انظروا أصبحنا فأتي فقيل له لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل قد أصبحت قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً زائر مغب حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني

(١) - من مقال: الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي د. محمد أمخزون مجلة البيان العدد: ٦١.

(٢) - جامع البيان ٧: ٣٦١.

(٣) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (٤٠٨٦). أتفوقه: أي أأزعم قراءته ليلاً ونهاراً، واقرأه شيئاً بعد شيء وحيناً بعد حين، مأخوذ من فَوَاقِ الناقة، وهو أن تُحَلَبَ ثم تترك ساعة حتى تدرّ ثم تُحَلَبَ هكذا دائماً. انظر:

النهاية ٣: ٩٤٥، والفتح ١٢: ١٥٣.

لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً  
الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر<sup>(١)</sup>.

وعن عكرمة أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يسبح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة  
ويقول أسبح بقدر ذنبي<sup>(٢)</sup>. وعن أبي عثمان النهدي قال تضيفت أبا هريرة سبعا فكان  
هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ  
ويوقظ هذا<sup>(٣)</sup>.

وعن سلم بن بشير أن أبا هريرة رضي الله عنه بكى في مرضه فقيل له ما يبكيك؟ فقال أما  
إنه ما أبكي على دنياكم هذه ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي وإني أمسيت في  
صعود ومهبطة على جنة أو نار لا أدري أيهما يؤخذ بي<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن فقلت: أبشر بالجنة يا أمير  
المؤمنين! أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله حين خذله الناس، وقبض  
رسول الله وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيداً، فقال: أعد  
علي، فأعدت عليه فقال عمر: المغرور من غررتموه، والذي لا إله غيره لو أن لي ما على  
الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلاع<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي الدرداء قال: لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر،  
والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب الثمر<sup>(٦)</sup>.

وهذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يقول عنه مجاهد بن جبير: ما كان باب من العبادة  
يعجز عنه الناس إلا تكلفه عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيلٌ طَبَقَ البيتَ فجعل ابن

(١) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٢٣٩، وأحمد في الزهد ١: ١٨٠، وابن أبي الدنيا في المحتضرين (١٢٠)، وابن عساکر في  
تاريخ دمشق ٥٨: ٤٥٠، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٨٩.

(٢) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٦٧: ٣٦٣، وذكره ابن حجر في الإصابة ٣: ٤٢١، وقال أخرجه ابن سعد بسند صحيح.  
(٣) - رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الرطب بالقثاء (٥١٢٥).

(٤) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٣٨٣، وأحمد في الزهد (٨٣٨)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (١٧٦٦)، والبخاري في التاريخ  
الكبير ٤: ١٥٧، (٢٣١٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٩، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٦٧: ٣٨٤.

(٥) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٥٥، والحاكم في المستدرک (٤٤٩٠)، والبيهقي في شعب الإیمان (٤٨٧٢)، وفي إثبات  
عذاب القبر (١٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٩١).

(٦) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٧: ١٥٩، وذكره الذهبي في السير ٢: ٣٤٩.



الزبير يطوف سباحةً<sup>(١)</sup> .

وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحجر خافضاً بصره فجاء حجر قدامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل<sup>(٢)</sup> .

وعن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع قال مجاهد: وحدثت أن أبا بكر كان كذلك<sup>(٣)</sup> .

عن يحيى بن وثاب أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذم حائط<sup>(٤)</sup> .

وعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مصلياً قطُّ أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير<sup>(٥)</sup> .

وعن عمر بن قيس عن أمه أنّها قالت: دخلتُ على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو يصلي. قالت: فسقطت حية من السقف على ابنه هاشم فتطوّقت على بطنه وهو نائم، فصاح أهل البيت: الحية. ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وعبد الله بن الزبير يصلي ما التفت ولا عجل، ثم فرغ بعد ما قُتلت، فقال: ما بالكم؟ قالت أم هاشم: أي رحمك الله أرايت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك؟ قال: فقال ويحك، ما كانت التفاتة لو التفتها مبقيةً

---

(١) - رواه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (٣٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨: ١٧٨، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ١٦٩، وابن الأثير في تاريخه ٢: ٢٧٥، والذهبي في السير ٣: ٣٧٠، وفي تاريخ الإسلام ٢: ١٥٨ .

(٢) - رواه أحمد في الزهد ١: ٢٠٠، وأبو داود في الزهد (٣٧٣).

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢: ٢٣٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ٢٨٠، وأحمد في فضائل الصحابة (٢١٧).

(٤) - رواه أحمد في الزهد ١: ٢٠٠، وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (٤٦٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨: ١٧٠.

(٥) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٣٣٥، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل (١٩).

من صلاتي؟<sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يجيي الدهر أجمع، ليلة قائماً حتى يصبح، وليلةً يجيها راکعاً حتى الصباح، وليلةً يجيها ساجداً حتى الصباح<sup>(٢)</sup> .

وعن مسلم بن يَنَاق المكي قال: ركع ابن الزبير يوماً ركعةً، فقرأتُ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وما رفع رأسه<sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يواصل الصيام سبعاً، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة<sup>(٤)</sup> .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: كان ابن الزبير، قوام الليل صوام النهار، وكان يسمّى حمام المسجد<sup>(٥)</sup> .

---

(١) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤: ١٨٦، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ١٦٩ .

(٢) - رواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (٣٧٦)، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل (١٨)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ١٦٩ .

(٣) - رواه أبو داود في الزهد (٣٧٢)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٨: ١٧١، وذكره الذهبي في السير ٣: ٣٦٩، وفي تاريخ الإسلام ٢: ١٥٧ .

(٤) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٨: ١٧٥، وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة: ٣١٣، وابن كثير في تاريخه ٨: ٣٦٩، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ١٦٩ . قال الإمام الشاطبي عن نبي النبي ﷺ عن الوصال في الصوم: فَهَمَّ الصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ -عائشة وغيرها- أن النهي للرفق؛ فواصلوا، ولم يواصلوا كلهم، وإنما واصل منهم جماعة كان لهم قوة على الوصال، ولم يتخوفوا عاقبته من الضعف عن القيام بالواجبات. الموافقات ٣: ٢٦٢، ثم قال: وأما مسألة الوصال؛ فإن الأحق والأولى ما كان عليه عامتهم، ولم يواصل خاصتهم حتى كانوا في صيامهم كالعامّة في تركهم له؛ لما رزقهم الله من القوة التي هي أنموذج من قوله عليه الصلوة والسّلام: (إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)، مع أن بعض من كاد يسرد الصيام قال بعد ما ضعف: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. الموافقات ٣: ٢٦٦ .

(٥) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٣٣٥، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٨: ١٧٥ .

وعن عبد الرزاق قال: أهل مكة يقولون أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرزاق: «ما رأيت أحسن صلاة من ابن جريج كان يصلي، ونحن خارجون فيرى كأنه اسطوانة وما يلتفت يمينا ولا شمالا»<sup>(٢)</sup>.

ولما مات عثمان بن مظعون ﷺ، ووضع في قبره قالت امرأته: هنيئا لك أبا السائب الجنة، فقال رسول الله ﷺ: وما علمك بذلك؟ قالت: كان يا رسول الله ﷺ يصوم النهار، ويصلي الليل، قال: (بحسبك لو قلت كان يحب الله ورسوله)<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتحنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضا<sup>(٤)</sup>.

ومن حرص الصحابة على الطاعة والأجر ما رواه أبو ذر أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم وليس لنا مال نتصدق به. قال (أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة). قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)<sup>(٥)</sup>، فقد كان الأجر لدى الواحد منهم ألا يسبقه أحد في فعل الصالحات. وكانوا يجزنون إذا تعذر على الواحد منهم عمل من أعمال الخير كما وصفهم الله

(١) - رواه أحمد في مسنده (٦٩)، وفي الزهد (١٠٤٨)، وفي فضائل الصحابة (٢١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٠٤)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢: ١٣٢.

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣١٥٣). رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢٣٧٦).

(٣) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ١٠٦، وابن أبي الدنيا في الأولياء (٧٢).

(٤) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٤٩، وأبو نعيم في الحلية ١: ٥١، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٥٦)، وأحمد في الزهد (٦٣٥).

(٥) - رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢٣٧٦)، وأبو داود في باب التسيح بالحصي (١٥٠٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٤٨)، وأحمد في المسند (٧٢٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٥).

بقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا  
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (١٢) التوبة.

### منزلة الصَّلَاة في قلوب الصَّحابة ﷺ:

كان للصلاة منزلة عظيمة في قلوب الصَّحابة، وقد عرف عنهم الخشوع في  
الصَّلَاة وهو من صفات المؤمنين الخُلص، فكانوا يتصفون به لقوة إيمانهم.

ولم يتساهلوا بالصَّلَاة حتى في أصعب الحالات، فعن المسور بن مخرمة قال:  
دخلت أنا وابن عباس على عمر بعد ما طعن وقد أغمي عليه، فقلنا: لا ينتبه لشيء أفزع  
له من الصَّلَاة، فقلنا: الصَّلَاة يا أمير المؤمنين، فانتبه وقال: لا حظَّ في الإسلام لامرئ  
ترك الصَّلَاة، فصلى وجرحه ليثعب دماً<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسين قال: نُعي إلى ابن عباس ابن له وهو في سفر فقال: إنا لله  
وإنا إليه راجعون ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: فعلنا ما أمر الله به وتلا هذه الآية:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة<sup>(٢)</sup>.

وعبد الله بن عمر بن الخطاب كان يصلي الليل إلا قليلاً منه ينامه، عن نافع: أن  
ابن عمر كان يحبي الليل صلاةً ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: لا. فيعاود الصَّلَاة،  
فإذا قلت: نعم! فقد يستغفر ويدعو حتى يُصبح<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأنه سمع عن النبي ﷺ قال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)  
قال سالم: فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً<sup>(٤)</sup>.

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: غشي على عبد الرحمن بن عوف في  
وجعه غشية ظنوا أنه قد فاضت نفسه فيها حتى قاموا من عنده وجللوه ثوباً، وخرجت  
أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصَّلَاة، فلبثوا

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٥٧٩، وعبد الرزاق في مصنفه ١: ١٥٠، (٥٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ١: ٣٥٧،

(١٧٤١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٧٤) والدارقطني في سننه ٢: ٥٢، وأبو نعيم في معرفة الصَّحابة (١٧٧).

(٢) - رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصَّلَاة (١٧٨).

(٣) - رواه الطبري في تفسيره ٦: ٢٦٦، (٦٧٥٦).

(٤) - رواه البخاري في كتاب الصَّلَاة، باب فضل قيام الليل (١٠٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل عبد

الله بن عمر (٦٥٢٥).

ساعة وهو في غشيته ثم أفاق<sup>(١)</sup>.

وكان الخليفة عمر يحث على الصلّاة، فعن نافع مولى عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلّاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع<sup>(٢)</sup>.

### خشوع الصّحابة ﷺ في الصّلاة:

ومما يدل على اهتمام الصّحابة ﷺ بحضور القلب مع الله تعالى في الصّلاة وعدم إشغال الفكر بغير الصّلاة، ما روى عبد الله بن أبي بكر: أن أبا طلحة الأنصاري كان يصلي في حائط له فطار دُبِّي، فطفق يتردد يلتمس مخرجاً فأعجبه ذلك، فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى؟ فقال: لقد أصابني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة فقال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من الأنصار كان يصلي في حائط له بالقفّ - وادٍ من أودية المدينة - في زمن الثمر، والنخل قد ذلت فهي مطوقة بثمرها، فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى! فقال: لقد أصابني في

(١) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٣٤٦) والبيهقي في دلائل النبوة (٢٩٦٨)، والفريابي في القدر (٣٩٣)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصّلاة (١٧٩)، والآجري في الشريعة (٤٤٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥: ٢٩٧.

(٢) - رواه مالك في الموطأ (٩)، والبيهقي في السنن الكبرى ١: ٤٤٥، (٢١٨٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٠٥٦).

(٣) - رواه مالك في الموطأ (٣٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ٣٤٩، (٤٠٣٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٤١٦. والدُّبِّيُّ ضرب من الحمام جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب، وهو طائر صغير، قيل: هو ذكر الیّام لسان العرب مادة (دبس).

مالي هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة، فذكر ذلك وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير، فباعه عثمان بخمسين ألفاً، فسُمِّي ذلك المال الخمسين<sup>(١)</sup>.

ومن أعجب الأخبار في حرص الصحابة رضي الله عنهم واهتمامهم بالصلاة ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دمماً، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً، فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ» فانندب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بقم الشعب» قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى الشعب من الوادي، فلما أن خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيكه؟ قال: اكفني أوله، فاضطجع المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى زوج المرأة فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم – يعني طليعة القوم – قال: فرماه بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً يصلي، ثم عاد له الثالثة فوضعه فيه فنزعه فوضعه، ثم ركع ثم أهب صاحبه، فقال: اجلس فقد أثبت فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذر به، فهرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله، أفلا أهبتني أول ما رماك، قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع نعرأ أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها، أو أنفذها<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه مالك في الموطأ (٣٢٧)، وابن المبارك في الزهد والرفائق (٥١٦).

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٥١٣)، وابن حبان في صحيحه (١٠٩٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٦)، والبيهقي في السنن

الكبرى ١: ١٤٠، (٦٨١) والدارقطني في سننه ١: ٢٢٣، وأحمد في المسند (١٤٧٠٤).

ففي هذا الخبر مثل واضح على قوة الصبر واحتمال الأذى في سبيل الله تعالى لدى الصَّحابة رضي الله عنهم، كما أنه يدل على عنايتهم بالصَّلاة وأنها أعلى عندهم من أنفسهم وأموالهم، وهذه الصَّلاة التي عُمرت بالخشوع وكللت بحضور القلب مع الله تعالى هي الصَّلاة المؤثرة، التي أنجبت أبطالاً عظماء كهؤلاء الصَّحابة الكرام، ويلاحظ في هذا الخبر أن عبَّاد بن بشر قد أغفل من حساب فكره النظر إلى مستقبل أولاده وأهله وأمواله فيما إذا أصيب واستشهد، وإنما كان يوازن النظر حينما رماه ذلك الرجل بين أمرين: أن يكمل السورة التي بدأها أو أن يقطعها ليوثق أخاه عمراً حتى لا يضيع المهمة الكبيرة التي أناطها به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أروعَه من موقف وما أعظَمَها من همّة.

لقد كانت صلاة الصَّحابة رضي الله عنهم الكاملة في مظهرها ومخبرها سبباً مهماً من أسباب انتصارهم على أعدائهم، وذلك لأن الأعداء إذا رأوا المسلمين وهو يؤدون الصَّلاة بخشوع وانتظام يكبرون في أعينهم ويدخلهم شيء من الرعب منهم، فينهزمون معنوياً قبل الدخول في قتال مع المسلمين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما كان من المقوقس حاكم مصر، وقد أرسل رسلاً إلى المسلمين القادمين لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولما رجع الرسل إلى المقوقس سأهم عن المسلمين فقال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصَّلاة لم يتخلف عنها منهم واحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم، فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُخلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم

نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم<sup>(١)</sup>.

### حرص الصحابة ﷺ على صلاة الجماعة:

فمن الأقوال المأثورة عنهم التي تبين حرصهم واهتمامهم بصلاة الجماعة في المساجد ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»<sup>(٢)</sup>.

### ذكر الصحابة لله ﷻ:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال الله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال الله ما أجلسكم إلا

(١) - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوסף بن تغري بردي ١: ١٠، والمواظ والاعتبار للمقريزي ١: ٣٦٥، وحسن

المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ٣٨، والروض المعطار في خبر الأقطار: ٥٥٣، ونهاية الأرب ٥: ٢٦٠.

(٢) - رواه مسلم في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى (١٥٢٠).



ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة (١).

### تصدق الصحابة ﷺ وإنفاقهم:

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحى وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آله عمران: ٩٢. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحى وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت قال رسول الله ﷺ: (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه) (٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا فيضعفه له أَضعافًا كثيرة﴾ البقرة: ٢٤٥. قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي. قال: وحائط له فيه ستائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك قال: اخرجي فقد أقرضته ربي ﷻ (٣).

وعن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم

(١) - رواه مسلم في كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٤٨٦٩).

(٢) - رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (١٣٩٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، (١٦٦٤).

(٣) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠: ٣٣٣٩، والطبري في تفسيره ٥: ٢٨٤، (٥٦٢٠)، والطبراني في الكبير (٧٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٥٢)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٩٨٦).

حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه (١).

وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان ﷺ إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ، قال: فجعل النبي ﷺ يقبلها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم» قالها مراراً (٢).

وعن أم ذرة قالت: بعث إلى عائشة ببال في غرارتين. قالت: أراه ثمانين أو مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسم بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هاتي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه قالت لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت (٣).

وهذا طلحة بن عبيد الله بن عثمان ﷺ كان من كرماء قريش، فعن طلحة بن عبيد الله قال: «سماني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، وفي غزوة العشيرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجواد» (٤).

وقد ذكر عنه من الكرم الشيء الكثير، فعن موسى بن طلحة: أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد فأطعمهم وسقاهم، فقال النبي ﷺ: «يا طلحة الفياض»، فسمي طلحة الفياض (٥).

وقال قبيصة بن جابر: صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه (١).

(١) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان (٣٦٣٣)، وأحمد في المسند (١٦٦٩٦)، وعبد بن حميد في مسنده (٣١١).

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٤٥٢٩)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢: ٤٧، وابن راهويه في مسنده ٢: ٣٦، وهناد في الزهد (٦١٩).

(٤) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٦٢٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٥)، والطبراني في الكبير (١٩٧).

(٥) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٦١٩) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١٩٨).

وعن سعدى بنت عوف المريية قالت: «دخل علي طلحة فوجدته مغموماً»،  
فقلت: «ما لي أراك كالح الوجه، أراك من أمرنا شيء؟» قال: «لا والله، ما رابني من  
أمرك شيء، ولنعم صاحبة أنت، ولكن ما لا اجتمع عندي»، قالت: «فابعث إلى أهل  
بيتك وقومك فاقسم فيهم»، قالت: «ففعّل، فسألت الخازن: كم قسم؟» فقال: «أربع  
مائة ألف، وكانت غلته كل يوم ألف درهم»<sup>(٢)</sup>.

وعن مالك الدار: أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمئة دينار فجعلها في صرة فقال:  
للغلام: اذهب بهم إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت ساعة حتى تنظر ما  
يصنع فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك  
فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه  
الخمسة إلى فلان حتى أنفذهما فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعد مثله إلى معاذ بن  
جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتله في البيت حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه  
فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله  
تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ  
فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرق إلا ديناران فدحا بهما إليهما ورجع  
الغلام إلى عمر فأخبره وسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض<sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٨٨.

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٦٣٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٩).

(٣) - رواه الطبراني في الكبير (٤٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٢٣٧، وأحمد في الزهد (١٥٨١)، وابن عساكر في تاريخ  
دمشق ٥٨: ٤٣٦.

## الفصل السابع أخلاق الصحابة ﷺ وآدابهم

إنَّ من أفضل ما يبين الأخلاق التي كان عليها الصحابة هي الأخوة فيما بينهم، فقد كانوا يعيشون في ظلال الأخوة الإسلامية متحابين متكاتفين متفانين رحماء بينهم، أدلة على إخوانهم المؤمنين، أشداء على الكفار وأعزة عليهم، وإن أخوة الإسلام يوم كانت على أوجها صنعت نماذج فريدة عبر التاريخ، فلما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين ويعطونهم البيوت والأثاث والأموال والأرض والدواب، ويؤثرونهم على أنفسهم، ويقول الأنصاري للمهاجر: انظر شطر مالي فخذ، ويقول المهاجر: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق.. فكان من الأنصار الإيثار، ومن المهاجرين التعفف وعزة النفس وعدم الطمع، وهكذا تكون الأخوة: عزة نفس وتعفف، وفي المقابل إيثار وكرم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا <sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل ثمره قسمين، أحدهما أقل من الآخر، ثم يجعلون السعف مع أقلهما، ثم يخIRON المهاجرين فيأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف حتى فتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: (قد وفيتم لنا بالذي كان عليكم، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم)، قالوا: قد كان لك علينا شروط بأن لنا الجنة، فقد فعلنا الذي سألتنا بأن لنا شرطنا، قال: (فذاكم لكم) <sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه البخاري في كتاب المزارعة، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل أو غيره وتشركني في الثمر (٢٢٠٠)، وفي كتاب الشروط، باب الشروط في المعاملة (٢٥٧٠).

(٢) - قال الهيثمي: رواه البزار من طريقين وفيها مجالد وفيه خلاف، وبقية رجال إحداهما رجال الصحيح. مجمع الزوائد

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله: ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنّة، وأشركونا في المهناً، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا، ما أثنتم عليهم ودعوتم لهم <sup>(١)</sup>.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم) <sup>(٢)</sup>.

وقال الله تعالى مادحاً للأنصار، ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الحشر: ٩. أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر: وأوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم. وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تَبَوَّءُوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم <sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر: ٩. أي: من كَرَمَهُمْ وشرف أنفسهم، يُحِبُّونَ المهاجرين ويواسونهم بأموالهم <sup>(٤)</sup>.

● - **ومن أخلاق الصّحابة: الإيثار**، وقد وصف الله الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩. أي ولو كان بهم حاجة وفاقه إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم، ومن إيثار الصّحابة ما رواه أبو جهم بن حذيفة العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعني شنة من ماء أو إناء فقلت: إن كان به رمق سقيته من الماء أو مسحت به وجهه فإذا أنا به ينشغ فقلت: أسقيك فأشار أي نعم فإذا رجل يقول: آه فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه فإذا هو هشام بن العاص

(١) - رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤١١)، وأحمد في المسند (١٣٠٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى ٦: ١٨٣، وابن أبي شيبة في المصنف ٦: ٢٣٩. والشيباني في الأحاد والمثاني (١٨٠٨).

(٢) - رواه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢٣٥٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل الأشعريين (٦٥٦٤).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١٣٢٨).

(٤) - تفسير ابن كثير ٨: ٦٨.

أخو عمرو وأتيته فقلت أسقيك فسمع آخر فقال: آه فأشار هشام أن انطلق به إليه فجيئه فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات<sup>(١)</sup>. ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه على نفسه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيات طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلها يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما). فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر<sup>(٢)</sup>.

● - ومن أخلاق الصحابة: التواضع، فعن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها مرة يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها وهو خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو بكر يجلب للحمي أغنامهم، فلما بوبع بالخلافة قالت جارية من الحمي: الآن لا يجلب لنا منائح دارنا، فسمعها رضي الله عنه فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا

(١) - رواه البيهقي في شعب الإبهان (٣٤٨٣)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٥١٤) وفي الجهاد (١١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨: ١٨٠.

(٢) - رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول الله ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣٥٨٧)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (٥٤٨٠).

(٣) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٢٢.

يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه. فكان يجلب لهم<sup>(١)</sup>.

وعن أنيسة قالت: نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين: سنتين قبل أن يستخلف، وسنة

بعدهما استخلف فكان جوارى الحي يأتيه بغنمهن، فيحلبهن لهن<sup>(٢)</sup>.

وعن الشعبي قال لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر فنزل مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وترقبوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله ﴿لَا تَخَفْنَ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله ألا وإني أنزلت نفسي من الله بمنزلة ولي اليتيم إن استغنيت عفت إن افتقرت أكلت بالمعروف<sup>(٣)</sup>.

عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت ركب يوماً فأخذ ابن عباس بركابه فقال تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال هكذا أمرنا أننفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد أرني يدك فأخرج يده فقبلها فقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وقسم عمر بن الخطاب ﷺ بين الصحابة ﷺ حلاً، فبعث إلى معاذ حلة مثمنة. فباعها. واشترى بثمنها ستة أعبدٍ وأعتقهم. فبلغ ذلك عمر. فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها. فعاتبه معاذ، فقال عمر: لأنك بعت الأولى. فقال معاذ: وما عليك؟ ادفع لي نصيبي. وقد حلفت لأضربنُ بها رأسك فقال عمر ﷺ عنه: رأسي بين يديك. قد رويت أخبار كثيرة عن تواضع عمر بن الخطاب ﷺ منها ما يلي:

عن طارق قال: خرج عمر ﷺ إلى الشام ومعنا أبو عبيدة، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له، فنزل وخلع خفيه، فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك،

(١) - صفة الصفوة ١: ٢٥٨.

(٢) - أسد الغابة ٢: ١٤٧.

(٣) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٦٣.

(٤) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٣٢٦.

فقال: أوه، لو قال ذا غيرك يا أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله <sup>(١)</sup>.

وعن يونس أن الحسن سئل عن القائلة في المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة يقبل في المسجد ويقوم واثر الحصى بجنبه فيقول هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين <sup>(٢)</sup>.

وعن الحسن أيضاً قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد، ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه، كأنه أحدهم. وعن شرحبيل بن مسلم كان عثمان بن عفان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت <sup>(٣)</sup>.

وعن صالح بياع الأكسية عن جدته قالت: رأيت علياً اشترى تمرًا بدرهم فحمله في ملحفته، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين. قال: أبو العيال أحق أن يحمل <sup>(٤)</sup>.

وعن زاذان عن علي أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال، فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا﴾ القصص: ٨٣. ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس <sup>(٥)</sup>.

وكان عبد الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخالط الفقراء والمساكين ولا يأكل حتى يشاركوه في طعامه وشرابه، وعن سعيد بن جبيرة أن عبد الله بن عمر اشتهى عنباً فقال

(١) - رواه الحاكم في المستدرک (١٩٤).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢: ٤٤٧.

(٣) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٦٠، وأحمد في الزهد (٦٩٠).

(٤) - رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥١)، وأحمد في فضائل الصحابة (٨٨٥) وفي الزهد (٧١٧)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٢: ٤٨٩.

(٥) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٢: ٤٨٩.



لأهله: اشتروا لي عنباً، فاشتروا له عنقوداً من العنب، فأتي به عند فطره، ووافى سائل  
بالباب فسأل، فقال: يا جارية ناولي هذا العنقود هذا السائل فقالت: سبحان الله شيئاً  
اشتهيته، نحن نعطي السائل ما هو أفضل من هذا، قال: يا جارية أعطيه العنقود،  
فأعطته العنقود<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد: صحبت ابن عمر لأخدمه فكان هو يخدمني<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن عمر رضي الله عنه يكره المدح ويرفض مدح المداحين. عن أبي الوازع قال: قلت  
لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. قال: فغضب ثم قال: إني لأحسبك  
عراقياً، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه<sup>(٣)</sup>.

وقال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يا خير الناس، وابن خير الناس،  
فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس. ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله عز وجل،  
أرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه<sup>(٤)</sup>.

ومر الحسن على صبيان معهم كسر خبز فاستضافوه. فنزل فأكل معهم، ثم  
حملهم إلى منزله. فأطعمهم وسقاهم، قال: اليد لهم. لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما  
أطعموني، ونحن نجد أكثر منه<sup>(٥)</sup>.

● - **ومن الآداب عند الصحابة: إفشاء السلام**، فقد كان الواحد منهم يسير

الاثنان منهم في الطريق فتفصل بينهما أثناء المسير شجرة فيعودان فيسلم أحدهما على  
الآخر شوقاً إليه من تلك اللحظة التي فصلت بينهما في الطريق.

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤: ١٦٠.

(٢) - رواه الخلال في السنّة (٢٦٢)، وأحمد في الزهد ١: ١٩٣، وأبو نعيم في الحلية ٣: ٢٨٥، والخطيب في الجامع لأخلاق  
الراوي وآداب السامع (١٧٤٠).

(٣) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٣٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤: ١٦١، والفسوي في المعرفة  
والتاريخ: ٤٢٢، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٤٠)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٣١: ١٥٧.

(٤) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٣٦)، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٢٧٢، وأبو نعيم في الحلية ١: ٣٠٧،  
ومعمر بن رشد في جامعه (١١٣٦) وابن عساکر في تاريخ دمشق ٣١: ١٥٥.

(٥) - انظر خلق المسلم: ١٧٦ وما بعدها.

وعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلّم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع في السوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ قال: وأقول اجلس بنا هاهنا نتحدث. قال: فقال لي عبد الله بن عمر: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السّلام نسلم على من لقينا<sup>(١)</sup>.



## الفصل الثامن

اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالمحافظة على أصول الإسلام ومبادئه

### المبحث الأوّل: المحافظة على الدين

ومن مظاهر ذلك: إقامة الجهاد، وقتال المرتدين ومانعي الزكاة، فلما مات النبي صلى الله عليه وآله، وسيّر أبو بكر جيش أسامة، ارتدت العرب وتضرمت الأرض ناراً، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة، واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان تبعاً لعيينة بن حصن، وقدمت رسل النبي صلى الله عليه وآله من اليمامة وأسد وغيرهما وقد مات، فدفعوا كتبهم لأبي بكر وأخبروه الخبر عن

(١) - رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب جامع السّلام (٣٥٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٦)، والبيهقي

في شعب الإيمان (٨٧٩٠).

مسيلمة وطليحة، فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما  
وصفتهم، فكان كذلك، وقدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتفاض العرب  
عامة أو خاصة وتسلطهم على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم  
(١).

عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من  
كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن  
أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا  
بحقه وحسابه على الله. فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق  
المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر:  
فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق قال ابن  
بكير وعبد الله عن الليث عن عناق وهو أصح (٢).

قال عبد الله بن مسعود: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا  
أن الله من علينا بأبي بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون، وأن نأكل  
قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فوالله ما رضي  
منهم إلا بالخطبة المخزية أو الحرب المجلية، فأما الخطبة المخزية: فأن يقرؤا بأن من قتل  
منهم في النار ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلتنا ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا  
منا مردوداً علينا. وأما الحرب المجلية: فأن يخرجوا من ديارهم» (٣).

وقال علي بن المديني: «إن الله ﷻ أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، أبو

بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة» (٤).

(١) - الكامل في التاريخ ١: ٣٦٥.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٧٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان  
باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٩).

(٣) - الكامل في التاريخ ١: ٣٦٥، ونهاية الأرب للنويري ٥: ٢٠٥، ورواه البلاذري في فتوح البلدان (٢٧٨)، ١: ١١٣.  
وللتوسع في حروب الردة يُنظر مقال: الإسلام والجاهلية عودة العصبية من جديد لمحمد الناصر مجلة البيان العدد الثامن.

(٤) - رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٢: ٣٦٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ٢٧٨، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ٤: ٣٦٣.  
وانظر طبقات الحنابلة ١: ٥، وتذكرة الحفاظ ٢: ٤٣٢.

وقال المزني: «أحمد بن حنبل يوم المحنة، أبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين رضي الله عنه» <sup>(١)</sup>.

● - **ومن مظاهر محافظتهم على الدين: دفاعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم**، ومن المواقف الطريفة في ذلك ما ورد عن عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانها تمنيت أن أكون بين أضلع منها، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا، فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح). وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح <sup>(٢)</sup>.

● - **ومن مظاهر محافظتهم على الدين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، عن أبي أمية الشعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، فقال: لقد سألت عنها خيراً، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أبا ثعلبة، ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحاً مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، إن من بعدكم أيام الصبر للمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه كأجر خمسين عاملاً) قالوا: يا رسول الله، كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: (لا كأجر خمسين عاملاً منكم) <sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٥: ٣٠٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١١: ٢٠١، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ٣٦٩.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه (٢٩٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقات القتال سلب القتيل، (٤٦٦٨).

(٣) - رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (٢٩٨٤) وقال: حسن غريب. وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٣) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٤٠٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ٩٢، والحاكم في المستدرک (٨٠٢٩).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا) وشبك بين أصابعه قال: فقمتم إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: (الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) <sup>(١)</sup>.

وكذلك روي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فإِنبِتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة، قالوا: لم يأت تأويلها بعد، إنما تأويلها في آخر الزمان.

وعن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ، وإني لأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؟ فأقبلوا عليّ بلسان واحد وقالوا: أنتزع بآية من القرآن لا تعرفها، ولا تدري ما تأويلها! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا: «إنك غلام حدث السن، وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان، إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت» <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي العالية عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فإِنبِتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(١) - رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٥)، وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٥٩٢، والنسائي في السنن الكبرى ٦: ٥٩، (١٠٠٣٣)، والحاكم في المستدرک (٧٨٦٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٩٠) وابن المبارك في مسنده (٢٥٩).

(٢) - رواه الطبري في تفسيره ١١: ١٤٢، (١٢٨٥٨).

المائدة، قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾! قال: فسمعها ابن مسعود فقال: «مه، لما يجيء تأويل هذه بعد، إن القرآن أنزل حيث أنزل، ومنه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ، ومنه أي وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه أي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه أي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة، ومنه أي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، ولم يذوق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهاوا. فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية»<sup>(١)</sup>.



### المبحث الثاني: المحافظة على النفس

ومن مظاهر ذلك: ترغيبهم في النكاح، عن علقمة قال: كنت أمشي مع عبد الله بمنى فلقبه عثمان فقام معه يحدثه فقال يا أبا عبد الرحمن ألا أزوجك جارية شابة فلعلها أن تذكرك بعض ما مضى منك فقال عبد الله أما لئن قلت ذاك لقد قال لنا رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج)<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه الطبري في تفسيره ١١: ١٤٣، (١٢٨٥٩).

(٢) - رواه النسائي في كتاب النكاح، باب الحث على النكاح (٣١٥٩)، وفي الكبرى (٥٣١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ٣:

٢٧٠، والبخاري في مسنده (١٥٠٣)، والطحاوي في مسنده (٢٧٢).

وعن ربيعة الأسلمي قال كنت أخدم رسول الله ﷺ فقال يا ربيعة ألا تزوج؟ قال: قلت: والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلني عنك شيء فأعرض عني فخدمته ما خدمته، ثم قال لي الثانية: يا ربيعة ألا تزوج؟ فقلت: ما أريد أن أتزوج ما عندي ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلني عنك شيء فأعرض عني ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله لرسول الله ﷺ بما يصلحني في الدنيا والآخرة أعلم مني، والله لئن قال تزوج لأقولن: نعم يا رسول الله مرني بما شئت. قال: فقال: يا ربيعة ألا تزوج؟ فقلت: بلى مرني بما شئت. قال: انطلق إلى آل فلان حي من الأنصار وكان فيهم تراخ عن النبي ﷺ، فقل لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة لامرأة منهم فذهبت فقلت لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة، فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله ﷺ والله لا يرجع رسول رسول الله ﷺ إلا بحاجته، فزوجوني وأطفوني وما سألوني البينة فرجعت إلى رسول الله ﷺ حزينة فقال لي: ما لك يا ربيعة فقلت يا رسول الله أتيت قوماً كراماً فزوجوني وأكرموني وأطفوني وما سألوني بينة، وليس عندي صداق. فقال رسول الله ﷺ: (يا بريدة الأسلمي، اجمعوا له وزن نواة من ذهب) قال: فجمعوا لي وزن نواة من ذهب، فأخذت ما جمعوا لي فأتيت به النبي ﷺ فقال: اذهب بهذا إليهم فقل: هذا صداقها فأتيتهم فقلت: هذا صداقها فرضوه وقبلوه وقالوا: كثير طيب<sup>(١)</sup>. وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح، ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح.

وعن سعد بن هشام أنه دخل على أم المؤمنين عائشة قال: قلت: إني أريد أن أسألك عن التبتل فما ترين فيه؟ قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الرعد: ٣٨. فلا تتبتل<sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه أحمد في المسند (١٦٥٧٧)، والطبراني في الكبير (٤٥٧٨)، والحاكم في المستدرک (٢٧١٨).

(٢) - رواه النسائي في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل (٣١٦٤).

وعن عبد الله بن مسعود قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: ﴿إِنْ يَكُونُوا

فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النور: ٣٢<sup>(١)</sup>.

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال لي طاووس: «لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»<sup>(٢)</sup>.

وعن عثمان بن أبي صفية الأنصاري قال: قال عبد الله بن عباس لغلام من غلمانه: «ألا أزوجك، فما من عبد يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: «لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان التبتل، ولو أذن له لاختصينا»<sup>(٤)</sup>.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال:

أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿إِنْ

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النور: ٣٢<sup>(٥)</sup>.

وخطب عمر رضي الله عنه الناس فقال: «ما استفاد عبد بعد إيمان بالله خيراً من

امرأة حسنة الخلق ودود ولود، وما استفاد عبد بعد كفر بالله شراً من امرأة حديدة

اللسان سيئة الخلق، والله إنَّ منهنَّ غُنماً لا يُحْدَى منه، وإنَّ منهنَّ غُللاً لا يُفْدَى منه»<sup>(٦)</sup>.



(١) - رواه الطبري في تفسيره ١٩: ١٦٦.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٣: ٢٧١، وعبد الرزاق في مصنفه ٦: ١٧٠، (١٠٣٨٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤: ٦، وسعيد بن منصور في سننه (٤٩١)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٢٨٦)، والفاكهي في أخبار مكة (٦٤٤)، وذكره الذهبي في السير ٥: ٤٨، والمزي في تهذيب الكمال ١٣: ٣٦٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٩: ٢٦٩.

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢١٢، وعبد الرزاق في مصنفه ٧: ٤١٧، (١٣٦٨٧)، وابن بطّة في الإبانة الكبرى (٩٦٧).

(٤) - رواه النسائي في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل (٣١٦٠).

(٥) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨: ٢٥٨٢.

(٦) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧: ٨٢، وابن الجعد في مسنده (١٠٧٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧: ٢٤٣، وابن

أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف (٢٦٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٦٢



## المبحث الثالث: المحافظة على العقل

ومن مظاهر ذلك: سرعة استجابة الصحابة لتحريم الخمر: عن ابن وعله أنه سأل عبد الله بن عباس عما يعصر من العنب فقال ابن عباس أهدى رجل لرسول الله ﷺ راوية خمر فقال له رسول الله ﷺ: أما علمت أن الله حرمها؟ قال: لا، فساره رجل إلى جنبه فقال له ﷺ: بم ساررتة؟ فقال: أمرته أن يبيعهها فقال له رسول الله ﷺ: (إن الذي حرم شربها حرم بيعها) ففتح الرجل المزادتين حتى ذهب ما فيه<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك أنه قال: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة الأنصاري وأبي بن كعب شراباً من فضيخ وتمر قال فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت. فقال أبو طلحة: يا أنس قم إلى هذه الجرار فاكسرها. قال: فقمتم إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت<sup>(٢)</sup>.

● - وإقامة حد الشرب: عن السائب بن يزيد أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال: إني وجدت من فلان ريح شراب فزعم أنه شراب الطلاء، وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلده، فجلده عمر الحد تاماً<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر قال سمعت عمر ﷺ على منبر النبي ﷺ يقول: (أما بعد أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل)<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه مالك في كتاب الأشربة، باب جامع تحريم الخمر (١٣٣٤).

(٢) - رواه مالك في كتاب الأشربة، باب جامع تحريم الخمر (١٣٣٥).

(٣) - رواه مالك في كتاب الأشربة، باب الحد في الخمر (١٣٢٤)، والنسائي (٥٦١٢)، وفي السنن الكبرى (٥٢١٧) و (٦٨٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨: ٢٩٥، وفي معرفة السنن والآثار (٥٤٦٦)، والدارقطني في سننه ٤: ٢٤٨، والشافعي في مسنده (١٢٧٧)، وذكره البخاري معلقاً في كتاب الأشربة، باب الباذق ومن نهى عن كل مسكر من الأشربة ٥: ٢١٢٥.

(٤) - رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (٤٢٥٣)، وفي كتاب الأشربة، باب الخمر من العنب، (٥١٥٣)، وفي باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب (٥١٦٠). قال ابن حجر: وفي السياق حذف تقديره: فسأل عنه فوجده يسكر فجلده. الفتح ١٦: ٧١.

وعن أنس بن مالك قال: كنت أسقي أبا طلحة وأبا دجانة ومعاذ بن جبل في رهط من الأنصار، فدخل علينا داخل فقال: «حَدَّثَ خَيْرٌ، نَزَلَ تَحْرِيمُ الخمر، فأكفأناها يومئذ وإنها لخليط البُسْر والتمر»<sup>(١)</sup>.

وعن ثور بن زيد الديلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي بن أبي طالب: «نرى أن تجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري» أو كما قال، فجلد عمر في الخمر ثمانين<sup>(٢)</sup>.

وعن مالك ابن عمير الحنفي قال: أتى عمر بابن مظعون قد شرب خمرًا، فقال: من شهودك؟ قال: فلان وفلان، وغياث بن سلمة - وكان يسمى غياث: الشيخ الصدوق - فقال: رأيت يقيئها ولم أره يشربها، فجلده عمر الحد<sup>(٣)</sup>.

وعن وبرة الكلبي، قال: أرسلني خالد بن الوليد إلى عمر رضي الله عنهما فأتيته وهو في المسجد معه عثمان بن عفان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير رضي الله عنهم متكى معه في المسجد فقلت: إن خالد بن الوليد أرسلني إليك وهو يقرأ عليك السَّلام ويقول: إن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة، فقال عمر: هم هؤلاء عندك فسلهم، فقال علي رضي الله عنه: نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افتري وعلى المفتري ثمانون، فقال عمر: أبلغ صاحبك ما قال: فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين، وكان عمر إذا أتى بالرجل القوي المنهمك في الشراب جلده ثمانين وإذا أتى بالرجل الضعيف التي كانت منه الزلة جلد أربعين ثم جلد عثمان ثمانين وأربعين<sup>(٤)</sup>.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، أن علي بن أبي طالب، قال: « لا أوتى بأحد شرب خمرًا، ولا نبئداً مسكراً إلا جلده الحد»<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، (٣٦٦٥).

(٢) - رواه مالك في كتاب الأشربة، باب الحد في الخمر (١٣٢٥)، والشافعي في مسنده (١٢٨٢)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٤٩١) وعبد الرزاق في مصنفه عن عكرمة (١٣٥٤٢).

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦: ٥٣٣.

(٤) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ٣٢٠، والدارقطني في سننه ٣: ١٥٧، والحاكم في المستدرک (٨٢٤٤)، وقال: « هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ».

(٥) - رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٤٦٨).

وعن حُضَيْن بن المنذر الرقاشي يحدث قال: لما جيء بالوليد بن عقبة إلى عثمان، وقد شهدوا عليه بشرب الخمر قال لعلي: دونك فأقم عليه الحد فأمر به علي فجلد أربعين جلدة، ثم قال: «جلد رسول الله ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكلُّ سنة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر قال: جلد علي الوليد بن عقبة أربعين جلدة في الخمر<sup>(٢)</sup>.  
وعن عطاء بن أبي مروان عن أبيه أن علياً ضرب النجاشي الحارثي الشاعر، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان<sup>(٣)</sup>.  
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرمها لعاقبتها، فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحریم الخمر<sup>(٤)</sup>.  
وعن ابن عباس قال: «حرمت الخمر بعينها، والمسكر من كل شراب»<sup>(٥)</sup>.



### المبحث الرابع: المحافظة على العرض

ومن مظاهر ذلك: إقامة حدِّ الزنا، وقد قال عمر بن الخطاب: الرجم في كتاب الله حقٌّ على من زنى من الرجال والنساء إذا أحصن، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف<sup>(٦)</sup>.

(١) - رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٤٩٣).

(٢) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ٧: ٣٧٨، (١٣٥٤٤).

(٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ٣٢١، وعبد الرزاق في مصنفه ٧: ٣٨٢، (١٣٥٥٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٠٤٠).

(٤) - رواه الدارقطني في سننه ٤: ٢٥٦.

(٥) - رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٤٧٤).

(٦) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٢٩٥).

وعن أبي واقد الليثي أن عمر بن الخطاب أتاه رجل وهو بالشام فذكر له أنه وجد مع امرأته رجلاً، فبعث عمر بن الخطاب أبا واقد الليثي إلى امرأته يسألها عن ذلك فأتاها وعندها نسوة حولها فذكر لها الذي قال زوجها لعمر بن الخطاب، وأخبرها أنها لا تؤخذ بقوله، وجعل يلقتها أشباه ذلك لتنزع، فأبت أن تنزع وتمت على الاعتراف، فأمر بها عمر فرجمت <sup>(١)</sup>.

وخطب عمر الناس فقال: «أيها الناس قد سُنَّتْ لكم السنن وفُرِضَتْ لكم الفرائض وتُرِكْتُمْ على الواضحة، إلا أن تَصِلُوا بالناس يميناً وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى ثم قال: إياكم أن تَهْلِكُوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدَّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى، لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة. فإننا قد قرأناها» <sup>(٢)</sup>.

وأتى أبو بكر برجل قد وقع على جارية بكر فأحبلها، ثم اعترف على نفسه بالزنا ولم يكن أحصن، فأمر به أبو بكر فجلد الحد ثم نفي إلى فدك <sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس، قال: «خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، ألا إن الرجم حد من حدود الله فلا تخدعن عنه، ألا إن آية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم، ورجم أبو بكر، ورجمنا من بعدهما، ولقد هممت أن أكتب في ناحية: المصحف شهد عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ

(١) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٢٩٦).

(٢) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٢٩٧).

(٣) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا (١٣٠٠).

رجم، ألا إنه سيأتي من بعدكم أقوام يكذبون بالرجم وبالذجال، وبعذاب القبر،  
والشفاعة، وقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عياش قال: أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا  
ولائد من ولائد الإمارة خمسين خمسين في الزنا<sup>(٢)</sup>.

● **ومن الحفاظ على العرض: إقامة حدّ القذف**، عن عمرة بنت عبد الرحمن  
أن رجلين استبا في زمان عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبي بزان ولا أمي  
بزانية فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب فقال قائل: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: قد  
كان لأبيه وأمه مدح غير هذا، نرى أن تجلده الحد فجلده عمر الحد ثمانين<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن أبي شيبة في مصنفه: «في رجل قذف رجلاً وأمه مشرقة»، ثم روى عن  
الزهري أن رجلاً من المهاجرين افتري عليه على عهد عمر بن الخطاب، وكانت أمه  
ماتت في الجاهلية، فجلده عمر لحرمة المسلم<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عمر أن عمر كان يحد في التعريض بالفاحشة<sup>(٥)</sup>.

وعن إسماعيل بن أمية قال: قذف رجل رجلاً في هجاء، أو عرض له فيه،  
فاستأدى عليه عمر بن الخطاب فقال له: لم أعن هذه إنما أردت شيئاً آخر، قال الرجل:  
فيسمي لك من عني، قال عمر: صدق، قد أقررت على نفسك بالقبيح - أو قال بالأمر  
القبيح - فوركه على من شئت، فلم يذكر أحداً، فجلده الحد<sup>(٦)</sup>.

وعن صفوان وأيوب أنه حد في التعريض، والذي كان يحد في التعريض عمر بن  
الخطاب عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار، هجا وهب بن زمعة بن

(١) - رواه محمد بن نصر المروزي في السنّة (٣٠٧).

(٢) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب جامع ما جاء في حد الزنا (١٣٠٣).

(٣) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب الحد في القذف (١٣٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨: ٢٥٢، والدارقطني في  
سننه ٣: ٢٠٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٦: ٤٩٩. وقد استدلل للقائلين بالحد في التعريض بالقذف بما في هذا الخبر.

(٤) - المصنف ٦: ٥٦٩.

(٥) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٧٠٣).

(٦) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٧٠٤)، ورك الشيء: أوجبه، وورك اليمين: نوى فيها غير ما نواه المستحلف.

الأسود ابن عبد المطلب بن أسد، فتعرض له في هجائه، قال ابن جريج: وسمعت ابن أبي مليكة يحدث ذلك<sup>(١)</sup>.



### المبحث الخامس: المحافظة على المال

ومن ذلك: إقامة حدّ السرقة، عن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق في زمان عثمان أترجة فأمر بها عثمان بن عفان أن تُقَوِّمَ فقَوِّمَت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار فقطع عثمان يده<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها قالت: خرجت عائشة زوج النبي ﷺ إلى مكة ومعها مولاتان لها ومعها غلام لبني عبد الله بن أبي بكر الصديق، فبعثت مع المولتين ببرد مرجل قد خيط عليه خرقة خضراء، قالت: فأخذ الغلام البرد ففتق عنه فاستخرجه وجعل مكانه لبدّاً أو فروة وخاط عليه، فلما قدمت المولتان المدينة دفعتا ذلك إلى أهله فلما فتقوا عنه وجدوا فيه اللبد ولم يجدوا البرد، فكلموا المرأتين فكلمتا عائشة زوج النبي ﷺ أو كتبتا إليها واتهمتا العبد، فسئل العبد عن ذلك فاعترف، فأمرت به عائشة زوج النبي ﷺ فقطعت يده وقالت عائشة: القطع في ربع دينار فصاعداً<sup>(٣)</sup>.

وعن نافع أن عبداً لعبد الله بن عمر سرق وهو آبق فأرسل به عبد الله بن عمر إلى سعيد بن العاص وهو أمير المدينة ليقطع يده فأبى سعيد أن يقطع يده وقال لا تقطع يد الآبق السارق إذا سرق فقال له عبد الله بن عمر في أي كتاب الله وجدت هذا ثم أمر به عبد الله بن عمر فقطعت يده<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبي بكر الصديق فشكا إليه أن عامل اليمن قد ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر: وأبيك ما لي لك بليل سارق! ثم إنهم فقدوا عقداً لأسماء بنت عميس

(١) - رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٧٠٥).

(٢) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما يجب فيه القطع (١٣١١).

(٣) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما يجب فيه القطع (١٣١٣).

(٤) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب ما جاء في قطع الآبق والسارق (١٣١٤).

امرأة أبي بكر الصديق فجعل الرجل يطوف معهم ويقول: اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به، فاعترف به الأقطع أو شهد عليه به، فأمر به أبو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى. وقال أبو بكر: والله لدعاؤه على نفسه أشد عندي عليه من سرقة<sup>(١)</sup>.



### المبحث السادس: حب الصَّحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وشدة اتباعهم

وكان الصَّحابة على درجة عالية من المحبة والإجلال لرسول الله ﷺ، وإيثار محبته على الأهل والمال، بل حتى على أنفسهم، فقد فدوه بكل ما يستطيعون، وقدموا الغالي والثمين في ذلك.

١- قال أبو سفيان لزيد بن الدثنة ﷺ: حين قدم ليقتل: نشدتك بالله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك يضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً»<sup>(٢)</sup>. وقال عمرو بن العاص ﷺ: «وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه»<sup>(٣)</sup>.

٢- وقال عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية لما رجع إلى أصحابه: «أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ﷺ والله إن تنخم نخامة إلا

(١) - رواه مالك في كتاب الحدود، باب جامع القطع (١٣١٨).

(٢) - رواه أبو نعيم في فضائل الصَّحابة (٢٦٣٤).

(٣) - رواه مسلم في باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١٧٣).

وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له»<sup>(١)</sup>.

٣- وعن عمر رضي الله عنه أنه فرض لأسماء بن زيد ثلاثة آلاف وخمسة مائة، وفرض لعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف، فقال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضلت أسماء علي؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد قال: «لأنَّ زيداً كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيك، وكان أسماء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، فأثرت حبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حبي»<sup>(٢)</sup>.

ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك. قال: لا، بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس وبدأ به<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وآله نزل عليه، فنزل النبي صلى الله عليه وآله في السفلى وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: السفلى أرفق. فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي صلى الله عليه وآله في العلو وأبو أيوب في السفلى، فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وآله طعاماً فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وآله فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه فقال أحرام هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ولكني أكرهه. قال: فإني أكره ما تكره أو ما كرهت<sup>(٤)</sup>.

٥- وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وآله كيف كان حبكم لرسول الله

(١) - رواه البخاري في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٥٢٩).

(٢) - رواه الترمذي في باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه، (٣٧٤٩) واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب. ورواه الحاكم في المستدرک (٦٤٣٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) - تاريخ الطبري ٣: ١٠٩، والكامل في التاريخ ١: ٤٢٨.

(٤) - رواه مسلم في باب إباحتها أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه (٣٨٢٨).



ﷺ؟ قال: «كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ»<sup>(١)</sup>.

٦- وعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر قال للنبي ﷺ: «والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه، وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر ﷺ أنه قال للعباس: «فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما ذاك إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم»<sup>(٣)</sup>.

٧- وعن إسماعيل بن محمد قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: «كل مصيبة بعدك جلل»<sup>(٤)</sup>.

٨- وعن الشعبي قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقال: «لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أنني أتيتك فأراك لظننت أنني سأموت، وبكى الأنصاري، فقال له النبي ﷺ: ما أبكاك؟ قال: «ذكرت أنك ستموت وتموت فترفع مع النبيين، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك»، فلم يخبره النبي ﷺ بشيء، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) - ذكره القاضي عياض في الشفا ٢: ٢٢.

(٢) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٦٦: ٣٢٧.

(٣) - جزء من حديث طويل رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٧٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٧١١٥).

(٤) - رواه ابن إسحاق، والبيهقي في دلائل النبوة (١١٩٣)، والطبراني في تاريخه ٢: ٢١٠. قال ابن هشام: الجليل يكون من

القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل. سيرة ابن هشام ٢: ٩٩.

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ  
وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ النساء، فقال له النبي ﷺ: (أبشر) <sup>(١)</sup>.

● - كما ضربوا أروع الأمثلة في سرعة استجابتهم لله ورسوله ﷺ، وتمسكهم بما  
أمروا به، ومن ذلك إصرار أبي بكر على تنفيذ جيش أسامة الذي أمر به النبي ﷺ، فعن  
عروة قال: لما بويع أبو بكر ﷺ وجمع الأنصار في الأمر الذي افرقوا فيه، قال: لیتم بعث  
أسامة وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق واشربت  
اليهود والنصارى والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم  
وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد  
انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال أبو بكر: والذي  
نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول  
الله ﷺ ولو ليطق في القرى غيري لأنفذته <sup>(٢)</sup>.

وكان قرار أبي بكر هذا في خروج الجيش فيه أعظم مصلحة لأمة محمد ﷺ، لولا  
أن الله من عليها بأبي بكر لما نالتها، قال الحافظ ابن كثير: فكان خروجه في ذلك الوقت  
من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربوا  
منهم وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة <sup>(٣)</sup>.

وعن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر  
ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك <sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٧٠).

(٢) - رواه الطبري في تاريخه ٢: ٤٦١.

(٣) - البداية والنهاية ٦: ٣٠٤.

(٤) - رواه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٢٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر  
الأسود في الطواف (٣١٢٦).

قال الحافظ ابن حجر: وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه <sup>(١)</sup>.

وقال إسماعيل الأصفهاني رحمه الله: ومن مذهب أهل السنة: أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله، فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا، لا يتصرف في شيء منها برأيه وهو <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم رحمه الله: إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت نبينا وآمنت بما جاء، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها بسبب عدم معرفته، وقد كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن ذلك؟ ولم فعل ذلك؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام <sup>(٣)</sup>.

وحدث أبو قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا وفينا بشير بن كعب فحدثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله». قال أو قال: «الحياء كله خير». فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينه ووقاراً لله ومنه ضعف. قال: فغضب عمران حتى احمرت عيناه وقال: «ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه».

قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير فغضب عمران قال: فما زلنا نقول

(١) - فتح الباري ٣: ٤٦٣.

(٢) - الحجّة في بيان المحجّة ٢: ٤٣٥.

(٣) - الصواعق المرسلّة ٤: ١٥٦٠.

فيه إنه منا يا أبا نجيذ إنه لا بأس به <sup>(١)</sup> .

وعن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة قالت: وذكرت نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلاً ، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ النور: ٣١. انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته ، وعلى كل ذي قرابته ، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المُرْحَل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن يصلين وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان <sup>(٢)</sup> .

وكانوا ينكرون أشد الإنكار على من لا يعمل بسنة النبي ﷺ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم. ولا عجب في ذلك فهم الذين فارقوا المال والولد في سبيل الدين.

من ذلك: ما ورد عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنبه ابن أخ له، فحذف فيها وقال إن رسول الله ﷺ نهى عنها فقال: إنها لا تصيد صيداً ولا تنكي عدواً، وإنما تكسر السن وتفقد العين. قال: فعاد ابن أخيه فحذف، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تحذف لا أكلمك أبداً <sup>(٣)</sup> .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب. فقال النبي ﷺ إني اتخذت خاتماً من ذهب فنبذته وقال: إني لن ألبسه أبداً. فنبذ الناس خواتيمهم <sup>(٤)</sup> .

---

(١) - رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١٦٦) وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الحياء (٤٧٩٨)، وابن منده في الإيمان (١٧٨)، والطبراني في الكبير (٥٥٣) والبخاري في مسنده (٣٥٩١).

(٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨: ٢٥٧٥، وأبو داود مختصراً في كتاب اللباس، باب قوله: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ﴾ (٤١٠٤).

(٣) - رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الحذف (٥١٦٥) ابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغلب على من عارضه (١٧)، والدارمي في سنته (٤٤٧)، والبيهقي في الآداب (٣٦٨) والحميدي في مسنده (٩٢٨) والحاكم في المستدرک (٧٨٦٧).

(٤) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ (٦٨٦٨).

وعن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اجلسوا، فجلس في الطريق فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأنك؟ فقال سمعتك تقول: اجلسوا، فجلست فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: زادك الله طاعة <sup>(١)</sup>.

وممن عرف باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة: عمرو بن الأسود، فعن ضمرة بن حبيب، أن عمرو بن الأسود، مر بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو سائر إلى الشام، فدخل على عمر، فلما خرج من عند عمر قال عمر: «من أحب أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليُنظر إلى هدي عمرو بن الأسود» <sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، قال: حج عمرو بن الأسود، فلما انتهى إلى المدينة نظر إليه عبد الله بن عمر وهو قائم يصلي، فسأل عنه، فقيل: «رجل من أهل الشام يقال له عمرو بن الأسود»، فقال ابن عمر: «ما رأيت فتى أشبه صلاة ولا هدياً ولا خشوعاً ولا لبسة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الرجل» <sup>(٣)</sup>.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا، وأسر كلمة خفية قال: ولا تسألوا الناس شيئاً). فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه <sup>(٤)</sup>.

● - ومن سرعة استجابتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ البقرة:

(١) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣: ٢١١، (٥٣٦٧).

(٢) - رواه أحمد في المسند مختصراً (١١٥)، وعبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا (٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥: ٤١٤، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٢٥٢.

(٣) - رواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٣٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥: ٤١٣.

(٤) - رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، (٢٤٥٠).

٢٤٥. قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي. قال: وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك قال: اخرجي فقد أقرضته ربي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وعن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ فكانت عنده ما كانت، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، ثم خطبها مع الخطّاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها، فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً آخر ما عليك، قال: فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعْلِها، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٢. فلما سمعها معقل قال: سمعاً لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزوجك وأكرمك<sup>(٢)</sup>.

● - وقد كان من أدب الصحابة مع نبيهم ﷺ أنهم يدعونه بقولهم: يا رسول الله، استجابة لأمر الله تعالى في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور: ٦٣. وقد كان الصحابة يقرعون باب رسول الله ﷺ بالأظافر أدباً منهم مع رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك: أن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠: ٣٣٣٩، والطبري في تفسيره ٥: ٢٨٤، (٥٦٢٠)، والطبراني في الكبير (٧٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٥٢)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٩٨٦).

(٢) - رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، (٤٨٣٧)، وقال الترمذي: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، ففي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن. اهـ.

(٣) - رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٣٠).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على نفر من أسلم يتتصلون فقال النبي ﷺ (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان)، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ (ارموا فأنا معكم كلكم) <sup>(١)</sup>.

ذكر المهلب أنهم أمسكوا لكون النبي ﷺ مع الفريق الآخر خشية أن يغلبوهم فيكون النبي ﷺ مع من وقع عليه الغلب فأمسكوا عن ذلك تأدباً معه.

وقال الحافظ ابن حجر: وقد وقع في رواية حمزة بن عمرو عند الطبراني: فقالوا: «من كنت معه فقد غلب»، وكذا في رواية ابن إسحاق: فقال نضلة: «لا نغلب من كنت معه»، وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ <sup>(٢)</sup>.

وعن ضرار بن مرة قال: «كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء». قال إسحاق: فرأيت الأعمش إذا أراد أن يتحدث وهو على غير وضوء <sup>(٣)</sup> .  
تيمم .

وقال شعبة: كان قتادة لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارة <sup>(٤)</sup> .



(١) - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (٢٧٤٣).

(٢) - باختصار من فتح الباري ٦: ٩٢.

(٣) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٥٣).

(٤) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٥٦).

## المبحث السابع: حرص الصحابة على اجتماع الأمة ووحدها

كان الصحابة حريصين كل الحرص على التزام الجماعة والبعد عن الفرقة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة، والجماعة فإنهما حبلى الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الطاعة، والجماعة خير مما تحبون في الفرقة، وإن الله عز وجل لم يخلق شيئاً إلا جعل له نهايةً ينتهي إليها، وإن الإسلام قد أقبل له ثبات، وإنه يوشك أن يبلغ هيبته ثم يرتد، وينقص إلى يوم القيامة، وآية ذلك أن تكثر الفاقة، ويقطع الأرحام، حتى لا يجد الفقير من يعود عليه، وحتى يرى الغني أنه لا يكفيه ما عنده، وحتى إن الرجل ليشكو إلى أخيه، وابن عمه، ولا يعود عليه بشيء، وحتى إن السائل ليمشي بين الجمعتين ما يوضع في يده شيء، حتى إذا كان ذلك حارت الأرض حورة لا يرون أهل كل ساحة إلا أنها حارت بساحتهم، ثم تهدأ عليهم ما شاء الله، ثم تفجأهم الأرض تقيء أفلاذ كبدها» قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما أفلاذ كبدها؟ قال: «أساطين ذهب، وفضة، فمن يومئذ لا ينتفع بذهب، ولا فضة إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

● - ومن أهم ما يؤكد حرصهم على وحدة الأمة واجتماعها:

١- مسارعة الصحابة إلى مبايعة الخليفة: فلا شك أن مبايعة الإمام أصل عظيم من أصول اجتماع الأمة فلا يكون الاجتماع على الكتاب والسنة إلا بإمام يقيم الأمة على ذلك، ويكون موثلاً لأهل الرأي والشورى ومفزعاً للجميع من الفرقة والخلاف. وقد كان شأن الإمامة أول أمر فكر به المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، ولذلك قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم، لأن أي تسويق وتأخير في ذلك يترك الناس دون مرجع فيتصرف كل منهم بما يشاء، وما يحلو له وما يؤديه إليه اجتهاده كما ذهب الأنصار واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار الإمام منهم، ثم أجمع الصحابة أمرهم على

(١) - رواه الطبراني في الكبير (٨٩٧٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٣٩) و (١٨١)، وأبو نعيم في الحلية ٩: ٢٤٩، وقال

الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد وفيه مجالد وقد وثق وفيه خلاف، وبقية رجال إحدى الطرق ثقات. مجمع الزوائد ٧: ٣٢٨.



اختيار أبي بكر الصديق، وخاف أبو بكر أن تقع الخلافات والفتن بين الناس إن لم يقبل الخلافة فقد بين الصديق ﷺ سبب قبوله للبيعة فقال: «لقد بايعوني وقبلتها منهم، وتحوّفت أن تكون فتنة، وتقع بعدها ردّة لو رفضت البيعة»<sup>(١)</sup>.

وخطب أبو بكر ﷺ الناس واعتذر إليهم وقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية ولكنني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان إلا بتقوية الله ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني عليها اليوم». فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به وقال علي والزبير رضي الله عنهما: «ما غضبنا إلا لأننا أخرجنا عن المشاورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف شرفه وكبره ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»<sup>(٢)</sup>.

وكان الصّحابة يعظّمون أمر الخليفة ويحترمون اجتهاده، حتى إن عمر الفاروق ليجادل الصديق في قتال المرتدين ويقول له: كيف تقاتل قوماً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون فيقول له: لأقاتلن من فرق بين الصّلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. وهنا يقول عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

فقد أذعن عمر ورجع إلى رأي الصديق واجتهاده؛ لأنه يعلم أن الله سبحانه قد طهر قلب الصديق، فلا ينشرح صدره إلى باطل.

وهكذا كان موقف عمار ﷺ مع الخليفة عمر في قضية التيمم، فعن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال إني أجنب فلم أجد ماء. فقال لا تصل. فقال

(١) - البداية والنهاية ٥: ٢٤٧.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ١٥٢، وفي الاعتقاد (٣٢٩)، والحاكم في المستدرک (٤٣٩٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت. فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك». فقال عمر: اتق الله يا عمار. قال: إن شئت لم أحدث به. فقال عمر ﷺ: بل نوليك ما توليت<sup>(١)</sup>.

**٢- طاعة ولي الأمر بالمعروف،** فعندما قال النبي ﷺ «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل يا رسول الله: أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولا تكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»<sup>(٢)</sup>.

وقد أوصى عبادة بن الصامت في مرضه بما بايع النبي ﷺ عليه من السمع والطاعة فعن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب التيمم (٨٤٦). قال الإمام النووي: معناه قال عمر لعمار: اتق الله تعالى فيما ترويه وتثبت. فلعلك نسيت، أو اشتبه عليك الأمر. وأما قول عمار: (إن شئت لم أحدث به) فمعناه والله أعلم: إن رأيت المصلحة في إمساكي عن التحديث به راجحة على مصلحة تحديتي به أمسكت، فإن طاعتك واجبة علي في غير المعصية، وأصل تبليغ هذه السنّة وأداء العلم قد حصل، فإذا أمسك بعد هذا لا يكون داخلاً فيمن كتم العلم. ويحتمل أنه أراد إن شئت لم أحدث به تحديثاً شائعاً بحيث يشتهر في الناس، بل لا أحدث به إلا نادراً. والله أعلم. صحيح مسلم بشرح النووي ٢: ٨٥.

(٢) - رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (٤٩١٠) عن عوف بن مالك الأشجعي.

(٣) - رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها) (٦٦٤٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٤٨٧٧).

وعن زر بن حبيش قال: لما أنكر الناس سيرة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فزع الناس إلى عبد الله بن مسعود فقال لهم عبد الله بن مسعود: اصبروا فإن جور إمام خمسين عاماً خير من هرج شهر وذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا بد للناس من إمارة برة أو فاجرة فأما البرة فتعدل في القسم ويقسم بينكم فيأكم بالسوية، وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والإمارة الفاجرة خير من الهرج قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ قال: القتل والكذب<sup>(١)</sup>.

**٣- الأخذ بمبدأ الشورى:** فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران: ١٥٩، علماً أن النبي ﷺ في الأصل مستغنى عن المشورة بما كمله الله به من العقل الراجح، والبصيرة النافذة والنبوة والرسالة، ومع ذلك أمره الله بمشاورة أصحابه. وقال أبو هريرة ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، وقد ثبت عنه ﷺ أنه استشار أصحابه في السلم والحرب، وتولية الأمراء، كما استشارهم في الإفك الذي رميت به زوجته الطاهرة الشريفة أم المؤمنين، وعلى هذا سار أصحابه الكرام فكان الخلفاء لا يصدرن إلا عن شورى، ولا يفعلون إلا بعد ترو وتأنٍ ظاهر، حتى تتضح الرؤية، ويظهر السبيل، فلا ينبغي للمسلم أن يتوجه إلى العمل الذي تشبه فيه الأدلة ويضطرب فيه الرأي، وتختلف فيه العقول إلا بعد رؤية ومشورة، ورجوع إلى أهل الفضل، والرأي والتجربة ليستنير المؤمن في دينه، ويعرف المجتهد طريقه.

● - وقد تشاور الصحابة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي في اختيار الخليفة من بعده حتى استقر رأيهم على أبي بكر الصديق ﷺ، وعندما أحس أبو بكر بدنو أجله كان رأيه أن يكون عمر بن الخطاب الخليفة من بعده، فاستشار الصحابة في ذلك، فعن عبد الله البهي أن أبا بكر الصديق لما استعز به دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال عبد الرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال

(١) - رواه الطبراني في الكبير (١٠٢١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٣: ٢٤١.

(٢) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣: ٨٠١.

عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معها سعيد بن زيد أبا الأعور وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ، بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخلوتها به فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر؟ لعمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت لك من وراءك. ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله. ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب: بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحداً. فكتب عثمان: إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي ما كتبت، فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً، والله إن كنت لها لأهلاً. ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا به، قال ابن سعد: علي القائل وهو عمر، فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به وبايعوا ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه مدياً فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأبي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح لهم

وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته<sup>(١)</sup>.

● - وعندما طعنَ عمر بن الخطاب ألع الناس على الخليفة أن يستخلف، فجعل الأمر شورى في ستة من الذين فارقوا الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ، فعن عمرو بن ميمون قال: قال عمر لما حضر: ادعوا لي علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد. قال: فلم يكن أحد منهم إلا علي وعثمان فقال: يا علي لعل هؤلاء يعرفون لك قرابتك وما آتاك الله من العلم والفقه فاتق الله وإن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بني فلان على رقاب الناس وقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله ولا ترفعن بني فلان على رقاب الناس ثم قال ادعوا لي صهيباً فقال صلِّ بالناس ثلاثاً وليجتمع هؤلاء القوم وليخلوا هؤلاء الرهط فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم<sup>(٢)</sup>.

**٤- عدم الخوض في الفتن:** جمهور الصحابة لم يدخلوا في الفتنة، ولما هاجت الفتنة كان أصحاب النبي ﷺ عشرات الألوف فلم يبلغ من حضرها ثلاثين، فعن محمد بن سيرين قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضر فيها مائة بل لم يبلغوا ثلاثين»<sup>(٣)</sup>.

ولما قتل عثمان اختلفت الأمة وأتت الفتنة فاعتزلها سعد بن أبي وقاص وذهب إلى الصحراء ﷺ معه قطع غنم، وصنع بيتاً من شعرٍ -خيمةً- وسكن هناك يقرأ القرآن ويبكي، فيأتي ابنه ويقول لأبيه: مالك ترعى الضأن والناس يتقاسمون الملك؟ قال: اغرب عني والله إني أولى الناس بالخلافة وإن الخلافة أولى بي من قميصي هذا، يقول: لو

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٩٩. استعز به: أي اشتد به المرض وأشرف على الموت، يقال: عزَّ بفتح

إذا اشتد، واستعز به المرض وغيره، واستعز عليه: إذا اشتد عليه وغلبه. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٢٢٨.

(٢) - رواه الخلال في السُّنة (٣٤٢).

(٣) - رواه الخلال في السُّنة (٧٢٨).

كنت أريد الخلافة كنت أطلبها ولكني سمعت الرسول ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد  
التقي الغني الخفي) <sup>(١)</sup>.



### المبحث الثامن: العدل والمساواة بين الناس

لم يوجد حكومة في تاريخ العالم التزمت بالعدل بالقدر الذي ظهر في حكومة الإسلام، وخاصة في العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، فنتج عن ذلك سرعة انتشار الإسلام وشيوعه بين الناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وعاداتهم، ولغاتهم وأوطانهم. ولما دون عمر بن الخطاب ﷺ ديوان الجند والعطاء، شمل بالعطاء جميع رعايا الدولة الإسلامية من المسلمين بدون تمييز في الجنس أو اللون ومن احتاج من غير المسلمين. فكان لذلك أثر كبير في إقبال الناس على الإسلام.

فهذا أبو بكر ﷺ يصعد المنبر بعد أن بويع بالخلافة، فتكون خطبته تأكيداً لمعنى المساواة، ونفياً لمعنى الامتياز، فعن عروة قال: خطب أبو بكر ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكنه نزل القرآن، وسن النبي ﷺ السنن، وعلمنا فعلمنا، واعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي، وأن أعجز العجز الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق يا أيها الناس، إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن أنا زغت فقوموني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم» <sup>(٢)</sup>.

وروى عبد الرزاق عن بعض أهل المدينة، قال: خطبنا أبو بكر قال: «يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت

(١) - الحديث رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق، (٧٦٢١).

(٢) - رواه القاسم بن سلام في الأموال (٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف ١: ٢٥٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٨٢،

وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٠١.

فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت - أو قال: شاعت - الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»<sup>(١)</sup>.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولى الخلافة فيكون أكثر تمسكاً بهذه المعاني، فقد قال: «والله لوددت أني وإياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنّب قتلوه». فقال طلحة: وما عليك لو قلت وإن تعوج عزلوه، قال: لا، القتل أنكل لمن بعده<sup>(٢)</sup>.

وأعطى أبو بكر رضي الله عنه القود من نفسه، وأقاد للرعية من الولاية. وفعل عمر بن الخطاب مثل ذلك، وتشدد فيه، فأعطى القود من نفسه أكثر من مرة<sup>(٣)</sup>.

وعن عمر، أنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي القود من نفسه، وأبا بكر يعطي القود من نفسه، وأنا أعطي القود من نفسي»<sup>(٤)</sup>.

ومن تشدد عمر في هذا الباب أنه ضرب رجلاً، فقال له الرجل: إنما كنت أحد رجلين: رجل جهل فعلم، أو أخطأ فعُفي عنه. فقال له عمر: «صدقت، دونك فامتثل». أي اقتص<sup>(٥)</sup>.

وأخذ عمر الولاية بما أخذ به نفسه، فما ظلم وال رعيته إلا أقاد من الوالي للمظلوم، وأعلن على رؤوس الأشهاد مبدأه في موسم الحج، حيث طلب ولاية الأمصار أن يوافوه في الموسم، فلما اجتمعوا بيّن منهجه في ذلك، فعن أبي فراس قال: خطب عمر

(١) - رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٧٠٢) واللفظ له، ورواه عنه معمر بن راشد في جامعه (١٣١١). ورواه القاسم بن سلام

في الأموال (٦) وابن حبان في الثقات ٢: ١٥٧. ورواه ابن اسحاق في السيرة وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢٤٨: إسناده

صحيح. أريح عليه حقه: يقال: أرحت على الرجل حقه، إذا رددته عليه. الصحاح للجوهري ١: ٣٦٨.

(٢) - انظر: تاريخ الطبري ٣: ٢٨١، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٣٠.

(٣) - سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ١١٣.

(٤) - الأم ٦: ٥٣.

(٥) - الخراج لأبي يوسف: ٦٥.

بن الخطاب فقال: «ألا إني والله ما أبعث إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وستتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فو الذي نفسي بيده لأقصنه منه»، فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه؟ قال: «أي والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه، أنا لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم من حقوقهم فتكفروهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم»<sup>(١)</sup>.

وعن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب كان يأكل خبزاً بسمن، فدعا رجلاً من أهل البادية فجعل يأكل ويتبع باللقمة وضر الصفحة، فقال عمر: كأنك مقفر، فقال: والله ما أكلت سمناً ولا رأيت آكلاً به منذ كذا وكذا، فقال عمر: «لا آكل السمن حتى يحيا الناس من أول ما يحيون»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ أبو الوليد الباجي: وقول الرجل: «ما أكلت سمناً ولا رأيت آكلاً به منذ كذا وكذا»، يريد أنه لم يأكله وأن عدم ذلك عام شامل للناس، ولذلك لم ير آكلاً به المدة التي ذكرها، وقال عمر: «لا آكل السمن حتى يحيا الناس من أول ما يحيون»، يريد مساواة المساكين في ضيق عيشهم ليذكر بذلك أحوالهم ولا يغفل النظر لهم، وقد روي أن يوسف عليه السلام قيل له: أتجوع ويبيدك خزائن الأرض؟ فقال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع»<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٦٢٦، وأحمد في المسند (٢٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩: ٢٩، (١٨٣٠٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٠١١)، والطبري في تاريخه ٣: ٢٧٣، والحاكم في المستدرک (٨٤٧٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. والغياض جمع غيضة وهي الشجر الملتف لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكّن منهم العدو. لسان العرب مادة (غيض). لا تجمروهم: أي لا تبعدوهم طويلاً عن بيوتهم وأزواجهم. وقال الإمام ابن تيمية عن قول عمر: «لأقصنه منه»: ومعنى هذا إذا ضرب الوالي رعيته ضرباً غير جائز. فأما الضرب المشروع فلا قصاص فيه بالإجماع إذ هو واجب أو مستحب أو جائز. مجموع الفتاوى ٦: ٤٠٤.

(٢) - رواه مالك في كتاب الجامع، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب (٣٤٤١). قال أبو الوليد سليمان الباجي في كتابه المنتقى: وقول عمر بن الخطاب ﷺ: حتى يحيا الناس من أول ما يحيون يريد - والله أعلم - يمطرون والحياء المطر فقال: حتى الناس يحيون وإنما كان ذلك في عام الرمادة قال مالك كان الرمادة ستة أعوام. المنتقى شرح الموطأ ٤: ٣٤٠.

(٣) - المنتقى شرح الموطأ ٤: ٣٤٠.



وقال عمر رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص حين أمره على العراق: «يا سعد بن وهيب، لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقتنا عليه، فالزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام يوم الجمعة فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل تُقسَم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخِطَامَ لعلَّ الله يرزقنا جملاً، فأبى الرجل فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد دخلوا إلى الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخِطَامَ فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسَم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخِطَامَ وقال: استَقِدْ. فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر رضي الله عنه: أرضه فأمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه أن يأتيه براحلته ورَحَلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الفرات قال: كان لعثمان عبد فقال له: إني كنت عركت أذنك فاقتص مني. فأخذ بأذنه، ثم قال عثمان: «اشدد، يا حَبْدًا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

وعن طاووس وعكرمة: أن حفصة وابن مطيع وعبد الله بن عمر كلّموا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق. قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: «قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكن تركت صاحبي»

(١) - تاريخ الطبري ٣: ٤، البداية والنهاية ٧: ٤٢.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ٤٩.

(٣) - ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٢١٦. وقال: خرج ابن السمان في الموافقة.

على جادة فإن تركت جادتها لم أدركهما في المنزل»، قال: «وأصاب الناس سنة فما أكل  
عامئذ سمناً ولا سميناً حتى أحيأ الناس»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن خزيمة بن ثابت قال: كان عمر إذا استعمل رجلاً أشهد عليه رهطاً  
من الأنصار وغيرهم، يقول: «إني لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم،  
ولكني استعملتك عليهم لتقسم بينهم بالعدل، وتقيم فيهم الصلاة، واشترط عليه أن  
لا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يركب برذوناً، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس»  
(٢).

وقد حكى عن يزيد جرد بن شهر يار آخر ملوك العجم أنه بعث رسولاً إلى عمر  
بن الخطاب رضي الله عنه وأمره أن ينظر في شمائله، فلما دخل المدينة قال: أين ملككم؟ قالوا:  
ليس لنا ملك، لنا أمير خرج، فخرج الرجل في أثره فوجده نائماً في الشمس، ودرته تحت  
رأسه وقد عرق جنبه حتى ابتلت منه الأرض، فلما رآه على حالته قال: عدلت فأمنت  
فنمت، وصاحبنا جار فخاف فسهر، أشهد أن الدين دينكم ولولا أنني رسول لأسلمت،  
ولكن سأعود بعد هذا وأسلم<sup>(٣)</sup>.

وقال في ذلك حافظ إبراهيم رحمه الله:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً... بين الرعية عطلاً وهو راعيها

وعهده بمُلوك الفرس أن لها... سوراً من الجند والأحراس يحميها

رأه مستغرقاً في نومه فرأى... فيه الجلالة في أسمى معانيها

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٤٢.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦: ٤٦١، والطبري في تاريخه ٢: ٥٦٩.

(٣) - فضائح الباطنية: ٢١٢، والتبر المسبوك في نصائح الملوك: ٤، كلاهما للإمام الغزالي.

فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا ... بِبُرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا

فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يَكْبُرُهُ ... مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالذُّنْيَا بِأَيْدِيهَا

وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا ... وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلِ يَرُويهَا

أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ ... فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

لقد وعظه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بحاله أبلغ موعظة، من غير أن يتكلم معه بشيء، وهكذا يكون تعليم الناس وتربيتهم بالحال قبل المقال، بالقدوة الحسنة والسيرة الطيبة، وليست بتنميق الكلام وتحسينه من غير صدق وعمل بما يقول.



### المبحث التاسع: اهتمام الصحابة بعمارة المساجد وبنائها

عمارة المساجد لا تقتصر على البناء الحسي أو المادي، بل تشمل البناء المعنوي من ذكر الله والصلاة وسائر العبادات، ولزوم المساجد وكثرة إتيانها يقال: فلان يعمر مجلس فلان إذا كثر غشيانه إياه، وقد كانت المساجد أماكن للتعليم والعبادة والقضاء ونشر الدعوة.

وعمارة المساجد المعنوية يطالب بها كل مسلم قادر على الذهاب إليها، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ  
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ التوبة.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ﴾ يدل على العمارة بالبناء، كما يدل على العمارة بالعبادة؛ لأن باني المسجد يتقرب إلى الله تعالى ببنائه، فهو يعمر المسجد طاعة لله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدى إلى الجنة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١).

فإنما يستقيم عمارتها للجامعين للكلمات العلمية والعملية، ومن عمارتها: بناؤها، وتزيينها بالفرش، وتنويرها بالسرج، وإدامة العبادة ودرس العلم فيها، وصيانتها عما لم تبني له كحديث الدنيا (٢).

وقد حث النبي ﷺ على بناء المساجد في أحاديث كثيرة، منها عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة) (٣). وقد كان لأحاديث رسول الله ﷺ في الحث على عمارة المساجد مكانة في

(١) - رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٥٤٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة (٧٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ٣: ٦٦، وفي شعب الإيمان (٢٩٤١) والدارمي في سننه (١٢٧٠) وابن أبي حاتم في تفسيره ٦: ١٧٦٦.

(٢) - تفسير البيضاوي ٢: ٤٢٧.

(٣) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً (٤٣٩)، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل بناء المساجد والحث عليها (١٢١٧).

نفوس أصحابه، فأنشأوا المساجد وعمروها في أماكن مختلفة، ومواقع متعددة ومن ذلك:

● - **بناء أبي بكر الصديق مسجداً بفناء داره وذلك قبل الهجرة**، مما يعد أول ما بني من المساجد في الإسلام، فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار وبكرة وعشية، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناءؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين»<sup>(١)</sup>.

● - **وعمار بن ياسر بنى مسجداً يصلي فيه**، وهو أول ما بني في الإسلام بالمدينة، فقد ذكر الجراعي بعض الروايات التي تفيد أن أول من اتخذ مسجداً في بيته يصلي فيه عمار بن ياسر. وأشار إلى سبق أبي بكر لعمار في بناء المسجد، فيكون المراد أن عمار بنى أول مسجد في الإسلام بالمدينة.

عن الحكم بن عتيبة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها، فقال عمار بن ياسر: «ما لرسول الله ﷺ بد من أن نجعل له مكاناً إذا استيقظ من قائلته، استظل فيه، وصلى فيه»، فجمع عمار حجارة فسوى مسجد قباء فهو أول مسجد بني، وعمار بناه<sup>(٢)</sup>.

● - **وقد شارك الصحابة ﷺ في بناء مسجد قباء**، وهو المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ حُجَّةً الْمُطَهَّرِينَ﴾<sup>(١٠٨)</sup> التوبة. ومسجد قباء أسس بالمدينة أول يوم، فإنه بني قبل مسجد النبي ﷺ، وقد قام رسول الله ﷺ يشاركه

(١) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق (٤٦٤).

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٦٧١).

صحابته الكرام ببناء مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ أول مَنْ وضع حجراً في قبلته، ثم جاء أبو بكر فوضع حجراً إلى جانب حجر رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه إلى جنب حجر عمر، ثم قال رسول الله ﷺ: (ليضع كل رجل حجره حيث أحب) <sup>(١)</sup>.

● - **وشاركوا في بناء مسجد رسول الله ﷺ**، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قدم إلى المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا متقلدين بسيوفهم. قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب. قال: فكان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، ثم إنه أمر بالمسجد. قال: فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا فقال ﷺ: (يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا) قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قال أنس: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت قال: فصفوا النخل قبلة وجعلوا عضادتيه حجارة <sup>(٢)</sup>. ولم يكتف عمر ببناء المسجد الأقصى فقط، بل أمر ببناء مسجد عند كل كنيسة.

وقد كان الصحابة يتعاونون مع النبي ﷺ في بناء المسجد النبوي، فعن أبي سعيد في ذكر بناء المسجد قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال: يقول: عمار أعوذ بالله من الفتن <sup>(٣)</sup>.

(١) - انظر في بناء مسجد قباء: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي: ١٨٣ وما بعدها.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (٤١٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ (١٢٠١).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المساجد (٤٣٦).

وعن جابر قال: «لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ بسنين نعمر المساجد ونقيم الصلاة»<sup>(١)</sup>.

بالإضافة إلى إنشاء المساجد فقد كان للصحابة والتابعين جهود في أعمال التوسعة للمساجد القائمة، ومن هذه التوسعات:

**أولاً: المسجد الحرام:** بادر صحابة رسول الله ﷺ والتابعون إلى توسعة المسجد الحرام كلما اقتضت الحاجة لذلك، فكانت أول توسعة للمسجد الحرام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم في عهد عثمان رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير، قال المحب الطبري: اعلم أن المسجد الحرام كان صغيراً، ولم يكن عليه جدار، وإنما كانت الدور محذقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد فاشترى عمر بن الخطاب دوراً فهدمها وأدخلها فيه، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً، ثم وسع المسجد عثمان بن عفان فاشترى من قوم، ثم زاد ابن الزبير فيه، واشترى دوراً وأدخلها فيه<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً: المسجد النبوي:** كما قام صحابة رسول الله ﷺ والتابعون بتوسعة المسجد الحرام قاموا كذلك بعمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف فأول توسعة للمسجد النبوي الشريف كانت في حياة الرسول ﷺ، حينما دعا رسول الله ﷺ إلى توسعة المسجد، فبادر عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقيام بتكليف هذه التوسعة، فعن قتادة رضي الله عنه قال: كانت بقعة إلى جانب المسجد، فقال النبي ﷺ: (من يشتريها ويوسعها في المسجد وله مثلها في الجنة) فاشترها عثمان فوسعها في المسجد<sup>(٣)</sup>، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه احتاج المسجد إلى بعض الإصلاحات، فجدده أبو بكر رضي الله عنه، وفي خلافة عمر بن الخطاب قام عمر رضي الله عنه بتوسعته وبنائه سنة سبع عشرة للهجرة.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه جدده عثمان تجديداً كاملاً سنة تسع وعشرين هجرية وزاد فيه زيادة كبيرة، فزاد فيه من ناحية القبلة ومن الغرب، وزاد فيه من الشمال أيضاً، وبنى

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٣٤٥.

(٢) - انظر كتابه القرى لقاصد أم القرى: ٦٥٧.

(٣) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ٢٢٩، (٢٠٤٠٠)، ومعمربن راشد في جامعه (١٠١٣).

جداره بالحجارة المنقوشة، وطلّى الجدران بالقصة أو الجبس، وجعل عمده من الحجارة بدل اللبن، وسقفه بخشب الساج، وفتح نوافذ في أعلى الجدار قرب السقف.

### ثالثاً: المسجد الأقصى:

لا شك أن أول من بنى المسجد الأقصى بعد الفتح الإسلامي هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولقد اهتم الخلفاء والملوك ببناء المسجد الأقصى وعماراته في مختلف العصور، وبقي عامراً حتى احتله اليهود فهدموا كثيراً من المباني الإسلامية، وأحرقوا المسجد وأقاموا الحفريات حوله نسأل الله تعالى أن يخلصه من أيديهم <sup>(١)</sup>.

● - أما عمارة المساجد المعنوية، فقد عرف عن الصحابة مداومتهم وحرصهم على صلاة الجماعة، قال عبد الله بن مسعود: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق» <sup>(٢)</sup>.

وقد قام علماء الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي بالتعليم في المسجد النبوي وفي مساجد الأمصار التي فتحوها، وكان من أبرز من لازموا التعليم في المساجد عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة الدوسي، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

ومن الأخبار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا المجال ما جاء عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائماً، ويقول: حدثنا أبو القاسم رسول الله الصادق المصدوق رضي الله عنه، فلا يزال يحدث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس <sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك عن حميد بن عبد الرحمن: أن تميمًا الداري رضي الله عنه استأذن عمر رضي الله عنه في القصص سنين ويأبى عليه، فلما أكثر عليه قال: ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن

(١) - المشروع والمنوع في المسجد لمحمد بن علي العرفج: ١٧ وما بعدها.

(٢) - رواه مسلم في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى (١٥٢٠).

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک (٦٢٣٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



وأمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر، قال: عمر: ذاك الربح، ثم قال: عظ قبل أن أخرج إلى الجمعة فكان يفعل ذلك. فلما كان عثمان استزاده، فزاده يوماً آخر<sup>(١)</sup>.

وقد كثر عدد الطلاب في المساجد حتى بلغوا المئتين كما جاء في رواية عن مسلم بن مشكم قال: قال لي أبو الدرداء: أعدد من في مجلسنا، قال: فجاؤوا ألفاً وستمائة ونيفاً، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح انفتل وقرأ جزءاً فيحدقون به يسمعون ألفاظه، وكان ابن عامر مقدماً فيهم<sup>(٢)</sup>.

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد بعث أبا الدرداء إلى الشام لتعليم أهلها فاستقر بدمشق وعمر مسجدها بالتعليم.

أما في عهد التابعين ومن بعدهم فقد ازدهر التعليم في المساجد، وكانت هي دور العلم الأولى التي يقصدها طلاب العلم على مر العصور<sup>(٣)</sup>.



### المبحث العاشر: تحذير الصحابة من الفتن

عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون

(١) - سير أعلام النبلاء ٢: ٤٤٧.

(٢) - سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٤٦.

(٣) - عمارة المساجد المعنوية وفضلها لعبد العزيز عبد الله الحميدي ٦٠ وما بعدها.

بالستتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك<sup>(١)</sup>.

وعن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان. وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله ﷺ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه، وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير. وفي لفظ آخر: كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا؟ يسألونه عن فضائل الأعمال، وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا؟ فلما رأني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم.

وقد خصَّ حذيفة ﷺ بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فقد أعلمه رسول الله ﷺ المنافقين بأسمائهم وأعيانهم، ولهذا كان يسمى صاحب السر، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة ﷺ يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم، وكان عمر ﷺ يسأل عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق؟ فبرأه من ذلك، وكان عمر ﷺ إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك.

(١) - رواه البخاري في كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٦٦٧٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (٤٨٩٠).

(٢) - رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها) (٦٦٤٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٤٨٧٧).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا) وشبك بين أصابعه قال: فقامت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: (الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) <sup>(١)</sup>.

وكان سعد بن أبي وقاص ممن اعتزل عندما حدثت الفتن أيام معاوية، فعن ميمون بن مهران قال: إن سعداً لما دعوته إلى الخروج معهم أبى عليهم ثم قال: لا إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله، والمؤمن فأكف عنه، وضرب لهم مثلاً فقال: مثلنا ومثلكم كمثله قوم كانوا على محجة بيضاء، فبينما هم كذلك يسرون هاجت ريح عجاجة، فضلوا الطريق والتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتأهوا وضلوا، وقال آخرون: الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتأهوا وضلوا، وقال آخرون: كنا في الطريق حيث هاجت الرياح فنيخ فأنأخوا، فأصبحوا فذهب الريح وتبين الطريق فهؤلاء هم الجماعة. قالوا: نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه ولا ندخل في شيء من الفتن.

قال أبو سليمان الخطابي: قال ميمون: فصار الجماعة والفئة التي تدعي عليه الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن حتى أذهب الله الفرقة وجمع الألفة فدخلوا الجماعة ولزموا الطاعة وانقادوا، فمن فعل ذلك ولزمه نجا ومن لم يلزمه وقع في المهالك.

قال الشيخ أبو سليمان: وممن اعتزل تلك الفتنة فلم يكن مع واحد من الفريقين حتى انجلت محمد بن مسلمة الأنصاري وعبد الله بن عمر بن الخطاب في عدة كثيرة من الصحابة <sup>(٢)</sup>.

(١) - رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٥)، وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٥٩٢، والنسائي في السنن الكبرى ٦: ٥٩، (١٠٠٣٣)، والحاكم في المستدرک (٧٨٦٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٩٠) وابن المبارك في مسنده (٢٥٩).

(٢) - العزلة للإمام أبي سليمان الخطابي: ٢١، ومعجم ابن الأعرابي (٦٩٨)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩: ٤٩٦.

وعن عامر بن سعد قال كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعود بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي) <sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة فقال: أين تريد؟ قال: العراق، ومعه طوامير وكُتُب، فقال: لا تأتهم، فقال: هذه كتبهم ويبيعهم، فقال: إن الله ﷻ خير نبيه بين الدنيا وبين الآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله ﷻ عنكم إلا للذي هو خير لكم، فارجعوا، فأبى وقال: هذه كتبهم ويبيعهم، قال: فاعتنقه ابن عمر وقال: أستودعك الله من قتيل <sup>(٢)</sup>.

وقال عثمان ﷺ يوم الدار: «إن أعظم الناس عني غناء رجل كف يده وسلاحه» <sup>(٣)</sup>.

وعن محمد قال: «كان مع عثمان في الدار يومئذ سبعمائة لو يدعوهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجهم من أقطارها ولكن منهم ابن عمر والحسن بن علي وابن الزبير» <sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: دخلت على عثمان ﷺ يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين طَابَ أَمْ صَرَبُ؟ قال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قال:

(١) - الحديث رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق (٧٦٢١).

(٢) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢٨٠٨). وابن حبان في صحيحه (٦٩٦٨)، والآجري في الشريعة (١٦٢١)، والبلاذري في أنساب الأشراف ١: ٤١٢، والخطابي في العزلة: ٢٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤: ٢٠٢. وطوامير: جمع طامور وطومار، وهو الصحيفة. تاج العروس مادة (طمر).

(٣) - رواه نعيم بن حماد المروزي في الفتن ١: ١٦٨، (٤٣٦)، والخلال في السنة ٢: ٣٣٣، (٤٣٠).

(٤) - رواه الخلال في السنة ٢: ٣٣٣، (٤٣٢).

قلت: لا. قال: «فإنك والله لئن قتلت رجلاً واحداً لكأنما قتلت الناس جميعاً» فرجعت ولم أقاتل<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن سلام يوم قتل عثمان رضي الله عنه: «والله لا تهريقوا محجماً من دم إلا ازددتم من الله بعداً»<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن عامر: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار فقال: «أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه، فإنَّ فضلكم عني غناء من كف يده وسلاحه» ثم قال: قم يا بن عمر فأجر بين الناس فقام ابن عمر وقام معه رجال من قومه من بني عدي وبني سراقه وبني مطيع ففتحو الباب فدخل الناس فقتلوا عثمان<sup>(٣)</sup>.

فأين حكام زماننا عن هدي هذا الخليفة الراشد الذي لم يرص أن تُراق لأجله قطرة دم؟

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه لما أتاه قتل عثمان رضي الله عنه وهو مريض قال أجلسوني فأجلسوه فرفع يديه ثم قال: «اللهم إني أشهدك أني لم آمر ولم أشرك ولم أرض» يقولها ثلاث مرات<sup>(٤)</sup>.

وجمهور الصحابة لم يدخلوا في الفتنة، فلما هاجت الفتنة لم يبلغ من حضرها ثلاثين، فعن محمد بن سيرين قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما حضر فيها مائة بل لم يبلغوا ثلاثين»<sup>(٥)</sup>.



(١) - رواه نعيم بن حماد المروزي في الفتنة ١: ١٦٨، (٤٣٧). «طاب أم صرْبُ» المعنى طاب الصرْبُ وحلَّ القتال وهذه لغة حمير.

كما في غريب الحديث لابن الجوزي ٢: ٢٥.

(٢) - رواه نعيم بن حماد المروزي في الفتنة ١: ١٦٩، (٤٣٧).

(٣) - رواه نعيم بن حماد المروزي في الفتنة ١: ١٦٩، (٤٤١)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٩٤٥).

(٤) - رواه نعيم بن حماد في الفتنة ١: ١٧١.

(٥) - رواه الخلال في السنة (٧٢٨).

## الفصل التاسع

### التربية عند الصحابة

كان الصحابة يربون أولادهم على العبادة فقد كانوا يصومون أولادهم ويعطونهم اللعب ليتلهوا عن الجوع، ويصلون معهم الجمعة والتراويح والعيدين، ويؤذنون، ويحجون معهم، كل ذلك على سبيل التدريب والتعليم.

ومن التربية على العلم: أن رجلاً أتى إلى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليّ، فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرעהها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه<sup>(١)</sup>.

وللتربية أساليب ووسائل كثيرة فمنها: التربية بالقدوة، والتربية بالموعظة، والتربية بالعقوبة، والتربية بالقصة.

**التربية بالقدوة:** كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بسلوك الرسول ﷺ، وكان النبي ﷺ يطلب منهم محاكاته والأخذ عنه كما قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقال: (خذوا عني مناسككم)<sup>(٢)</sup>.

هكذا ارتبطت التربية والتعليم في الإسلام من البداية بالقدوة الحسنة.

وكان الخلفاء الراشدون قدوةً حسنة للناس، فعن قيس العجلي قال: لما قدم بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده على عمر قال: إن أقواماً أدوا هذا لذو أمانة، فقال علي **عليه السلام**: «إنك عفت فعفت الرعية»<sup>(٣)</sup>.

وعن سعيد بن أبي بردة قال: كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد، إن أسعد الرعاة من سعدت به رعيتّه، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيتّه، وإياك أن

(١) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٩٦، وأحمد في الزهد (٨٧٤)، وابن المبارك في الزهد والرفائق (٣٨)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٣٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ١٣٠.

(٢) - سبق تخريج الحديثين.

(٣) - رواه الدارقطني في فضائل الصحابة (١٩)، والطبري في تاريخه ٣: ١٢٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٤٣.

ترتعَ فيرتعَ عمَّالكُ، فيكون مثلك عند الله مثلُ البهيمة، نظرت إلى خُصرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السَّمَن، وإنما حَتَّفُها في سَمَنِها، والسَّلام عليك»<sup>(١)</sup>.

وكان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهل بيته فقال: «إني نهيت الناس كذا وكذا، وإن الناس لينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأيم الله ! لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت له العقوبة ضعفين»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «والناس إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع في شيء مما نهيت عنه الناس إلا أضعفت له العقوبة لمكانه مني، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر»<sup>(٣)</sup>.

وقد أوصى أبو بكر الصديق أحد عماله عمرو بن العاص بأن يتقي الله ويصلح نفسه حتى تصلح رعيته، فعن عبد الله بن أبي بكر قال: لما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو بن العاص وخرج أبو بكر الصديق يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول: «يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك، فكن من عمال الآخرة، وأرد بما تعمل وجه الله، وكن والدًا لمن معك، ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم، وكن مجداً في أمرك، واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تجبن وتقدم في الغلول، وعاقب عليه، وإذا وعظت أصحابك فأوجز، وأصلح نفسك تصلح لك رعيته» في وصية له طويلة وعهد عهده إليه يعمل به<sup>(٤)</sup>.

كما كان من التابعين من يلزم أحد الصَّحابة للاهتداء بهديه، والاقتراء به، فعن معاوية بن قرة - وهو تابعي - قال: كنت مع معقل المزني فأماط أذى عن الطريق فرأيت شيئاً فبادرته فقال: ما حملك على ما صنعت يا ابن أخي؟! قال: رأيتك تصنع شيئاً

(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٤٧، وأبو نعيم في الحلية ١: ٥٠.

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢٦٨ (١١٠).

(٣) - رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ٣٤٣، (٢٠٧١٣)، ومعمر بن راشد في جامعه (١٣٢٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٦٨.

(٤) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢: ٦٦.

فصنعتة، قال: أحسنت يا ابن أخي، سمعت النبي ﷺ يقول: (من أَمَاط أذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة، ومن تقبلت له حسنة دخل الجنة) <sup>(١)</sup>.

وقال قبيصة: «كان ابن مسعود أشبه الناس برسول الله ﷺ»، يعني: في هديه وسمته. وكان ابن سيرين يقول: «اللهم أبقني ما أبقيت ابن عمر أقتدي به».

**أما التربية بالموعظة،** فمواظب الصَّحابة كثيرة جداً، منها عن علي قال: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقلُّ عمل في تقوى وكيف يقلُّ ما يتقبل؟» <sup>(٢)</sup>.

ووعظ علي بن أبي طالب ابنه الحسن، فعن عقبة بن أبي الصهباء قال: لما ضرب ابن ملجم علياً دخل عليه الحسن وهو باك فقال له: ما يبكيك يا بني؟ قال: ومالي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا. فقال: «يا بني احفظ أربعاً وأربعاً، لا يضررك ما عملت معهن»، قال: وما هن يا أبت؟ قال: «إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب الكرم وحسن الخلق». قال: قلت: يا أبت هذه الأربع، فأعطني الأربع الآخر، قال: «إياك ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه» <sup>(٣)</sup>.

وكان عبد الله بن مسعود يعظ بين الحين والآخر، حتى لا يمل الناس من الموعظة، عن شقيق قال: كنا جلوساً عند باب عبد الله ننتظره فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي فقلنا أعلمه بمكاننا فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال: «إني

(١) - رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٠٢).

(٢) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٧٥، والبيهقي في الزهد الكبير (٧١٦).

(٣) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٦١.



أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعدة في الأيام مخافة السامة علينا»<sup>(١)</sup>.



---

(١) - رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعدة، (٧٣٠٥).

## الفصل العاشر

### منهج الصحابة في العلم والتعليم

**المبحث الأول:** ترغيب الصحابة بالعلم وأدبهم فيه

**المبحث الثاني:** الجمع بين تعلم العلم والعمل به

**المبحث الثالث:** تعلم لغة الأعداء

**المبحث الرابع:** منهج الصحابة في السؤال عن العلم

### المبحث الأول: ترغيب الصحابة بالعلم وأدبهم فيه

عن أبي الطفيل قال: كان علي يقول: «إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به، ثم يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، يعني محمداً ﷺ والذين اتبعوه، فلا تغيروا، فإنما ولي محمد من أطاع الله، وعدو محمد من عصى الله، وإن قربت قرابته»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الدرداء: «تعلموا العلم قبل أن يفتقر إليكم، فإن أعبد الناس رجل عالم، إن احتيج إليه نفع بعلمه، وإن استغني عنه نفع نفسه بالعلم الذي جعله الله عنده، فما مال علمائكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ فلو أن العالم أراد أن يزداد علماً لازداد وما نقص العلم شيئاً، ولو أراد الجاهل أن يتعلم لوجد العلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قرينة، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخلق تقتص آثارهم، وينتهي إلى رأيهم، وترغب الملائكة في حبهم، بأجنتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر،

(١) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٢٠٩).

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٧٩).

حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله ﷻ، وبه يعبد الله ﷻ، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»<sup>(١)</sup>

وقال جابر بن عبد الله: «ينبغي للعالم أن يغسل قلبه كما يغسل الرجل ثوبه من النجس»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حازم: «لا تكون عالماً حتى تكون فيك ثلاث خصال: لا تبغي على من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنياً»<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخطئون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً ولا ضاحكاً ولا حديداً»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله، وعليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم. عليكم بالعلم، وإياكم

(١) - ذكره الآجري في أخلاق العلماء: ٢٤. ورواه الخطيب في جامع بيان العلم مرفوعاً (٢١٩)، وقال: هكذا حدثني أبو عبد الله عبيد بن محمد رحمه الله مرفوعاً بالإسناد المذكور وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفاً.

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤٢).

(٣) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤٦)، والدارمي في سننه (٢٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢: ٥٨.

(٤) - رواه أحمد في الزهد (٩٠١)، واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٥٩)، وابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٣٠٥، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٣)، وأبو داود في الزهد (١٧٣) والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٥١)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٩٥).

والتبذع والتنطع، والتعمق، وعليكم بالعتيق»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدرکت عشرين ومائه من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدثه حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مسعود: «لا تعلموا العلم لثلاث: لتهاروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله فإنه يدوم ويبقى، وينفذ ما سواه»<sup>(٣)</sup>.

وقال معاذ بن جبل: «اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا، فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو الدرداء: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالماً لا ينتفع بعلمه»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عباس: «تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها». وقال أبو هريرة: «إني لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث أنام، وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول الله ﷺ»<sup>(٦)</sup>.

وقال الشعبي: أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء<sup>(٧)</sup>.

وقال أبي بن كعب: «تعلموا العلم واعملوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به؛ فإنه

---

(١) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٩١)، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٢٥٢، (٢٠٤٦٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠٠)، والدارمي في سننه (١٤٥)، وابن وضاح في البدع (٦٠)، والمروزي في السنة (٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٨٤٥). والتنطع هو: التكلف والمغالاة والتعمق في القول أو الفعل، والتعمق: المبالغة في الأمر والتشدد فيه.

(٢) - سبق تخريجه.

(٣) - رواه الدارمي في سننه (٢٦١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٨٠٦).

(٤) - رواه الدارمي في سننه (٢٦٦)، وابن المبارك في الزهد (٦١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٠١).

(٥) - رواه الدارمي في سننه (٢٦٨).

(٦) - رواه الدارمي في سننه (٢٧٠).

(٧) - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٥٥٠).

يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه»<sup>(١)</sup>.  
وقال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا يقول تعلموا العلم ما دتم صغارا قبل أن  
تصيروا سادة رؤساء».

وعن علي عليه السلام قال: «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا  
نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه»<sup>(٢)</sup>.

وقال شقيق: كنا جلوساً عند باب عبد الله نتظره فمر بنا يزيد بن معاوية  
النخعي فقلنا أعلمه بمكاننا فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال: «إني  
أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السامة علينا»<sup>(٣)</sup>.



### المبحث الثاني: الجمع بين تعلم العلم والعمل به

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار  
والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن تعلموه العلم، ولا تكونوا  
جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم»<sup>(٤)</sup>.  
وقال أيضاً: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن  
تعلمون ولتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم

(١) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٠٠).

(٢) - تذكرة السامع ص ١٠.

(٣) - رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة، (٧٣٠٥).

(٤) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤١)، وفي المدخل إلى السنن الكبرى (٥١٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله

(٦٣٢) وفيه: فلا يقوم جهلكم بعلمكم.

بجهلكم»<sup>(١)</sup>.

وقال جابر رضي الله عنه: «تعلموا الصمت، ثم تعلموا الحلم، ثم تعلموا العمل بالعلم، ثم انشروا»<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه»<sup>(٣)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقة، فيباهي بعضهم بعضاً، حتى أن أحدهم ليغضب على جلسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «مثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً»<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من تعلّم علماً لا يعمل به لم يزد العلم إلا كِبَراً»<sup>(٧)</sup>.

وقال رضي الله عنه: «تعلّموا، تعلّموا، فإذا علمتم فاعملوا»<sup>(٨)</sup>.



(١) - رواه أحمد في الزهد (٦٣٦)، ووكيع في الزهد (٢٦٩)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٣٤)، والخطيب في الجامع

لأخلاق الراوي (٤٢)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٤٨).

(٢) - رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤٣).

(٣) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٠٤).

(٤) - رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣١).

(٥) - رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٢).

(٦) - رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٦).

(٧) - الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني ٨٧٥ / ٢.

(٨) - جامع بيان العلم وفضله.

## المبحث الثالث: تعلم لغة الأعداء

عن خارجة بن زيد أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة قال زيد: ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ، وقال: (يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي) قال زيد: «فتعلمت كتابهم، ما مررت بي خمس عشرة ليلة حتى حذفته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب<sup>(١)</sup>.

وقال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله ﷺ: أتحسن السريانية؟ فقلت: لا. قال: (فتعلمها، فإنه يأتيها كتب) فتعلمتها في سبعة عشر يوماً قال الأعمش: كانت تأتيه كتب لا يشتهي أن يطلع عليها إلا من يثق به<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر بن قيس: «كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفه عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته، قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين»<sup>(٣)</sup>.



(١) - رواه أحمد في المسند (٢١٦١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٣٠٢.

(٢) - رواه الحاكم في المستدرک (٥٨٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٧١٣٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٧١٩)، وابن أبي داود في المصاحف: ٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩: ٣٠٣.

(٣) - رواه الحاكم في المستدرک (٦٣٩٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٦٧٧)، وفي حلية الأولياء ١: ٣٣٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨: ٢١٥.

## المبحث الرابع: منهج الصحابة في السؤال عن العلم

كان الصحابة ينهون عن السؤال عما لم يقع، عن عامر قال: سئل عمار بن ياسر عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: دعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم<sup>(١)</sup>.

وقال الزهري: بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم قد كان حدث فيه بالذي يعلم والذي يرى، وإن قالوا لم يكن قال: فذروه حتى يكون<sup>(٢)</sup>.

وقال عمير بن إسحاق: لمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم، فما رأيت قوماً أيسر سيرة ولا أقل تشديداً منهم<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سأله إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن منهن: (يسألونك عن الشهر الحرام) (ويسألونك عن المحيض) قال: ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم<sup>(٤)</sup>.

وقال الزهري: بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم قد كان، حدث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا: لم يكن، قال: فذروه حتى يكون<sup>(٥)</sup>.

(١) - رواه الدارمي في سننه (١٢٥).

(٢) - رواه الدارمي في سننه (١٢٤).

(٣) - رواه الدارمي في سننه (١٢٨).

(٤) - رواه الدارمي في سننه (١٢٧).

(٥) - رواه الدارمي في سننه (١٢٤).



قال ابن عبد البر: السُّؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله، فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العي السُّؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره، قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظر، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد، فإذا عرضت نازلة أتيت من بابها، ونشدت في مظانها، والله يفتح في صوابها<sup>(١)</sup>.

والسرُّ في هذا التشديد والله أعلم يرجع إلى أمور منها:

١- أن الفتيا فيها غير لازمة في الأصل، فليست أمراً واقعاً لا يمكن الإعراض عنه، وخاصة إذا لم يكن ثمة نص بين لدى المسؤول. وحيث كان خيار هذه الأمة يتدافعون الفتيا ويتخرجون منها ويحذرونها؛ كان إعراضهم عن الافتراضات العقلية يمت بأقوى سبب إلى ذلك، ويتضح هذا من الكلمة التي عبر بها عمار رضي الله عنه وهي قوله: «تجشمناها» فالمسألة عويصة تحتاج إلى تجشم.

ومثله قول أبي بن كعب رضي الله عنه لمن سأله عن أمر لم يقع: «فأجّلني حتى يكون، فنعالج أنفسنا حتى نخبرك»، فالأمر إذاً يحتاج معالجة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ومن ثم كره جماعة من السلف السُّؤال عما لم يقع؛ لما يتضمن من التكلف في الدين والتنطع، والرجم بالظن من غير ضرورة»<sup>(٢)</sup>. وذلك أن المسألة الواقعة تكون الفتيا فيها واجبة وجوباً عينياً أو كفاًياً بحسب اختلاف الأحوال، فيجتهد فيها من وجبت عليه الفتيا ما وسعه الاجتهاد، ثم هو بعد مأجوراً أصاب أو أخطأ.

أما ما لم يقع، وليس إلى الوقوع بسبيل، ولا يترتب على الكلام فيه نتائج عملية؛ فالحزم والدين الإعراض عنه، خاصة إذا لم يكن ثم دليل، أو كانت الأدلة فيه ظاهرها التعارض، ولا مرجح لدى الباحث واضحاً.

(١) - تفسير القرطبي ٦: ٣٣٣.

(٢) - فتح الباري ١١: ٣٠٧.

٢- ومنها: أنه نوع من استعجال البلاء قبل نزوله، وقصة سؤال الرجل رسول الله ﷺ عن زنا الزوجة، وما تلا ذلك برهان في ذلك، ففي رواية مسلم: أن عويمراً العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: رأيت يا عاصم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فسل لي عن ذلك يا عاصم رسول الله ﷺ، فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ.

فالفأل الطيب محمود ممدوح، والشؤم والتشاؤم ممقوت مذموم. وهي من أعظم براهين فقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وتسديد الله لهم بإيمانهم وصدقهم وصلاتهم؛ فإن القضية إذا وقعت اختلفت في كثير من جوانبها عن القضية المتخيلة المفترضة، والواقع دائماً يعدل الفرضيات.

ولعله مما يخرج عن طوق البشر - مهما أوتوا من اليقظة والبصيرة، ومهما رصدوا من الأسباب والمقدمات - أن يتصوروا القضايا التي يفترضونها كما هي في واقع الحال دون أن يطرأ عليها زيادة أو نقص أو اختلاف! والمرء حين يجتهد في مسألة واقعة يكون مدرّكاً لها إدراكاً متعلقاً بالواقع، محيطاً بجميع جوانبها وأبعادها وتفصيلاتها، عارفاً لملاساتها ووسائل الخلاص منها، فهو في هذه الحال واقف على أرض صلبة، يعرف مداخلها ومخارجها؛ ولذلك يقول الأصوليون: «الحكم على الشيء فرع عن تصوّره».

والله سبحانه يوفق ويعين، من يتصدى مضطراً للبحث المخلص في مسألة قائمة، ممن يملك القدرة على ذلك. ومما يؤيد ذلك ما جاء في قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله؛ لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد، وإذا قال وفق».

ولكن مما ينبغي أن يعلم أن هذه الكراهة المأثورة عن السلف ليست على إطلاقها، بل هي فيما لا فائدة فيه، ولا يحتاج إليه؛ بل ربما كان سبباً للتفرق والاختلاف،

وضياع الأعمار، وإهدار العقول، وربما جر إلى ضرر وفساد. ولذلك يقول الإمام النووي رحمه الله تعليقاً على حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في سؤال عاصم بن عدي: المراد كراهة المسائل التي لا يحتاج إليها، لا سيما ما كان فيه هتك ستر مسلم، أو مسلمة، أو إشاعة فاحشة، أو شناعة على مسلم أو مسلمة.

قال العلماء: أما إذا كانت المسائل مما يحتاج إليه في أمور الدين وقد وقع، فلا كراهة فيها، وليس هو المراد في الحديث، وقد كان المسلمون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأحكام الواقعة، فيجيبهم ولا يكرهها. وإنما كان سؤال عاصم في هذا الحديث عن قصة لم تقع بعد، ولم يحتج إليها، وفيها شناعة على المسلمين والمسلمات، وتسليط اليهود والمنافقين ونحوهم على الكلام في أعراض المسلمين، وفي الإسلام؛ ولأن من المسائل ما يقتضي جوابه تضييقاً، وفي الحديث الآخر: (أعظم الناس حوباً من سأل عما لم يحرم، فحرم من أجل مسألته).

**والخلاصة:** أن ما دعت الحاجة لدراسته، من الأمور الواقعة أو المتوقعة، مما يحتاج إلى معرفة حكمه قبل وقوعه استعداداً له، أو من الأمور الاختيارية التي يفعلها الفرد أو الجماعة بإرادتهم، وبإمكانهم أن يفعلوها أو لا يفعلوها أو ما شابه ذلك؛ فهذا كله مما تدعو الضرورة إلى بحثه، ومعرفة ما ظهر من حكم الإسلام فيه، والله أعلم <sup>(١)</sup>.



(١) - ضوابط للدراسات الفقهية للشيخ سلمان العودة: ٢٩.

## الفصل الحادي عشر

### فتوحات الصحابة ونشرهم للإسلام

تابع الصحابة ﷺ الجهاد في سبيل الله لنشر هذا الدين في أرجاء الأرض، فانتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً تحقيقاً لوعده الله تعالى لعباده المؤمنين بالتمكين في الأرض، وكان لانتصارات الصحابة وكثرة فتوحاتهم أسباب وعوامل أدت إلى نجاحهم في دعوتهم إلى الله، ونشر الدين الإسلامي ومن أهم تلك الأسباب:

**١- الالتزام والتمسك بالدين الإسلامي،** فقد كان الجيش الإسلامي داعية بسلوك قاداته وأفراده في أقوالهم وأعمالهم، وقد تميزوا بالتمسك بالعقيدة، والالتزام أحكام دينهم. تدفعهم العقيدة للجهاد، والرغبة في إنقاذ الأمم والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وكان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله والتقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا، والإخلاص وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذنوب؛ لأن ذلك من أسباب وعوامل انتصارهم، فقد كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الجنود: «أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيذة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شر منا، فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً، وأسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، وأسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم، وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم على منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع، وأقم ومن معك في كل

جمعة يوم وليلة، حتى تكون لهم راحة يجيئون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحداً أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة ابتليت بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت لأرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خيره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم. وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلال، لا تخص بها أحداً يهوى، فيضيع من أمرك ورأيك أكثر مما حايت به أهل خاصتك، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة ونكاية. فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتته، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها، فتصنع بعدوك كصنعه بك. ثم أذك أحراسك على عسكريك، وتيقظ من البيات جهديك، ولا تؤتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه، لترهب بذلك عدو الله وعدوك، والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان»<sup>(١)</sup>.

وقال اللواء الركن محمود شيت خطاب: لقد أحصيت عدد القادة الفاتحين، فكانوا «٢٥٦» قائداً عربياً مسلماً منهم «٢١٦» من صحابة رسول الله ﷺ، و«٤٠» من التابعين عليهم رضوان الله وكل القادة المنتصرين بعد الفتح الإسلامي كانوا متدينين غاية التدين، فمن أين جاء المستعمرون بفرية التناقض بين التدين والعسكرية؟!<sup>(٢)</sup>.

(١) - العقد الفريد ١: ٣٧، ونهاية الأرب ٢: ٢١٥.

(٢) - من مقال: الرسالة العسكرية للمسجد لمحمود شيت خطاب في مجلة البحوث الإسلامية ٢: ٤٦٥.

وعن جبير بن نفيير قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض ورأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى <sup>(١)</sup>.

ومن التزامهم وتمسكهم بالدين: الأمانة التي كانوا عليها، فعن أبي عبيدة العنبري قال لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: «أما والله لولا الله ما أتيتكم به». فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: «لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني، ولكنني أحمد الله وأرضى بثوابه». فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس <sup>(٢)</sup>.

وعن قيس العجلي قال: لما قدم بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده على عمر قال: «إن أقواماً أدوا هذا لذو أمانة»، فقال علي عليه السلام: «إنك عفتت فعفت الرعية» <sup>(٣)</sup>.  
**ومن تمسكهم بالدين: العدل في القضاء،** كما في قصة علي عليه السلام مع النصراني التي سبق ذكرها في (الفصل الرابع: القضاء عند الصحابة).

ولما انسحب المسلمون من حصص في خطة عسكرية محكمة لمواجهة القوات البيزنطية في اليرموك، أعادوا الجزية لأهل حصص، مخالفين كل ما يتوقعه الناس من جند ينسحب عن مدينة إذ يعمل فيها الخراب والتدمير، فدهش أهلها، فقال لهم المسلمون: «قد شغلنا عن نصرتكم، والدفع عنكم، فأنتم على أمركم»، فقالوا: «لولايتكم وعدلكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم».

قال سعيد بن عبد العزيز: بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حصص ما كانوا أخذوا منهم من

(١) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ٢١٦، وسعيد بن منصور في سننه (٢٦٦٠)، وأحمد في الزهد (٧٧١)، وأبو إسحاق الفزاري في السير (٣٧)، والطبري في تاريخه ٣: ٣١٨.

(٢) - رواه الطبري في تاريخه ٣: ١٢٨، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٦: ١٢.

(٣) - رواه الدارقطني في فضائل الصحابة (١٩)، والطبري في تاريخه ٣: ١٢٨، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٤٣.

الخراج وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم. فقال أهل حمص: «لولايتكم وعدلكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم»<sup>(١)</sup>.

**٢- الاعتزاز بدين الإسلام،** فعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة وأخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذا الحال، قال: فقال عمر: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره»<sup>(٢)</sup>.

**٣- الثقة واليقين بنصر الله،** فعن أبي هريرة، قال: شهدت مؤتة فلما رأنا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحريير والذهب، فبرق بصري. فقال لي ثابت بن أقرم: ما لك يا أبا هريرة؟ كأنك ترى جموعاً كثيرة، قلت: نعم، قال: تشهد معنا بدرأ، إنا لم نصر بالكثرة<sup>(٣)</sup>.

وقبل معركة اليرموك الحاسمة بين المسلمين والروم قال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، فقال خالد: «ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنهما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر -يعني فرسه- براء من توجييه وأنهم أضعفوا في العدد»<sup>(٤)</sup>.

«ومعنى ذلك أن الجيش ليس بعدده وعدده بقدر ما هو بمعنوياته، والجيش الذي لا يتحلَّى بالمعنويات العالية لا قيمة له في الحرب، والفئة القليلة ذات المعنويات العالية، تغلب الفئة الكثيرة ذات المعنويات المنهارة.

وقد كان نابليون بونابارت يقول: قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوي ثلاثة على واحد، أي أن تكون ٧٥٪ في الناحية المعنوية و ٢٥٪ في الناحية المادية. وقد

(١) - رواه البلاذري في فتوح البلدان ١: ١٦٢.

(٢) - رواه ابن أبي شيبه في المصنف ٨: ٣٩، والحاكم في المستدرک (١٩٥)، وهناد بن السري في الزهد (٨١٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٤.

(٣) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٦٩٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢: ١٣، والواقدي في المغازي: ٧٦١. والكراع: اسم لجميع الخيل، وعدة الحرب. والديباج: هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحريير الرقيق.

(٤) - تاريخ الطبري ٢: ٥٩٤، والكامل في التاريخ ١: ٣٩٣، والبدایة والنهاية ٧: ١٣. والوجا: أن يشتكي البعير باطن خفه والفرس باطن حافره ووجي الفرس بالكسر وهو أن يجرد وجعاً في حافره فهو وجج والأنثى وججاء، يقال وججت الدابة توجج وججاً. انظر لسان العرب مادة (وجج).

أيد نابليون في رأيه هذا كبار القادة العسكريين في الماضي والكثير من القادة العسكريين في الوقت الحاضر.

غير أن اللواء (فولر) في كتابه (الأسلحة والتاريخ) خالف نابليون نظراً لابتكار الأسلحة النووية والهيدروجينية، وللتحسينات الهائلة التي طرأت على القذائف الموجهة وعلى وسائل قذف هذه الأسلحة وعلى أساليب استعمالها.

وليس هناك شك في أن الأسلحة الحديثة، ذات تأثير في الناحية المادية للجيش الحديثة، إذ جعلت نسبة هذه الناحية بالنسبة للناحية المعنوية ٥٠٪ لكل منهما. أي أن الناحية المعنوية لا تزال ذات قيمة عظيمة، حتى ظهور الأسلحة الجهنمية الحديثة، وأن المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملاً حاسماً من عوامل النصر.

وفي الحروب القديمة، أي الحروب التي خاضتها الدول قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كان الجيش في كل دولة هو المسؤول الأول والأخير عن إحراز النصر<sup>(١)</sup>.

وورد في نهج البلاغة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استشار علياً رضي الله عنه عند انطلاقه لقتال فارس وقد جمعوا للقتال، أجابه: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله تعالى الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على موعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ النور: ٥٥. وتلا الآية، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر في الإسلام مكان النظام من الخرز فإن انقطع النظام تفرق الخرز، ورب متفرق لم يجتمع، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحي بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انقضت عليك من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت

(١) - من مقال: الرسالة العسكرية للمسجد لمحمود شيت خطاب في مجلة البحوث الإسلامية ٢: ٤٧٦.



من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة»<sup>(١)</sup>.  
وأيضاً في النهج لما استشار عمر بن الخطاب علياً رضى الله عنهما في الخروج إلى غزوة الروم، قال: «وقد توكل الله لهذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر العورة، والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حي لا يموت، إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن كانت الأخرى، كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين».

**٤- تأييد الله للصحابة،** وقد سبق الكلام على هذا في الفصل الثاني (من الباب الأول): مناقب الصحابة ومآثرهم.

#### **٥- شجاعة الصحابة ﷺ وصبرهم وتحملهم الشدائد:**

لقد بعث رسول الله ﷺ على أشد حال في فترة وجاهلية، فعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أننا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب فجعلت أعجب ما قال إلا خيراً، ثم أقبل عليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كَبَّهَم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله ﷻ إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، فتصدقون بما جاء به نبيكم ﷺ، قد كفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي قط، في فترة وجاهلية ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق به بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه بالإيمان، ويعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في

(١) - نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢٥٧.

النار، وإنما للتي قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ  
أَعْيُنٍ﴾ الفرقان: ٧٤<sup>(١)</sup>.

١- فهذا طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي ﷺ لما كان يوم أحد أبلى طلحة فيه  
بلاء حسناً، وبأيع رسول الله ﷺ على الموت، وحماه من الكفار واتقى عنه النبل بيده حتى  
شلت إصبعه، ووقاه بنفسه<sup>(٢)</sup>.

ولما انهزم الناس يوم أحد، كان طلحة فيمن ثبت، ونهض رسول الله ﷺ إلى  
صخرة ليعلوها فلم يستطع، فحمله طلحة فأنهضه حتى استوى عليه، فقال رسول الله  
ﷺ: أوجب طلحة.

وقال طلحة: لما كان يوم أحد وحملت النبي ﷺ حتى صيرته على الصخرة،  
فاستتر بها من المشركين، فقال لي هكذا، وأوماً بيده وراء ظهره: هذا جبريل يخبرني أنه لا  
يراك يوم القيامة في هول إلا أنقذك منه. ولما وقاه يوم أحد بيده ضرب المشرك يد طلحة  
فقال: حس، فقال النبي ﷺ: (لو قلت بسم الله لحملتك الملائكة، أو قال: لطارت بك  
الملائكة، والناس ينظرون إليك)<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة وأم إسحاق ابنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين  
جراحة وقع منها في رأسه شجة مربعة وقطع نساها يعني عرق النسا وشلت أصبعه  
وسائر الجراح في سائر جسده وقد غلبه الغشي ورسول الله ﷺ مكسورة ربايعيته  
مشجوج في وجهه قد علاه الغشي وطلحة محتمله يرجع به القهقري كلما أدركه أحد من  
المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب<sup>(٤)</sup>.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله

(١) - رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٧)، وأحمد (٢٣٨٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ١٧٥.

(٢) - الوافي بالوفيات للصفدي ٥: ٢٩٤.

(٣) - الوافي بالوفيات للصفدي ٥: ٢٩٤.

(٤) - مختصر تاريخ دمشق ١: ١٥٥١.

لطلحة ! ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، وأراه قال: حمية، قال: فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحب إلي، وبينني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتبهنا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه، وقد دخل في وجته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: (عليكما صاحبكما) يريد طلحة. وقد نزع، فلم نلتفت إلى قوله.

قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزم عليها بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني. قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقع ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة ﷺ من أحسن الناس هتماً! فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبغه، فأصلحنا من شأنه<sup>(١)</sup>. وقال قيس بن أبي حازم: رأيت يد طلحة شلاء وقي بها رسول الله ﷺ يوم أحد.

وعن موسى بن طلحة أن طلحة رجع بسبع وثلاثين أو خمس وثلاثين بين ضربة وطعنة ورمية، وقع فيها جبينه، وقطع فيها نساها، وشلت إصبغه التي تلي الإبهام<sup>(٢)</sup>.  
٢- وقال أبو إسحاق: لما أسلم عكرمة بن أبي جهل أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله لا أنزل مقاماً قمته لأصد به عن سبيل الله إلا قمت مثله في سبيل الله تعالى ولا أترك نفقة أنفقتها لأصد عن سبيل الله إلا أنفقت مثلها في سبيل الله ﷺ. قال: فلما كان يوم اليرموك نزل فترجل فقاتل قتالاً شديداً، فقتل رحمة الله عليه فوجد به بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه أبو داود الطيالسي في مسنده في أحاديث أبي بكر الصديق (٦)، وأبو نعيم مختصراً في معرفة الصحابة (٣٥٢).

(٢) - رواه ابن المبارك في الجهاد (٩٢)، وأبو نعيم في الحلية ٤: ٣٧٢، والحاكم في المستدرک (٤٢٨١) وقال: صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه. ورواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٥: ٧٩.

(٣) - رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٣٣٤، وابن أبي شيبه في المصنف (٣٣٨٣٩).

٣- وقال أبو رافع: وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة رضي الله عنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا له: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت. قال: إذن أقتلك، قال: أنت وذاك. فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ثم أمر به أن يلقي فيها، فلما ذهب به بكى، فقيل له إنه قد بكى فظن أنه جزع، فقال: ردوه فعرض عليه النصرانية فأبى، قال: فما أبكاك إذن؟ قال: أبكاني أني قلت في نفسي: تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى في الله، قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي، فدنا منه فقبل رأسه فدفع إليه الاسارى فقدم بهم على عمر فأخبر عمر بخبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر فقبل رأسه <sup>(١)</sup>.

٤- وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال: (يا أبا بكر إنا قليل)، فلم يزل يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد وكل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى

(١)- أخرجه البيهقي وابن عساكر كما في كنز العمال ١٣: ٤٩١.

المسلمين يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، ونزا على وجه أبي بكر حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تميم تتعادي، فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه ولا يشكُّون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالوه بألستهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به وألحت عليه، جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنَفًا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: فأين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى دخل على النبي ﷺ، قالت: فانكب عليه فقبله وانكب عليه المسلمون، ورق رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أمي برة بوالديها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم دعاها إلى الله ﷻ فأسلمت، فأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وكان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ﷺ.

٥- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحي. قال: فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال: أما علمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رجله واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر قد صبأ. قال يقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: وثاروا إليه قال: فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناهم لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه جبة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر بن الخطاب، قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكانا كانوا ثوباً كشف عنه. قال عبد الله: فقلت لأبي بعد أن هاجرنا إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنا بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي <sup>(١)</sup>.

٦- وقال أبو الأسود: أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً <sup>(٢)</sup>.

يقول خباب وقد اكتوى يومئذ سبع كيات في البطن لمعالجة أذى مولاته، حيث كانت تطرحه على الأسياخ المحماة، فلا يطفئها إلا شحم ظهره إذا سال عليها، يقول: «لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت، لدعوت بالموت» <sup>(٣)</sup>.

٧- وقال حفص بن خالد: حدثني شيخ قدم علينا من الموصل قال: صحبت

(١) - رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٣٧٢)، وابن إسحاق في سيرته ١: ١٦٠.

(٢) - رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٥)، وفي الخلية ١: ٨٩، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٩).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٠٦٦).

الزبير بن العوام في بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر، فقال: استرني، فسترته فحانت مني إليه التفاتة، فرأيته مجدعاً بالسيوف، قلت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط، قال: وقد رأيت ذلك؟ قلت: نعم، قال: «أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ﷻ»<sup>(١)</sup>.

٨- وقال الشعبي: سأل عمر ﷺ بلائاً عما لقي من المشركين، فقال خباب ﷺ: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري. فقال عمر: ما رأيت كالיום. قال خباب: «أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودكُ ظهري»<sup>(٢)</sup>.

٩- وقال أبو طلحة: «شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين»<sup>(٣)</sup>.

وقال علي ﷺ: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإنَّ صدقتي اليوم لأربعون ألفاً»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: وإنَّ صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو هريرة ﷺ: أتت علي ثلاثة أيام لم أطمع فيها طعاماً فجئت أريد الصفة فجعلت أسقط، فجعل الصبيان ينادون: جن أبو هريرة قال: فجعلت أناديهم وأقول: بل أنتم المجانين حتى انتهينا إلى الصفة فوافقت رسول الله ﷺ أتت بقصعة من ثريد فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها فجعلت أتطاول كي يدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة فوضعها على

(١) - رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٠٨)، وفي الحلية ١: ٩٠، والحاكم في المستدرک (٥٥٥٠).

(٢) - رواه أبو نعيم في الحلية ١: ١٤٤.

(٣) - رواه الترمذي في باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٧١).

(٤) - رواه أحمد في مسنده (١٣٦٧) في مسند علي بن أبي طالب.

(٥) - رواه أحمد في مسنده (١٣٦٨) في مسند علي بن أبي طالب.

أصابه ثم قال لي: (كل باسم الله) فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت  
(١).

١٠- وفي غزوة مؤتة يقول عروة: فاقتل الناس قتالاً شديداً حتى قتل زيد بن  
حارثة، ثم أخذ الراية جعفر، فقاتل بها حتى قتل (٢).

ولما قاتل جعفر قطعت يده والراية معه لم يلقها؛ قال رسول الله ﷺ: (إن الله  
جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة) (٣).

ولما قتل وجد به بضع وسبعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح كلها  
فيما أقبل من بدنه، وقيل: بضع وخمسون والأول أصح.

١١- وفي غزوة ذات الرقاع يقول أبو موسى الأشعري ﷺ: خرجنا مع رسول  
الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي،  
وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الحرق، قال: «فسميت غزوة ذات الرقاع لما  
كنا نعصب على أرجلنا من الحرق» (٤).

١٢- وفي غزوة تبوك عطش الصحابة عطشاً شديداً، فعن ابن عباس رضي الله  
عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب ﷺ: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: «خرجنا  
إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى  
إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرّحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع، حتى إن  
كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده»، فقال أبو بكر

(١) - رواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٣٣).

(٢) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٦٩٨).

(٣) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٧١١).

(٤) - رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (٣٨١٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذات

الرقاع (١٤٩).



الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله سبحانك قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا، قال: أتحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر <sup>(١)</sup>.

١٣- ويوم اليرموك يروي حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه: أن الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياش بن أبي ربيعة، خرجوا يوم اليرموك حتى أثبتوا، فدعا الحارث بن هشام بقاء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال: ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش، فقال: ادفعه إلى عياش، فما وصل إلى عياش حتى مات، فما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا <sup>(٢)</sup>.



---

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٣٥٧، والحاكم في المستدرک (٥٢٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤٠٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٠١).

(٢) - رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٨٩١). وانظر في تحملهم الشدائد: حياة الصحابة ١: ٢٦٣ وما بعدها.

## الفصل الثاني عشر

### الإدارة عند الصحابة رضي الله عنهم

#### المبحث الأول: وجوب تأمير الأمير

لا يمكن لمجتمع صغير أو كبير أن ينجح ويحقق أهدافه بدون أمير، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) <sup>(١)</sup>، وذلك ليكون قوله فاصلاً عند النزاع، ولذلك أعطاه الشرع حق الطاعة ولو كانت في أمر تكرهه النفس كما في حديث: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».

وقال الإمام ابن تيمية: فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم كان ذلك تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك <sup>(٢)</sup>، وعندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم سارع الصحابة في تعيين الخليفة حتى قدموه على دفنه.



#### المبحث الثاني: الشورى

ويدل على هذا حديث ميمون بن مهران أن أبا بكر الصديق كان إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع

(١) - رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم (٢٦١٠).

(٢) - مجموع الفتاوى ٢٨: ٦٥.

إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا ﷺ. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من النبي ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: «كان القرءاء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً» <sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرخ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين. فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إنَّ عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه). قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف <sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه الدارمي في سننه، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١٦٣) واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١١٤.

(٢) - رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٣١) (٤٣٦٦).

(٣) - رواه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٣٩٧)، ومسلم في السَّلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (٥٩١٥).

ولما بعث عمر رضي الله عنه جيشاً إلى العراق وأمر عليهم أبا عبيدة الثقفي أمره أن يستشير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب <sup>(١)</sup>. وعليه أن يقصد الكبار وذوي الخبرة في الاستشارة، قال علي رضي الله عنه: «رأي الشيخ خير من مشهد الغلام» <sup>(٢)</sup>. وشاور أبو بكر الصّحابة وأهل الرأي فيمن يكون خليفة من بعده كما سبق بيانه.



### المبحث الثالث: النصيحة

ولذا كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يبدؤون حكمهم بطلب التقويم عند الخلل والخطأ، فلما بايع الصّحابة أبو بكر تكلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: «فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني» <sup>(٣)</sup>. وأما عمر فكانت خطبته الافتتاحية لخلافته مركزة على ذلك ومما جاء فيها: «وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم..» <sup>(٤)</sup>.

**تقريب كبار الناس لكونهم أشجع على النقد:** ولأن النقد من كبار المجتمع أولى بالاهتمام من غيره، فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «بلغني أنك تأذن للناس جماً غفيراً، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة» <sup>(٥)</sup>.

(١) - البداية والنهاية ٧: ٣٢.

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١١٣، تهذيب الرياسة: ١٨٨.

(٣) - رواه القاسم بن سلام في الأموال (٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف ١: ٢٥٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٨٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٠١.

(٤) - الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة للدكتور حزام المطيري: ٢٠٦. نقلاً عن الرقابة الإدارية لعبدالعزیز بن سعد الدغيش: ٢٤.

(٥) - الرقابة الإدارية لعبدالعزیز بن سعد الدغيش: ٢٦.



## المبحث الرَّابِع: الرقابة

مارس النَّبي ﷺ الرقابة على عماله، فعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: (فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً) <sup>(١)</sup>.

وقد سلك الصَّحابة من بعده هذه الطريقة، فكان أبو بكر يمارس الدور الرقابي بنفسه على عماله، وأما عمر فقد طور آلية الرقابة الإدارية، إذ كان مهتماً بهذا الأمر أشد الاهتمام، فقد قال يوماً لجلسائه: «أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته فعدل، أكنت قضيت ما علي؟» قالوا: نعم، قال: «لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا» <sup>(٢)</sup>، فاستشعاره للمسؤولية جعله يراها من واجبات الإمام، وليست الرقابة لمرة أو مرات ثم تقف، بل هي رقابة دائمة، حتى لا يقل العمل، أو يحصل تجاوزات فيه.

كما كان يرسل المفتش العام محمد بن مسلمة للرقابة على الولاية وتفحص شكاوى الرعية والتحقق منها وممارسة التحقيق مع الولاية، ومن أشهر ما روي في ذلك تحقيقه في شكوى بعض أهل العراق ضد واليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكذا تحقيقه في شكوى بعض أهل دمشق ضد واليهم سعيد بن عامر رضي الله عنه <sup>(٣)</sup>.

ومن سياسته لولياته أنه ينظر في مال الوالي قبل الولاية، ويسجله في سجل، ثم ينظر ما زاد بسبب الولاية فيأخذ نصفه لبيت المال ونصفه للوالي ولو كان كسبه للمال

(١) - رواه البخاري في كتاب الخيل، باب احتيال العامل ليهدى له (٦٥٧٨).

(٢) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨: ١٦٣، (١٧٠٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٣٢٦، (٢٠٦٦٥).

(٣) - الإدارة الإسلامية للدكتور أدهم: ٣١٩، نقلاً عن الرقابة الإدارية لعبد العزيز الدغيش: ١٥.

بطريق حلال، وسبب ذلك أن الناس يجابون الوالي لأجل ولايته، فجعلهم كأنهم مشاركون لبيت المال، وهذا من فقهه العجيب<sup>(١)</sup>.

وكان لعمر رغبة في عمل جولة تفتيشية في جميع البلاد التي تحت سلطته، فقد قال عمر: «لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشام فأقيم شهرين، وبالجزيرة شهرين، وبمصر شهرين، وبالبحرين شهرين، وبالكوفة شهرين، وبالبصرة شهرين، والله لنعم الحول هذا»<sup>(٢)</sup>.

وخطب عمر رضي الله عنه الناس فقال: «والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه»<sup>(٣)</sup>.

كما كان عمر رضي الله عنه يراقب سلوك عماله، ويحاسبهم إذا رأى ما يقدر في عدالتهم، فقد بلغه أن أحد عماله يتمثل بأبيات فيها مدح للخمر، فعزله<sup>(٤)</sup>.

وعندما تكلم دعاة الفتنة في ولاة عثمان سعيًا للتمرد عليه، اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي أتانا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي. قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم من الناس إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس

(١) - الرقابة الإدارية لعبد العزيز الدغشير: ١٥.

(٢) - رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٧١، وابن شبة النميري في تاريخ المدينة ٣: ٨٢١، وذكره الكامل في التاريخ ١: ٤٧١. وانظر التراتيب الإدارية ١: ٢٦٧.

(٣) - الكامل في التاريخ ١: ٤٧١، التراتيب الإدارية ١: ٢٦٧.

(٤) - السياسة الشرعية لابن تيمية: ٩٦، وانظر: الإدارة الإسلامية: ٣٥٦.

والله ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، ألا إن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم<sup>(١)</sup>.  
وأما علي فقد كتب للأشتر النخعي حين ولاه على مصر، وأمره بالاهتمام بالرقابة على العمال، ففي كتابه له: «ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموارهم جدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية»<sup>(٢)</sup>.

وكتب عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة أن «ابعث إلي بفضل الأموال التي قبلك من أين دخلت..»<sup>(٣)</sup>. وهذه النماذج لطريقة مراقبة الأداء، تعتبر مثلاً للدولة المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها.

والرقابة الذاتية أيضاً لها دور كبير في نجاح الأعمال، قال عمر بن الخطاب حاثاً على المراقبة الذاتية ومحاسبة النفس: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون - أو قال: أيسر - لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»<sup>(٤)</sup>.



### المبحث الخامس إعطاء كل ذي حق حقه

ومن أفضل ما يبين ذلك ما حصل بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنه عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كُلْ، فإنِّي صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم،

(١) - مقتل الشهيد عثمان للمالقي: ٩٧، نقلاً عن الرقابة الإدارية لعبد العزيز الدغثير: ١٧.

(٢) - الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة للدكتور حزام المطيري: ٢١٣، نقلاً عن الرقابة الإدارية لعبد العزيز الدغثير: ١٧.

(٣) - المرجع السابق ص ١٧.

(٤) - أسد الغابة ٢: ٣٢٨.

فقال له سلمان: نَم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصلياً. فقال: إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه فأتيا النبي ﷺ فذكر ذلك فقال له: صدق سلمان <sup>(١)</sup>.

**ومن ذلك: التوسط في الأمور،** عن عمر أنه كان يقول: لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير تجبر ولين في غير وهن <sup>(٢)</sup>.

**ومن الإدارة الناجحة: عدم التقصير في أداء حقوق العمال،** والمبادرة بإعطاء الحقوق المالية وعدم تأخيرها قال ﷺ: (أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) <sup>(٣)</sup>، وقال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما لما راجعه في تولية الصحابة في الولايات العامة: «أما إذا فعلت فأغنهم بالعمالة (أي بالأجر الجزيل) عن الخيانة» ومن حكمة عمر بن عبد العزيز أنه كان يوسع على عماله في النفقة، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار. وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين، فقيل له: لو أنفقت على عيالك، كما تنفق على عمالك؟ فقال: «لا أمنعهم حقاً لهم، ولا أعطيهم حقاً غيرهم» <sup>(٤)</sup>.



### المبحث السادس: تدوين الدواوين

لم تدع الحاجة في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد أبي بكر لتدوين الدواوين والكتابة الحسابية أو المالية، فالزكاة والغنائم والفيء كانت توزع أولاً بأول، دون حاجة إلى تدوين وعمليات حسابية، ولم يكن هناك بيت مال للمسلمين، ولا مرتبات ولا جيوش ثابتة ولا غيرهما مما يحتاج إلى تدوين.

(١) - رواه البخاري في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (١٨٦٧)، وفي كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف (٥٧٨٨).

(٢) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٢٥٤.

(٣) - رواه ابن ماجه في كتاب الرهون، باب أجر الأجراء (٢٤٤٣)، عن عبد الله بن عمر مرفوعاً، والبيهقي في السنن الصغرى (٢٢٥٤)، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) - عمر بن عبد العزيز للحافظ ابن كثير: ٩٠، نقلاً عن الرقابة الإدارية لعبد العزيز بن سعد الدغيش: ٣٩.



أما في عهد عمر فقد تغيّرت الأحوال نتيجة الأمور التي استجدت، وخاصة بعد الفتوحات الإسلاميّة، وكثرة الأموال والمسلمين من عرب وغيرهم، وإنشاء الجيش النظامي، وبالتالي فرض المرتبات الثابتة للولاة والعمال والجيش، وتنظيم العطاء على المسلمين، مما دفع عمر إلى تنظيم أمور الدولة المترامية التي أصبح لها واردات ومنصرفات، فاقتضت هذه الحياة الجديدة إنشاء الدواوين<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الماوردي: والديوان: موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب، واختلف الناس في سبب وضعه له، فقال قوم: سببه أن أبا هريرة قدم عليه بهال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو؟ فقال: لا أدري فصعد عمر المنبر فحمد الله - تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدداً، فقام إليه رجل، فقال يا أمير المؤمنين: قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً لهم، فدون أنت لنا ديواناً.

وقال آخرون بل سببه أن عمر بعث بعثاً، وكان عنده الهرمزان فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل وآجل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديواناً فسأله عن الديوان حتى فسره لهم<sup>(٢)</sup>.

فكان عمر أول مَنْ دَوَّنَ الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم الأعطية من الفيء.

(١) - الإدارة الإسلاميّة في عهد عمر للدكتور فاروق: ١٥٩.

(٢) - الأحكام السلطانية: ٣٩٥. وحديث أبي هريرة رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٦١٣ باختلاف يسير.

ومعنى أنه دوّن الدواوين أي أنشأها على مثال دواوين الفرس والروم، وقد  
دونها له عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نهاء قريش  
(١).



### المبحث السابع: إدارة الوقت

أكدت السنّة النبويّة على أهمية الوقت وقيّمته، وأن الإنسان مسؤول عنه، فقد  
قال النبي ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ  
عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) (٢).

والنبي ﷺ أوصى باغتنام الأوقات فقال: (اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ  
هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ  
مَوْتِكَ) (٣).

وقد عرف الصّحابة الهدف الأساسي الذي خلقوا من أجله فعملوا له وحرصوا  
على أوقاتهم، وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم حريصين أشد الحرص على  
الانتفاع بأوقاتهم واغتنامها واستثمارها، فقد كانوا يسابقون الساعات ويبادرون  
اللحظات ضنّاً منهم بالوقت، وحرصاً على أن لا يذهب منهم سدى.

**ومن إدارة الوقت: إعطاء كل وقت ما يناسبه،** فكانوا يعطون كل ذي حق حقه،  
فمن ذلك: أن عثمان كان لا يثقل على أحد من خدمه وعبده، فلا يوقظ أحداً منهم من  
نومه ليساعده في الوضوء وغيره، لأن الليل وقت الراحة، فعن عبد الله الرومي قال:

(١) - نظام الحكم والإدارة لعلي منصور: ٢٩١ نقلاً عن الإدارة الإسلاميّة: ١٥٩. وانظر تفاصيل هذه الدواوين في الإدارة  
الإسلاميّة: ١٦٠ وما بعدها.

(٢) - رواه الترمذي في باب في القيامة (٢٤١٧).

(٣) - رواه النسائي في السنن الكبرى ١٠: ٤٠٠، (١١٨٣٢)، والحاكم في المستدرک (٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٢:  
٤٧٦، (٩٧٦٧).

كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه، قال: فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، فقال: لا، الليل لهم يستريحون فيه<sup>(١)</sup>.

**ومن ذلك: عدم تأخير الأعمال عن وقتها،** وفعل كل عمل في وقته، عن الحسن قال: كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد، فإن القوة في العمل أن لا تؤخر عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلم تدرؤا بأبيها تأخذون، فأضعتم، وإن الأعمال مؤداة إلى الأمير ما أدى الأمير إلى الله **عَلَيْكَ**، فإذا رتع الأمير رتعوا»<sup>(٢)</sup>.

وعن الضحاك قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: «أما بعد فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلم تدرؤا أيها تأخذون فأضعتم، فإذا خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الدنيا تفتني وإن الآخرة تبقى، كونوا من الله على وجل، وتعلموا كتاب الله فإنه ينباع العلم وربيع القلوب»<sup>(٣)</sup>.

وعن زبيد قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر فقال: «إني موصيك بوصية: إن الله حقاً في الليل لا يقبله في النهار، وإن الله حقاً في النهار لا يقبله في الليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وتحت ميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وتحت ميزان لا يوضع فيه يوم القيامة إلا الحق أن يكون ثقيلاً»<sup>(٤)</sup>.



(١) - رواه أحمد في الزهد (٦٨٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩: ٢٣٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٦٠. والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٢٥٣.

(٢) - رواه القاسم بن سلام في الأموال (٧).

(٣) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ٢٦٦.

(٤) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨: ١٤٥، ٥٧٤، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٠٦)، وفي حلية الأولياء ١: ١٨، وأبو داود في الزهد (٢٨) وهناد بن السري في الزهد (٤٩٠) وأبو بكر بن الخلال في السنّة (٣٤٥)، والآجري في الشريعة (١١٨١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٤١٢.

## المبحث الثامن: تحمل المسؤولية

عن عمر رضي الله عنه قال: «لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه»<sup>(١)</sup>، وقد بين عمر للناس موقفه من الولاية فقال: «أنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل الصفح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>.



## المبحث التاسع: اكتشاف القدرات

فعندما أراد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أن يفتح الشام وتأخر النصر استشار أصحابه ثم قال لمجلس الشورى: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»<sup>(٣)</sup>.  
ولما أحسَّ أبو بكر بقرب أجله اختار أن يكون الخليفة من بعده هو عمر بن الخطاب، فقال قائل له: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: «اللهم استخلفت عليهم خير أهلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٣٠٥، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٥٦. وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١: ٤٦٤.

(٢) - النظم الإسلامية لصبحي الصالح نقلاً عن الإدارة الإسلامية في عهد عمر: ٢١٣.

(٣) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢: ٨٤، والطبري في تاريخه ٢: ٦٠٣.

(٤) - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١٩٩.

وعندما طعن عمر بن الخطاب جعل الأمر شورى في ستة من خيرة أصحاب النبي ﷺ، من الذين فارقوا الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ﷺ.

ولما وليَّ عمر بن الخطاب سعيد بن عامر الجمحي على حمص، اشتكى أهلها، ثم تبين له صحة اختياره لهذا الوالي، قال خالد بن معدان: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجمحي، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه - وكان يقال لأهل حمص: الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال -، قالوا: نشكوا أربعاً، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال: وعظيمة، وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة، وماذا؟ قالوا: يَغْظُ الغنظة بين الأيام. فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفيل رأبي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يخبث ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله ﷻ. قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجفّ ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال: ما تشكون منه، قالوا: يَغْظُ الغنظة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا، أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ يشتك بشوكة ثم نادى يا محمد. فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أوّمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله ﷻ لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنظة فقال عمر: «الحمد لله الذي لم يفيل

فراستي»، فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادماً، ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين<sup>(١)</sup>.

وكان يفرض لعماله وأمراء الجيوش والقرى في العطاء على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور حتى لا يكون لأي منهم عذر، فلا تمتد يده لغير حقه<sup>(٢)</sup>. وكان يحصي أموال العمال والولاة قبل الولاية ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية مما لا يدخل في عداد الزيادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لا يقبل منهم دعواه وكان يقول لهم: إنما بعثتكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً.

---

(١) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٢٤٥، وابن الجوزي في المنتظم ٢: ٣٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١: ١٦١. والغنظ: هو أن يشرف على الهلكة. وفي الصحاح: وكان أبو عبيدة يقول: الغنظ: هو أن يشرف على الموت من الكرب ثم يفلت منه. تاج العروس مادة (غنظ).

(٢) - الخراج: ٥٥.

## المبحث العاشر: حسن الاختيار للولاية

فمن أهم أسس الإدارة الناجحة معرفة كيفية الاستفادة من قدرات الرجال ومواهبهم، والعلماء تقول: «دَلَّ على عاقل اختياره»، وقالوا: «اختيار الرجل من وفور عقله»، وقال بعضهم: «شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من عقله، واختياره قطعة من علمه»<sup>(١)</sup>.

وقد كان عمر رضي الله عنه دقيق النظر في اختياره لولاية الأمصار، وكانت الكفاءة عنده هي أساس تولية العمل، من غير نظر إلى شيء آخر من عبادة أو زهد فقد كان يقول: «أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم»<sup>(٢)</sup>.

فلم يعين والياً إلا بعد اختبارات واسعة، وبعد أن يسأل عنه ويتأكد من صلاحيته، وكان يشترط عليه ألا يغلق بابه دون حوائج الناس<sup>(٣)</sup>.

وكان لا يولي عملاً لرجل يطلبه وكان يقول في ذلك: من طلب هذا الأمر لم يعن عليه، وقد سار على هذا النهج اقتداء بسنة الرسول إذ قال لطالب عمل: إنا لا نستعين على عملنا بمن يطلبه.

وكان لا يولي أحداً لا يرحم، قال محمد بن سلام الجُمَحي: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً على عمل، فرأى عمر رضي الله عنه يقبل صبياً له، فقال: تقبله وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أنا ما فعلته. فقال عمر رضي الله عنه: فما ذنبي إن كان قد نزع من قلبك

(١) - ذكر هذه الأقوال هارون بن المنجم في كتابه: «البارع» في أخبار الشعراء المولدين، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان ٦:

.٧٨

(٢) - ذكره إبراهيم البيهقي في المحاسن والمساوي: ١٦٤، والآبي في نشر الدر ١: ١١١، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ١:

.١٠٩

(٣) - الخراج لأبي يوسف: ١٣٩.

الرحمة؟ إن الله لا يرحم من عباده إلا الرُّحماء. قال: ونزعه عن عمله، وقال: أنت لا ترحم ولدك، فكيف ترحم الناس؟<sup>(١)</sup>.

كانت للفاروق طريقة متميزة في اختيار قادة الفتح، فقد وضع عدة شروط وضوابط لاختيار قادة جنده وهي كالآتي:

١- **أن يكون تقياً ورعاً عالماً بأحكام الشريعة:** وكان يقول ويردد: «من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله»، ولما أرسل إلى سعيد بن عامر ليستعمله على بعض الشام، فأبى عليه، فقال عمر: «كلا والذي نفسي بيده لا تجعلونها في عنقي وتجلسون في بيوتكم».

٢- **أن يشتهر القائد بالتأني والتروي:** فلما ولى عمر رضي الله عنه أبا عبيد الثقفي قال له: «إنه لم يمنعني أن أوامر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان والله لولا سرعته لأمرته ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكث».

٣- **أن يكون جريئاً، وشجاعاً ورامياً:** فلما أراد عمر أن يولي قائداً لجيوش المسلمين لفتح نهاوند واستشار الناس فقالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم فقال: «أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكوننَّ أول الأسنَّة إذا لقيها غداً»، فقيل: مَنْ يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن المزني، فقالوا: هو لها.

٤- **أن يكون ذا دهاء وفطنة وحنكة:** لما نزل عمرو بن العاص وجنده على الروم بموقعة أجنادين لفتحها وكان قائد الروم الأرطوبون وهو أدهى الروم، وأبعدها غوراً، وأنكاها فعلاً، ووضع جنداً عظيماً بإيلياء والرملة وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمر قال: رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب فانظروا عمّ تنفرج، ولما أراد عمرو أن يجمع المعلومات عن الأرطوبون وجيشه، حتى يضع خطته الحكيمة لمهاجمته، والانتصار عليه دخل بن العاص معسكر قائد الروم وكاد أن يقتل إلا أن الله نجاه

(١) - رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦: ٣٢٥.



وخذع عمرو بن العاص أرطوبون الروم ولما وصل الأمر إلى عمر بن الخطاب. قال: غلبه عمرو، لله عمرو.

**٥- أن يكون القائد لبقاً حاذقاً له رأي وبصر بالحروب:** يقول الإمام ابن قدامة المقدسي في كلامه عن أمير الحرب: ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايده للعدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين ولذلك اختار الفاروق سعد بن أبي وقاص لقيادة حرب العراق بعد أن استشار الناس.

**٦- الرغبة في العمل:** كان من خطة عمر رضي الله عنه أن لا يوئى رجلاً عملاً لا رغبة له فيه ولا قناعة إلا إذا اضطر إلى ذلك ليكون العمل أكثر إتقاناً، فقد ندب الناس مرة وحثهم على قتال الفرس بالعراق، فلم يبق أحد ثم ندبهم في اليوم الثاني فلم يبق أحد، ثم ندبهم في اليوم الثالث وهكذا ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس، فأمر على الجميع أبا عبيد، ولم يكن صحابياً فقيل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أومر عليهم من استجاب، وقد تجسدت هذه الصفات في كل من سعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص رضي الله عنه وغيرهم كثير <sup>(١)</sup>.



### ومن أهم صفات الإداري الناجح:

**١- الثبات وضبط النفس ورباطة الجأش:** فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وكان الناس ما بين مصدق ومكذب، وطاشت العقول لهول المصيبة، حتى قال عمر: من قال إن محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا، والله ما مات رسول الله وإنما ذهب إلى لقاء ربه كما فعل موسى عليه الصلاة والسلام، وذهل الناس واضطربوا، فجاء أبو بكر رضي الله عنه طود إيمان شامخ وصاحب يقين راسخ، فقال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد

(١) - فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب للدكتور علي الصلابي ٢: ٩١ وما بعدها.

الله فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»، وقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) آل عمران.

قال الراوي: «والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها».

وقال عمر رضي الله عنه: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات» (١)

فقد كان أبو بكر أعظم حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة أجمعين، وكان أشدهم قرباً له، ولكنه كان في الوقت نفسه أعظمهم إيماناً فكان هذا الموقف الذي يحكيه بعض الصحابة في وصفه قائلاً: «كنا عند موت الرسول عليه الصلاة والسلام كغنم في ليلة مطيرة شاتية، حتى جمعنا الله بأبي بكر رضي الله عنه».

٢- **تفقد الأخبار والأحوال:** عن إبراهيم قال: «كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألم عن حالهم وأسعارهم، وعمن يعرف من أهل البلاد، وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فإن قالوا: نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا: لا، كتب إليه أقبل» (٢)

وعن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها مرة يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها وهو خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى (٣)

(١) - رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، (١١٦٥)، وفي كتاب المناقب، باب

قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، (٣٣٩٤)، وفي كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩٧).

(٢) - رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٦.

(٣) - رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٢٢.

وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع <sup>(١)</sup>.

**٣- حسن التصرف فيما سكت عنه:** وقد أشار عمر رضي الله عنه إلى هذا فقد أرسل محمد بن مسلمة في مهمة إلى العراق ثم رجع ففني زاده قبل أن يصل إلى المدينة لأنه لم يقبل من أحد زادا، فأخذ يأكل من لحاء الأشجار حتى تغير وجهه وجسمه فلما علم عمر بذلك قال له: هلا قبلت من سعد- أي ابن أبي وقاص -؟ قال: لو أردت ذلك كتبت له به أو أذنت له فيه، فقال عمر: «إن أكمل الرجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه، عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل»، يشير إلى خطأ أن ينتظر القائم بالأعمال الرقابية التوجيه من فوقه في كل الأمور.



(١) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٤٨.

## الفصل الثالث عشر

### الاقتصاد عند الصحابة

#### المبحث الأول: الالتزام بمبادئ الإسلام المالية

إن أهم أسس النجاح الاقتصادي يتمثل في تطبيق تعاليم الإسلام في ذلك، فنجد أثر الصحابة رضي الله عنهم في الاقتصاد واضحاً من خلال ما طبقوه وقاموا به من أصول النظام الاقتصادي الإسلامي، فقد قدّم النظام الاقتصادي الإسلامي القواعد لكل أنواع العلاقات والمعاملات الاقتصادية في شتى المجالات التي تشمل الفرد والمجتمع، وكل ذلك على قواعد ثابتة وأحوال مستقرة، تخدم أغراضاً محددة وتحقق أهدافاً معروفة، بتنظيم دقيق ومنطق راق، ومن أهم تلك المبادئ الإسلامية:

● - **العمل والحض عليه**، فقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في العمل، فعن المقدم رضي الله عنه:  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) <sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل) <sup>(٢)</sup>.

ولهذا كان الصحابة يعملون ويكتسبون، وتكون لهم الحرف، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم <sup>(٣)</sup>.

وهكذا أمر الصحابة بالعمل وترك التواكل والكسل؛ فعن عبد الله بن عمرو أنه

(١) - رواه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (١٩٦٦).

(٢) - رواه أحمد في المسند (١٢٩٨١)، وعبد بن حميد في مسنده (١٢١٦)، والطيالسي في مسنده (٢٠٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩) وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله أثبات ثقات، وكأنه أراد بقيام الساعة أمارتها، فإنه قد ورد إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرسها فإن للناس عيشاً بعد. مجمع الزوائد ٤: ٦٣.

(٣) - جزء من حديث رواه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (١٩٦٥).

قال: «أحرث لديناك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر: «أيها الناس، أصلحوا معاشكم فإن فيها صلاحاً لكم، وصلة لغيركم»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «عليكم بالجمال واستصلاح المال، وإياكم وقول أحدكم ما أبالي»<sup>(٣)</sup>.

وقال الزبير: «إن المال فيه صنائع المعروف، وصلة الرحم، والنفقة في سبيل الله ﷺ، وعون على حسن الخلق، وفيه مع ذلك شرف الدنيا ولذتها»<sup>(٤)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب: «أيها الناس، أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ﷻ فإن إقلالاً في رفق، خير من إكثار في خرق»<sup>(٥)</sup>.

وعن سعيد بن المسيب، قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في بحر الروم، منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل»<sup>(٦)</sup>.

وعن ابن عمر قال: «إذا لم يرزق أحدكم في البلد، فليتجر إلى بلد غيره»<sup>(٧)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «من اتجر في شيء ثلاث مرات، فلم يصب فيه، فليتحول إلى غيره»<sup>(٨)</sup>.

وقال أيضاً: «لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر شيئاً، إن فاتني ربحه ما فاتني ريحه»<sup>(٩)</sup>.

(١) - رواه الحارث كما في بغية الباحث: ٣٢٧ (١١٠٠)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٤٨)، وابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ١٠٣.

(٢) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٦١).

(٣) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٦٢) و (١٥١).

(٤) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٩٧).

(٥) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (١٢٢) و (١٤٠) وذكره الوطواط في غرر الخصائص الواضحة: ١٧٠.

(٦) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢١٨).

(٧) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٢٢).

(٨) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٢٣).

(٩) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٣٨).

وعن أبي بكر ابن أبي مريم عن شيخ له قال: سألت أبا هريرة عن المروءة فقال: «ثبوته في مجلسه، والغذاء والعشاء بأفنية البيوت، واستصلاح المال، ومعاونة الأخوان والذب عنهم»<sup>(١)</sup>.

وقال معاوية: «المروءة في أربع: العفاف في الإسلام، واستصلاح المال، وحفظ الاخوان، وعاون الجار»<sup>(٢)</sup>.

وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: «لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: والحرفة جهة الاكتساب والتصرف في المعاش، وأشار بذلك إلى أنه كان كسوباً لمؤونته ومؤونة عياله بالتجارة من غير عجز، تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي. قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر فقال: «رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده».

وفي قصة أبي بكر أن القدر الذي كان يتناوله فرض له باتفاق من الصحابة، فروى ابن سعد قال: «لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق على رأسه أثواب يتجر بها، فلقية عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقال: كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا: نفرض لك، ففرضوا له كل يوم شطر شاة».

(١) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٧ : ٣٧٥.

(٢) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩ : ٢٠١، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٨ : ١٤٧.

(٣) - رواه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (١٩٦٤).

قال ابن الأثير: أراد باحترافه للمسلمين نظره في أمورهم وتمييز مكاسبهم وأرزاقهم، وكذا قال البيضاوي: المعنى أكتسب للمسلمين في أموالهم بالسعي في مصالحهم ونظم أحوالهم. وقال غيره: يقال احترف الرجل إذا جازى على خير أو شر. وقال المهلب: قوله أحترف لهم أي أتجر لهم في مالهم حتى يعود عليهم من ربحه بقدر ما أكل أو أكثر وليس بواجب على الإمام أن يتجر في مال المسلمين بقدر مؤونته، إلا أن يطوع بذلك كما تطوع أبو بكر.

والتوجيه الذي ذكره ابن الأثير أوجه، لأن أبا بكر بين السبب في ترك الاحتراف وهو الاشتغال بالإمارة، فمتى يتفرغ للاحتراف لغيره؟ إذ لو كان يمكنه الاحتراف لاحتراف لنفسه كما كان، إلا أن يحمل على أنه كان يعطي المال لمن يتجر فيه ويجعل ربحه للمسلمين<sup>(١)</sup>.

● - **ومن ذلك: الاهتمام بالكسب الحلال**، فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمنون: ٥١، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ البقرة: ٢٦٧، ثم ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب له)<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو الدرداء: «إن كسب المال من سبيل الحلال قليل فمن كسب مالا من غير حله فوضعه في حقه ومن كسب مالا من غير حله فوضعه في غير حقه فذلك الداء العضال، ومن كسب مالا من حله فوضعه في حقه فذلك يغسل الذنوب كما يغسل الماء

(١) - فتح الباري ٤: ٣٠٥، باختصار.

(٢) - رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (٢٣٩٣)، وأحمد في المسند (٨٣٤٨).

التراب عن الصفا»<sup>(١)</sup>.

ودخل ابن عامر على ابن عمر، فقال: الرجل يصيب المال فيصل منه الرحم، ويفعل فيه ويفعل قال ابن عمر: «إنك ما علمت لمن أجدرهم أن تفعل ذلك، ولكن انظر ما أوله، فإن كان أوله خبيثاً، فإن الخبيث كله خبيث»<sup>(٢)</sup>.

وعن عثمان بن عفان أنه قال وهو يخطب: «لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تكلفوا الصغير الكسب فإنه إذا لم يجد سرق، وعفوا إذ أعفكم الله وعليكم من المطاعم بما طاب منها»<sup>(٣)</sup>.

**ومن أهم تلك المبادئ: إيتاء الزكاة،** عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ

واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله. فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فالزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. قال ابن بكير وعبد الله عن الليث عناقاً وهو أصح<sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن عقبة مولى الزبير أنه سأل القاسم بن محمد عن مكاتب له قاطعه بهال عظيم هل عليه فيه زكاة؟ فقال القاسم: «إنَّ أبا بكر الصديق لم يكن يأخذ من مال زكاة حتى يحول عليه الحول».

(١) - رواه أحمد في الزهد (٧٤٥)، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٠).

(٢) - رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢١).

(٣) - رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب الأمر بالرفق بالمملوك (١٥٥٣)

(٤) - رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٧٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٩).



وقال القاسم بن محمد: «وكان أبو بكر إذا أعطى الناس أعطياتهم يسأل الرجل هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة؟ فإذا قال: نعم. أخذ من عطائه زكاة ذلك المال، وإن قال: لا. أسلم إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وقال قدامة: كنت إذا جئت عثمان بن عفان أقبض عطائي سألني هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة؟ قال: «فإن قلت نعم أخذ من عطائي زكاة ذلك المال وإن قلت لا دفع إلي عطائي»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي قال: إن الله فرض في أموال الأغنياء، أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غني، والله سائلهم عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

● - ومن المبادئ الإسلامية: عدم أكل الربا، فحين نزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢٧٨)</sup> البقرة، وقد ذكر زيد بن أسلم، وابن جرير، ومقاتل بن حيان، والسدي: أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف، وبني المغيرة من بني مخزوم، كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه، طلبت ثقيف أن تأخذه منهم، فتشاوروا وقالت بنو المغيرة: لا نؤدي الربا في الإسلام فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله ﷺ،

فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله ﷺ إليه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا

بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢٧٨)</sup> فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ فَقَالُوا: نتوب إلى الله، ونذر ما بقي من الربا، فتركوه كلهم<sup>(٤)</sup>.

(١) - رواه مالك في كتاب الزكاة باب الزكاة في العين من الذهب والورق (٥١٥).

(٢) - رواه مالك في كتاب الزكاة باب الزكاة في العين من الذهب والورق (٥١٦).

(٣) - ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار ١: ٤٢٠، والآبي في نثر الدر ١: ٥٢، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٢: ٤٦٤.

(٤) - تفسير ابن كثير ١: ٧١٦.

وقال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال لهما صاحب التمر: إن أنتما أخذتما حقكما، لا يبقى لي ما يكفي عيالي! فهل لكما أن تأخذا النصف، وتؤخرا النصف؛ وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما جاء الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما فأنزل الله هذه الآية؛ فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما<sup>(١)</sup>. فعدم أكل الربا من النجاح الاقتصادي، وذلك لما في الربا من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية:

### فالأضرار الاقتصادية تكمن في أن الربا وسيلة غير سليمة للكسب لما يلي:

- ١- الفائدة التي يحصل عليها المرابي لا تأتي نتيجة عمل إنتاجي بل استقطاع من مال الفرد، أو من ثروة الأمة دون أن ينتج ما يقابله.
- ٢- الفائدة الربوية تدفع فئة من الأمة إلى الكسل والبطالة وتمكنهم من زيادة ثروتهم بدون جهد أو عناء.
- ٣- الربا يؤدي إلى ظاهرة التضخم في المجتمع ويوسع الهوة بين الفقراء والأغنياء.
- ٤- إثقال كاهل المقترضين عند العجز عن التسديد لتضاعف سعر الفائدة المحرمة شرعاً.

### أما الأضرار الاجتماعية للربا فمنها:

- ١- الربا يستغل حاجة المحتاجين عندما يقترضون، ويلحق بهم الكثير من الأضرار النفسية والاجتماعية والمالية دون اختيار منهم.
- ٢- ينمّي الضغائن والأحقاد بين الناس لعدم اقتناع المقترض بما أخذ منه مهما كانت حاجته ورغبته منه.

(١)- تفسير اللباب لابن عادل ٣: ٣٤٩.

٣- يلغى معاني الفضيلة والتعاون والتكافل والتراحم بين الناس<sup>(١)</sup>.



### المبحث الثاني: حسن التصرف في بيت المال

وأول من اتخذ بيت المال هو عمر بن الخطاب، ولم يكن للنبي ﷺ بيت مال ولا لأبي بكر.

لم يكن هناك حاجة لوجود بيت المال في عهد الرسول لأن الحياة كانت بسيطة، فكانت الإيرادات من الغنائم والزكاة وغيرها ترد للدولة الناشئة وتوزع في الحال على المستحقين، وكذلك في عهد أبي بكر فقد سار سيرة الرسول وصنع صنيعه، ولكن اتساع رقعة الفتح زاد في أموال الفيء، كما فتح مورداً آخر أغزر مادة وأبقى، ذلك مورد الخراج والجزية، وقد بلغت غزارة هذا المال والمورد قبل أن يتم فتح فارس وقبل أن يبدأ فتح مصر مبلغاً حمل الخليفة عمر على التفكير في إقامة نظام مالي للدول الناشئة، فكان لا بد من التطوير في نظام الدولة الإسلامية في عهد عمر لأن الله فتح للمسلمين في خلافته بلاد فارس والشام ومصر، فتشعبت أمور الدولة الإسلامية وتفرعت مطالبها، وفي الوقت نفسه اتصلت الدولة الناشئة بحضارات عريقة في الدول المفتوحة مما نبه عمر إلى الاستفادة بما في هذه الدول من نظم لحل المشكلات الإدارية والتنظيمية التي تواجهها الدولة الإسلامية وللرقي بها خطوات إلى الأمام.

وبيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلق بأمور الدولة من زكاة وخراج وجزية وفيء وغير ذلك، ويسمى بيت المال (الديوان السامي) أو (ديوان الأموال) وهو أصل

(١) - من: النظام الاقتصادي في الإسلام للدكتور مسفر الزهراني: ١٥.

الدواوين ومرجعها<sup>(١)</sup>.

**تعيين راتب:** فقد قال عطاء بن السائب: لما استُخْلِجَ أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة أثواب يتجر بها، فلقية عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وُلِّيتَ أمرَ المسلمين؟ قال: فمن أين أُطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معها ففرضوا له كلَّ يوم شَطْرَ شاة، وما كَسَّوهُ في الرأس والبطن، فقال عمر: إليَّ القضاء، وقال أبو عبيدة: وإليَّ الفَيء، قال عمر: فلقد كان يأتي عليَّ الشهر ما يختصم إليَّ فيه اثنان<sup>(٢)</sup>.

وقال ميمون الجزري: لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين، قال: زيدوني، فإنَّ لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة<sup>(٣)</sup>.

فيستدل من هذا أنه لا ينبغي للخليفة أن يتاجر أو يباشر أي عمل آخر بأجر، وأنَّ جميع وقته وجهده ملك للدولة.

وقد بيَّن عمر رضي الله عنه حظه من بيت المال فقال: «وإني أنزلتُ نفسي من الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت عفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف»<sup>(٤)</sup>.

كما كان للقاضي رزق من بيت المال لما يلزمهم من الانقطاع لهذا العمل، وترك ما يرتزون منه، ورزق القاضي كبير، ويُعطاه مقدماً حتى لا ينظر بعد ذلك إلى شيء، وكثير من قضاة الإسلام كانوا يرفضون الرزق محتسبين.

(١) - الإدارة الإسلامية في عهد عمر: ١٦٠ وما بعدها.

(٢) - رواه ابن سعد ٣: ١٨٤.

(٣) - رواه ابن سعد ٣: ١٨٥، والبلاذري في أنساب الأشراف ٣: ٣١٣.

(٤) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٢٦٣.

**فرض العطاء للناس:** كما فرض عمر للنساء والأطفال، وكان يفرض للطفل بعد فطامه، فأدرك أن الناس يتعجلون فطام أطفالهم ليحظوا بالعطاء، فأمر منادياً: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود مئة درهم فإذا ترعرع بلغ به مئتي درهم فإذا بلغ رشده زاد له في العطاء.

عن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب جمع أناساً من المسلمين، فقال: إني أريد أن أضع هذا الفيء موضعه فليغد كل رجل منكم علي برأيه، فلما أصبح قال: إني وجدت آية من كتاب الله تعالى - أو قال آيات - لم يترك الله أحداً من المسلمين له في هذا المال شيء إلا قد سماه، قال الله: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ إلى قوله: ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧)، ثم قرأ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ إلى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٨) فهذه للمهاجرين، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ حتى بلغ: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩) ثم قال: هذه للأَنْصَارِ، ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ رِءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠) ثم قال: فليس في الأرض مسلم إلا له في هذا المال حق أعطيه أو حرمه (١).

وعن مالك بن أوس قال كان عمرٌ مُجَلِّفٌ عَلَى أَيَّامٍ ثَلَاثٍ يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَالِ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا أَنَا بِأَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبٌ إِلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَسَمْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَالرَّجُلُ وَبِلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ، وَوَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتْ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِي بِجَبَلٍ صَنْعَاءَ

(١) - رواه البيهقي في السنن الكبرى ٦: ٣٥١، وعبد الرزاق في مصنفه ٤: ١٥١.

حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ يَرَعَى مَكَانَهُ»<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر فرض العطاء على العرب المسلمين، بل إن هذا العطاء قد شمل بعض الأعاجم من مسلمين وغيرهم. كما أن عمر فرض لأهل الكتاب من يهود ونصارى بعض العطاء وأعفى الشيوخ منهم من الجزية: مر عمر بسائل شيخ كبير ضرير البصر ف ضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت قال يهودي الخراج لأبي يوسف. كان هذا ديوان العطاء الذي أنشأه وأقره عمر واصفا فيه ولأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية إحصائية شاملة لرعايا المسلمين ولبعض المستحقين من أهل الكتاب والأعاجم وفرض لهم الأعطيات والمراتب الثابتة<sup>(٢)</sup>.



### المبحث الثالث: عدم توزيع الأراضي على الفاتحين

لما فتح المسلمون أرض السواد في العراق، احتار عمر في أمر قسمتها، ولم يكن معه نص من الكتاب أو السنة، فعمد إلى المشورة فدعا كبار الصحابة واستشارهم، فرأى عامتهم أن يقسمه، وكان رأي عمر أن يترك سواد العراق ولا يقسمه ومكثوا يبحثون في يومين أو ثلاثة ثم قال عمر: إني قد وجدت حجة: قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآيات من سورة الحشر. قال: فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم فقد صار هذا الفيء على هؤلاء جميعاً فكيف تقسم هؤلاء وتدع من يخلف بغير قسم فأجمع على تركه وجمع خراجه<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه أحمد في المسند (٢٩٢).

(٢) - الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب للدكتور فاروق مجدلاوي الناشر روائع مجدلاوي: ١٦٣ وما بعدها.

(٣) - الخراج لأبي يوسف.

فقد كان اجتهاد عمر أن يمنع تقسيم أراضي سواد العراق وأراضي مصر على الفاتحين لها، الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقسم الغنائم، وقد ذهب عمر إلى خلاف رأيهم فاعتبر الأراضي من الفيء الذي تتعلق به حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم، مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة وحقوقها في بيت المال، فأبقى الأرضين لأهلها، وطرح عليها ضريبة الخراج؛ لأن ذلك أصلح لإحيائها، وأعمُّ لنفعها<sup>(١)</sup>.

فعن يزيد بن أبي حبيب، قال: كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق: «أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عليهم، فإذا أتاك كتابي هذا، فانظر ما أجلب الناس به إلى العسكر من كراع أو مال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء، وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس إلى الإسلام، فمن أسلم، واستجاب لك قبل القتال فهو رجل من المسلمين، له ما لهم، وله سهم في الإسلام، ومن استجاب لك بعد القتال وبعد الهزيمة، فهو رجل من المسلمين، وماله لأهل الإسلام؛ لأنهم قد أحرزوه قبل الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: «اجتمعوا حتى ننظر لمن هذا المال - حين أتى بالفيء - فلما اجتمعوا، قال: إني قرأت كتاب الله، فاكتفيت بها»، ثم قرأ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، ثم قال: «ما أحد من المسلمين إلا له في هذا الفيء حق، إلا عبداً مملوكاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) - انظر: المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقا ١: ١٧٥ وما بعدها.

(٢) - رواه يحيى آدم في الخراج (٥٠)، والقاسم بن سلام في الأموال (١٣٦)، ولم يذكر: وقد كنت أمرتك.. إلى آخر الرواية.

(٣) - رواه يحيى آدم في الخراج (١٠٤) واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى ٦: ٣٥١، وابن أبي شيبة في المصنف ٧:

وعن عمر أنه قال: والذي نفس عمر بيده، لولا أن يترك آخر الناس لا شيء لهم ما افتتح على المسلمين قرية من قرى الكفار إلا قسمتها سهماً كما قسم رسول الله ﷺ خير سهماً، ولكن أردت أن يكون جرية تجري عليهم وكرهت أن يترك آخر الناس لا شيء لهم<sup>(١)</sup>.

وقال سفيان بن وهب الخولاني: لما افتتحت مصر بغير عهد، قام الزبير فقال: يا عمرو بن العاص، أقسمها، فقال عمرو: لا أقسمها، فقال الزبير: لتقسمنها، كما قسم رسول الله ﷺ خير، فقال عمرو: لا أقسمها، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن دعها حتى يغزو منها حبل الحبل<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيد بعد ذكره للخبر: أراه أراد أن تكون فيئاً موقوفاً للمسلمين ما تناسلوا، يرثه قرن بعد قرن، فتكون قوة لهم على عدوهم.



(١) - رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧: ٦٣٣، ويحيى آدم في الخراج (١٠٦).

(٢) - رواه القاسم بن سلام في الأموال (١٣٥) وحبل الحبل: أن تنتج الناقة ثم تحمل التي نتجت.



## الباب الخامس

### واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله عنهم

#### الفصل الأول

##### محبتهم

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ الحشر: ١٠: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفياء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً إنه لا حق له في الفياء، روي ذلك عن مالك وغيره. قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد رضي الله عنه، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فياء المسلمين، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية <sup>(١)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار) <sup>(٢)</sup>.

وعن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا نفاق) فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله <sup>(٣)</sup>.

وقال الحافظ الطحاوي مبيناً عقيدة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف

(١) - الجامع لأحكام القرآن ١٨: ٣٢.

(٢) - رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٦)، وفي كتاب المناقب، باب حب الأنصار (٣٥٠٠).

(٣) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب حب الأنصار، (٣٤٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان، (١١٠).

ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى: «وَنَحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نُفِرُّ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَبْغُضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبَغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبَغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ».

وقال: «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رَجْسٍ، فَقَدْ بَرِيَءٌ مِنَ النِّفَاقِ»<sup>(١)</sup>.

وقال البيهقي رحمه الله: وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيثار، فحبهم أن يعتقد فضائلهم، ويعترف لهم بها، ويعرف لكل ذي حق منهم حقه، ولكل ذي غنى في الإسلام منهم غناه، ولكل ذي منزلة من رسول الله ﷺ منزلته، وينشر محاسنهم، ويدعو بالخير لهم، ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم، ولا يتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث ما لا يحسن عنه، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه مما كان بينهم.

وعن أبي بكر بن عياش في أوصاف أهل السنة والجماعة: «ومن كف عن أصحاب النبي ﷺ فيما اختلفوا فيه، فلم يذكر أحدا منهم إلا بخير»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة السفاريني رحمه الله: يجب حبُّ كلِّ الصحابة الكفِّ عمَّا جرى بينهم؛ كتابةً وقراءةً وسمعاً وتسميعاً، ويجب ذكرُ محاسنهم التَّركُّ ضيِّ عنهم، والمحبةُ لهم، وتركُ التَّحاملِ عليهم، واعتقادُ العذرِ لهم، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهادٍ سائغٍ<sup>(٣)</sup>. كما أمرنا الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٧١.

فنجبهم في الله ﷻ، لما قدموه في نصرته هذا الدين، ولثناء الله ورسوله عليهم،

(١) - شرح العقيدة الطحاوية الميسر ص ٩٦-٩٨. سيرة معاوية.

(٢) - شعب الإيمان ٤: ٤٢.

(٣) - شرح الدرر المضيئة ٢/ ٣٨٦.

فَنَحِبُ مِنْ أَحِبِّهِمْ اللَّهُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَنْصَارِ: (الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا الْمُؤْمِنُ  
وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا الْفَاسِقُ) فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>.



---

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب حب الأنصار، (٣٤٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب  
الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، (١١٠).

## الفصل الثاني

### الدعاء والاستغفار لهم والترضي عنهم

وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: الناس على ثلاثة منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ الحشر: ٨ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة وقد مضت ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الحشر: ٩ الآية ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الحشر: ١٠. فقد مضت هاتان المنزلتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة <sup>(١)</sup>.

وعن الضحاك رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية قال: أمروا بالاستغفار لهم، وقد علم ما أحدثوا.



(١) - رواه الحاكم في المستدرک (٣٧٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (١٩١٤). وابن بطّة

## الفصل الثالث

### تأويل اجتهاداتهم، والكف عما شجر بينهم

فلا نخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات، ولا ننشر ذلك بين العامة، ولا نتعرض لهم بالانتقاص، يروى عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، إذا ذكرت النجوم فأمسكوا، إذا ذكر القدر فأمسكوا) <sup>(١)</sup>.

قال أبو نعيم رحمه الله: «فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾».

وقال الإمام ابن تيمية: «وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين لهم أجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطئهم، وما كان لهم من السيئات، وقد سبق لهم من الله الحسنى، فإن الله يغفر لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة.

وما شجر بينهم من خلاف فقد كانوا رضي الله عنهم يطلبون فيه الحق ويدافعون فيه عن الحق، فاختلقت فيه اجتهاداتهم، ولكنهم عند الله صلى الله عليه وسلم من العدول المرضي عنهم، ومن هنا كان منهج أهل السنة والجماعة هو حفظ اللسان عما شجر بينهم، فلا نقول عنهم إلا خيراً ونتأول ونحاول أن نجد الأعذار للمخطئ منهم ولا نطعن في نيّاتهم فهي عند الله، وقد أفضوا إلى ما قدموا، فنترضى عنهم جميعاً ونترحم عليهم ونحرص على أن تكون القلوب سليمة تجاههم» <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قدامة المقدسي في اللمعة (ص ١٧٥): «ومن السنة تولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عن

(١) - رواه الطبراني في الكبير (١٤١١) و (١٠٢٩٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٨٢) و (١٩١١).

(٢) - مجموع الفتاوى ٣: ٤٠٦.

ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحشر: ١٠ وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩ وقال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) <sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله: «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه» <sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الذهبي رحمه الله: «كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بينهم، وقتلهم ﷺ أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب.. فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء.. إلى أن قال: فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه، ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء.

وفضيلة الصحبة ولو للحظة، لا يوازيها عملٌ ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس» <sup>(٣)</sup>.

وقد أخرج ابن عساكر في ترجمة معاوية ﷺ من طريق ابن منده ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال: جاء رجل إلى عمي فقال له: إني أبغض معاوية، فقال له: لم؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، فقال له أبو زرعة: رب معاوية رب رحيم

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً (٣٣٩٧)، ومسلم في كتاب فضائل

الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٤٦١٠).

(٢) - تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم: ١٧٥.

(٣) - سير أعلام النبلاء ١٠: ٩٢.

وخصم معاوية خصم كريمة فما دخولك بينها؟<sup>(١)</sup>.

وقال الآجري رحمه الله باب ذكر الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ،  
ورحمة الله عليهم أجمعين: ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ  
وفضائل أهل بيته ﷺ أجمعين، أن يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله  
الكريم لهم - أي بالدعاء والترحم والاستغفار والترضي - ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا  
يذكر ما شجر بينهم، ولا ينقّر عنه ولا يبحث. فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطي به  
عن طريق الرشاد فقال: لم قاتل فلان لفلان، ولم قتل فلان لفلان وفلان؟! قيل له: ما  
بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا، ولا اضطررنا إلى علمها.

فإن قال قائل: ولم؟ قيل: لأنها فتن شاهدها الصحابة ﷺ، فكانوا فيها على  
حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدى سبيلاً ممن  
جاء بعدهم، لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول ﷺ، وجاهدوا  
معه، وشهد لهم الله ﷻ بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم  
خير القرون، فكانوا بالله ﷻ أعرف وبرسوله ﷺ وبالقرآن والسنة، ومنهم يؤخذ  
العلم، وفي قولهم نعيش وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب ولهم نتبع وبهذا أمرنا.

فإن قال قائل: وأيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه؟

قيل له: لاشك فيه؛ وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا  
أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحت عما شجر بينهم فنزل عن طريق الحق ونتخلف عما  
أمرنا فيهم. فإن قال قائل: وبم أمرنا فيهم؟

قيل: أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم، دلّ على  
ذلك الكتاب والسنة وقول أئمة المسلمين، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم، قد

(١) - تاريخ دمشق ٥٩: ١٤١.

صحابوا الرَّسُولَ ﷺ، وصاهرهم، وصاهروه، وبالصحبة له يغفر الله الكريم لهم، وقد ضمن الله ﷻ لهم في كتابه ألا يخزي منهم واحداً، وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة والإنجيل؛ فوصفهم بأجل الوصف، ونعتهم بأحسن النعت، وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحداً منهم أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة.

فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالماً بما جرى بينهم، فأكون لم يذهب علي ما كانوا فيه لأني أحب ذلك ولا أجعله.

قيل له: أنت طالب فتنة، لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله ﷻ عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك. وقيل له: ولا سيّما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة.

و قيل له: اشتغالك بمطعمك، وملبسك من أين؟ هو أولى بك، وتمسكك بدرهمك من أين هو؟ وفيه تنفقه؟ أولى بك.

وقيل: لا نأمن أن تكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما يصلح لك أن تهواه، ويلعب بك الشيطان فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له واتباعه، فتزل عن طريق الحق، وتسلك طريق الباطل.

فإن قال: فاذا ذكر لنا من الكتاب والسنة وعمن سلف من علماء المسلمين ما يدل على ما قلت، لنرد نفوسنا عما تهواه من البحث عما شجر بين الصحابة ﷺ.

قيل له: قد تقدم ذكرنا لما ذكرته مما فيه بلاغ وحجة لمن عقل.

ثم ساق الآجري أدلة وقال رحمه الله: يقال: لمن سمع هذا من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ: إن كنت عبداً موفقاً للخير اتعظت بها وعظك الله ﷻ به، وإن كنت متبعاً لهواك خشيت عليك أن تكون ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ



هُدَى مِنَ اللَّهِ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ القصص ، وكنت ممن قال الله ﷻ:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ الأنفال.

ويقال له: من جاء إلى أصحاب رسول الله ﷺ حتى يطعن في بعضهم ويهوى بعضهم، ويذم بعضاً ويمدح بعضاً؛ فهذا رجل طالب فتنة، وفي الفتنة وقع، لأنه واجب عليه محبة الجميع، والاستغفار للجميع ﷻ، ونفعنا بحبهم، ونحن نزيدك في البيان ليسلم قلبك للجميع، ويدع البحث والتنقيب عما شجر بينهم <sup>(١)</sup>.

وقال الآمدي: «الواجب أن يحسن الظن بأصحاب الرسول ﷺ، وأن يكف عما جرى بينهم، وألا يحمل شيء مما فعلوه أو قالوه إلا على وجهه الخير وحسن القصد، وسلامة الاعتقاد، وأنه مستند إلى الاجتهاد؛ لما استقر في الأسماع، وتمهد في الطباع، ووردت به الأخبار والآثار، متواترة وآحاد، من غرر الكتاب، والسُّنَّة، واتفاق الأمة على مدحهم، والثناء عليهم بفضلهم، مما هو في اشتهاه يغنى عن إظهاره، وأن أكثر ما ورد في حقهم من الأفعال الشنيعة، والأمور الخارجة عن حكم الشريعة، فلا أصل لها إلا تخرصات أهل الأهواء، وتصنعات الأعداء، كالروافض والخوارج وغيرهم من السفاسف، ومن لا خلاق له من الأطراف. وما ثبت نقله ولا سبيل إلى الطعن فيه، فما كان يسوغ فيه الاحتمال، والتأويل فيه بحال، فالواجب أن يحمل على أحسن الاحتمالات، وأن ينزل على أشرف التنزيلات، وإلا الكف عنه، والانقباض منه، وأن يعتقد أن له تأويلاً لم يوصل إليه، ولم يوقف عليه، إذ هو الأليق بأرباب الديانات، وأصحاب المروءات، وأسلم من الوقوع في الزلات، ولكون سكوت الإنسان عما لا يلزمه الكلام فيه أرجى له من أن يخوض فيما لا يعنيه، لا سيما إذا احتمل ذلك الزلل والوقوع بالظن والرجم بالغيب في الخطل» <sup>(٢)</sup>.

إن ما حدث من جانب الصحابة ﷺ في هذه الفتنة يحمل على حسن النية والاختلاف في التقدير والاجتهاد، كما يحمل على وقوع الخطأ والإصابة، ولكنهم على

(١) - الشريعة ٥: ١٩٢.

(٢) - غاية المرام: ٣٩٠، التنبيه على ما في كتاب الخلافات: ١٦٠.

كل حال كانوا مجتهدين وهم لإخلاصهم في اجتهادهم مثابون عليه في حالتي الإصابة والخطأ، وإن كان ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ؛ لأن كل فئة كانت لها وجهة نظر تدافع عنها بحسن نية، حيث إن الخلاف بينهم لم يكن بسبب التنافس على الدنيا، وإنما كان اجتهاداً من كل منهم في تطبيق شرائع الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويقول النووي رحمه الله: واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد - يعني قوله رضي الله عنهم: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) - ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ؛ لأنه اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه<sup>(٢)</sup>.

ويورد شيخ الإسلام في مواضع متفرقة من مجموع الفتاوى (٣٥/٥٠ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٩) رأي أهل السنة في هذه المسألة مستبعداً رأي أهل البدع من الخوارج والرافضة والمعتزلة الذين جعلوا القتال موجباً للكفر أو الفسق، فيقول: وأهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة بل يمكن أن يقع الذنب منهم، والله يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم، وإن الأنبياء هم المعصومون فقط، أما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا معصومين، وهذا في الذنوب المحققة، وأما اجتهادهم فقد يصيبون فيه أو يخطؤون، فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر واحد على اجتهادهم، وجمهور أهل العلم يفرقون بين الخوارج المارقين وبين أصحاب الجمل وصفين ممن يعد من البغاة المتأولين، وهذا مأثور عن الصحابة وعامة أهل الحديث، والفقهاء والأئمة.

وقال الحافظ ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من

(١) - تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ٢: ٣٤٠ بتصرف. نقلاً من الموقف مما شجر بين الصحابة.

(٢) - في شرحه لصحيح مسلم (١٨/٢١٩-٢٢٠).

الصَّحَابَةَ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفُ الْمُحَقُّ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يِقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمَخْطِئِ فِي الاجْتِهَادِ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا، وَأَنَّ الْمَصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ (١).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: نترحم عليهم، ونذكر فضائلهم ونكفُّ عن زلهم، ولا نذكرُ أحداً منهم إلا بالخير، لقول رسول الله ﷺ: (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا) (٢).

وقال إمام الحرم المكي سفيان بن عيينة رحمه الله: «من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى... فلا تُحدِّثْ بشيءٍ من زلهم، ولا حرِّبهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحدٍ يحدثُ به، فإنه لا يسلمُ لك قلبك إن سمعت».

وقال للشرِّيفُ ابنُ أبي موسى، الهاشميُّ رحمه الله في عقيدته: وأن نتولى أصحاب محمد ﷺ بأسرهم، ولا نبحت عن اختلافهم في أمرهم، ونُمسِكَ عن الخوض في ذكرهم، إلا بأحسنِ الذكرِ لهم، وأن نتولى أهل القبلة ممن ولي حربَ المسلمين على ما كان فيهم؛ من عليٍّ وطلحةٍ والزبيرِ وعائشةَ ومعاويةَ رضوان الله عليهم أجمعين، ولا ندخل فيها شجر بينهم، أتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

وقال الإمام الباقلاني: ويجب الكف عن ذكر ما شجر بينهم، والسكوت عنه، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له: ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول؟

(١) - فتح الباري ١٣: ٣٤.

(٢) - شرح السنَّة للبرهاري ص ٣٢٩.

(٣) - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢: ١٨٥.

فقال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

الحشر: ١٠.

وسئل عن ذلك جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام. فقال: أقول ما قال الله:

﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ طه.

وسئل بعضهم عن ذلك فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ

وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٣٤ (١).

وقال القرطبي: وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن

الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا

عنهم (٢).

وسئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة فقال: وما يحكى عنهم

كثير منه كذب؛ والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين: فالمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا

أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له. وإن قدر أن لهم ذنوبا فالذنوب لا توجب دخول النار

مطلقا إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة.

منها: التوبة ومنها الاستغفار ومنها الحسنات الماحية ومنها المصائب المكفرة

ومنها شفاعة النبي ﷺ ومنها شفاعة غيره ومنها دعاء المؤمنين ومنها ما يهدى للميت من

الثواب والصدقة والعتق ومنها فتنة القبر ومنها أهوال القيامة. وقد ثبت في الصحيحين

عن النبي ﷺ أنه قال: (خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين

يلونهم). وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنبا يدخل به النار قطعاً فهو

كاذب مفتر. فإنه لو قال ما لا علم له به لكان مبطلا فكيف إذا قال ما دلت الدلائل

(١) - الإنصاف: ص ٢٣.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٣٢٢.

الكثيرة على نقيضه؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم - وقد نهى الله عنه: من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل - فهو ظالم معتد. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (تَمَرُّقُ مَا رَفَعْنَا فَرَقَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ) (١). وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال عن الحسن: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فَتَيَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٢).

وفي الصحيحين عن عمار أنه قال: (تقتله الفئة الباغية) وقد قال تعالى في القرآن:

﴿وَأِنْ طَافْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) الحجرات، فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون وأن علي بن أبي طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقاتلة له والله أعلم (٣).

وقال أيضاً: وأهل السنة تحسن القول فيهم وترحم عليهم وتستغفر لهم لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ﷺ ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ لكن كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦) الأحقاف (٤).

وعن حميد بن زياد أنه قال: قلت: يوماً لمحمد بن كعب القرظي: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم من الفتن فقال لي: إن الله تعالى قد غفر لجميعهم

(١) - رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢٥٠٧).

(٢) - رواه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٧٠٤).

(٣) - مجموع فتاوى ابن تيمية ٣: ٣٨٧.

(٤) - مجموع فتاوى ابن تيمية ٣: ٣٨٨.

وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم فقلت له: في أي موضع أوجب لهم الجنة؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ الآية فتعلم أنه تعالى أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً قلت: وما ذلك الشرط؟ قال: شرط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، وهو أن يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك أو يقال: هو أن يتبعوهم بإحسان في القول، وأن لا يقولوا فيهم سوءاً، وأن لا يوجهوا الطعن فيما أقدموا عليه، قال حميد بن زياد: فكأنني ما قرأت هذه الآية قط <sup>(١)</sup>.

وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴿١٣٤﴾ البقرة: ١٣٤.

وسئل بعضهم عنها فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه. وقال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. وقال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله ﷻ، إذ كانوا غير متهمين في الدين <sup>(٢)</sup>.

(١) - مفاتيح الغيب ٨: ١٢٩، وتفسير اللباب ٨: ٣٥٣، وروح المعاني ٦: ٩.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٣٢٢.

وقال الزركشي: وأما ما وقع بينهم من الحروب والفتن فتلك أمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد، والمخطئ معذور بل ومأجور، وكما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا<sup>(١)</sup>.

وقال ابن دقيق العيد: وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل وكذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحاً أو لئاه تأويلاً حسناً، لأن الثناء عليهم من الله سابق، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق المعلوم.

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني: «ويجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهرة الطعن فيهم على محامل وتأويلات سيما المهاجرين والأنصار، وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدمراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهدت بذلك الآيات والأخبار الصحاح، وتفصيلها في كتب الحديث والسير والمناقب وكف اللسان عن الطعن فيهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن سوار العبدي قاضي البصري: «السُّنة عندنا تقديم أبي بكر وعمر وعثمان والحب للصحابة جميعاً، والكف عن مساوئهم، وعظيم الرجاء لهم»<sup>(٣)</sup>.  
ولهذا كان السلف يوصون بعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة.

وقال الشافعي رحمه الله للربيع: «أقبل مني ثلاثة أشياء لا تخض في أصحاب رسول الله ﷺ فإن خصمك النبي ﷺ يوم القيامة، ولا تشتغل بعلم الكلام فإني أطلعت من أهل الكلام على أمر عظيم، ولا تشتغل بالنجوم، فإنه يجر إلى التعطيل»<sup>(٤)</sup>.  
وقال سفيان الثوري رحمه الله: «لا تشتم السلف وادخل الجنة بسلام»<sup>(٥)</sup>.

(١) - البحر المحيط ٥: ٣٤١.

(٢) - شرح المقاصد ٥: ٣٠٣، ونقله الألويسي في صبِّ العذاب: ٣٩٥.

(٣) - تهذيب التهذيب ٥: ٢٤٨.

(٤) - توالي التأسيس: ٧٣، سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٨.

(٥) - الشرح والإبانة الكبرى لابن بطة: ٢٥٧.

وقال العلامة السفاريني رحمه الله: «ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الاجتماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم، ولهذا قال علماءنا كغيرهم من أهل السُّنة ومنهم ابن حمدان في «نهاية المبتدئين»: «يجب حب كل الصَّحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة وإقراءً وسماعاً وتسميماً، ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفراً ولا فسقاً بل ربما يثابون عليه؛ لأنه اجتهاد سائغ».

وقال أيضاً: «والذي أجمع عليه أهل السُّنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تركية جميع الصَّحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم».

وقال الحافظ ابن حجر: «واتفق أهل السُّنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصَّحابة بسبب واقعه لهم من ذلك ولو عرف المحقُّ منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «وما زال يمر بنا في الدواوين والكتب والأجزاء - يعني من الأخبار التي تحكي ما شجر بين الصَّحابة - ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوافر على حب الصَّحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العربي من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى، حيث يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَّحُوا بِالْإِيمَنِ وَلَا نَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

﴿١٠﴾ الحشر الآية.

(١) - فتح الباري ١٣: ٣٤.



فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محاء وعبادة مخصصة،  
ولسنا ممن يغلوا في أحد منهم ولا ندعي فيهم العصمة ونقطع بأن بعضهم أفضل من  
بعض».

ثم قال بعد كلام طويل: «وما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك، فلا  
نعرج عليه ولا كرامة، فأكثره باطل وكذب وافتراء، ودأب الرافضي رواية الأباطيل أو  
رد ما في الصحاح والمسانيد ومتى إفاقة من به سكران».

ثم قال: والعاقل خصم نفسه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه<sup>(١)</sup>.

لقد كان السلف رضوان الله عليهم يطردون من مجالسهم من يسب أصحاب  
رسول الله ﷺ أو يقع فيهم؛ ففي ترجمة سلام بن سليم الحنفي وكنيته أبو الأحوص، قال  
العجلي: كان ثقة صاحب سنة واتباع، وكان إذا ملئت داره من أصحاب الحديث قال  
لابنه أحوص: «يا بني، قم فمن رأيت يشتم أحداً من الصحابة، فأخرجه ما يجيء بكم  
إلينا»<sup>(٢)</sup>.

وقد هاجر الخرقى رحمه الله - صاحب المختصر الذي شرحه ابن قدامة - من  
بلده بغداد التي كان يسكنها لما ظهر بها سب الصحابة<sup>(٣)</sup>.  
لقد كان العلماء يحدرون ممن يسب الصحابة ولو كان هذا الساب ممن أوتي قسطاً  
من العلم، فكانوا يحدرون الناس منه، ومن الأخذ عنه، فقد روي الإمام مسلم في  
مقدمة صحيحه بسنده عن عبد الله ابن المبارك أنه صعد على المنبر، وقال: «دعوا حديث  
عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف»<sup>(٤)</sup>.



(١) - السير ١٠: ٩٣.

(٢) - السير ٨: ٢٨٢.

(٣) - البداية والنهاية ١١: ٢٤٢.

(٤) - رواه مسلم في مقدمة صحيحه رقم (٣٢).

## الفصل الرابع

### ذكر محاسنهم، والحذر من انتقاصهم وسبهم

قال العوام بن حوشب: «أدرت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليهم القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: «تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى.

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار

لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم

قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله بسفك دمائهم،

وإدحاض حجتهم»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الْمُهَاجِرِينَ﴾ الحشر: ٨ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت؟ قال: لا ثم قرأ عليه

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الحشر: ٩ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟

قال: لا. ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الحشر: ١٠. الآية، ثم قال: أفمن

هؤلاء أنت؟ قال: أرجو. قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء<sup>(٣)</sup>.

(١) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٣٧١)، وأبو بكر بن الخلال في كتابه السُّنَّة

(٨٣٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١١٧٦)، والآجري في الشريعة (١٩١٠).

(٢) - رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢٣٣٢)، معالم التنزيل ٨: ٨٠، تفسير الخازن ٦: ٧٦، والجامع

لأحكام القرآن ١٨: ٣٣.

(٣) - الدر المنثور ٩: ٤٦٧. وقال: أخرجه ابن مردويه.

وعن ابن عمر أنه بلغه أن رجلاً نال من عثمان، فدعاه فأقعدته بين يديه، فقرأ عليه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الحشر: ٨ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الحشر: ١٠ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم. قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: أن نفرًا من أهل العراق جاءوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان عليه السلام فأكثرُوا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا.

فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا: لا.

فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠. قوموا، فعل الله بكم وفعل! <sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن: أدركت ثلاثمائة من الصحابة منهم سبعون بدرياً كلهم يحدثني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه) <sup>(٣)</sup>، فالجماعة أن لا تسبوا الصحابة ولا تماروا في دين الله ولا تكفروا أحداً من أهل التوحيد بذنب <sup>(٤)</sup>.

وعن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لسلفكم فشتتموهم، أما إني سمعت

(١) - الدر المنثور ٩: ٤٦٧. وقال: أخرجه ابن مردويه.

(٢) - المحرر الوجيز ٦: ٣٣٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨: ٣١.

(٣) - الحديث رواه الترمذي في باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٧٩٠)، والحاكم في المستدرک (٣٦٨) و

(١٤٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وابن حبان في صحيحه (٦٣٣٩) وابن خزيمة (١٧٨٩).

(٤) - المحرر الوجيز ٦: ٣٣٤، والجواهر الحسان للثعالبي ٤: ٧٥.

نبيكم ﷺ يقول: (لا تفنى هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها) <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعن الله شرکم) <sup>(٢)</sup>.

وقد سئل عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين فقال: «تلك دماء كف الله عنها يدي، فلا أحب أن ألتخ بها لساني» <sup>(٣)</sup>.

وعن جابر قال: قيل لعائشة: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر فقالت «وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر» <sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «ومن الحجّة الواضحة الثابتة اليقينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبتهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً بل حبه سنة والدعاء لهم قرينة والافتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة

(١) - رواه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى (١٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥٣٩٩).

(٢) - رواه الترمذي في باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ (٣٨٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٦٩)، وفي الأوسط (٨٦٠١).

(٣) - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، (١٠٩٦) واللفظ له، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٥: ٣٩٤، والخطابي في العزلة (١٠١)، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٦٥: ١٣٣، وأبو نعيم في الحلية ٤: ٩٨.

(٤) - تفسير الخازن ٦: ٧٦.

وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، والكف عن ذكر ما شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحداً منهم، أو تنقصهم، أو طعن فيهم، أو عرض بعيبهم، أو عاب أحداً منهم، فهو مبتدعٌ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبههم سنة، والدعاء لهم قرينة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، ومن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف، فهم فيه مجتهدون، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطؤون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، لكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى أخطاء غيرهم، ولهم من الله المغفرة والرضوان ﷻ.

وقال الإمام الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان، والأمان، والفوز، والجنان. وأن الصحابة ﷺ إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر، ولا يفسقون ولا يبدعون.

والدليل على قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة: ١٠٠. وقوله

تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(١٨)</sup> الفتح وقوله ﷺ: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه.

(١) - طبقات الحنابلة ١: ١١.

ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن عليه السلام: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ،  
وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) <sup>(١)</sup>، فأثبت العظم لكل واحدة  
من الطائفتين، وحكم لهم بصحة الإسلام. وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من  
صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ <sup>(٤٧)</sup>  
الحجر <sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا أن  
يطعن على أحد منهم بعيبٍ ولا نقص، فمن فعل ذلك وجب تأديبه» <sup>(٣)</sup>.  
وقد أنكر الإمام أحمد على من جمع الأخبار التي فيها طعن على بعض أصحاب  
رسول الله ﷺ وغضب لذلك غضباً شديداً فعن أبي بكر المروزي، قال: سمعت أبا عبد  
الله، يقول: إن قوما يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله ﷺ، وقد  
حكوا عنك أنك قلت: أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث  
يعرفها، فغضب وأنكره إنكاراً شديداً، وقال: «باطل، معاذ الله، أنا لا أنكر هذا، لو كان  
هذا في أفناء الناس لأنكرته، كيف في أصحاب محمد ﷺ، وقال: أنا لم أكتب هذه  
الأحاديث»، قلت لأبي عبد الله: فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها  
أيهجر؟ قال: «نعم، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم»، وقال أبو عبد الله:  
جاءني عبد الرحمن بن صالح، فقلت له: تحدث بهذه الأحاديث؟ فجعل يقول: قد  
حدث بها فلان، وحدث بها فلان، وأنا أرفق به، وهو يحتاج، فرأيت به بعد فأعرضت عنه  
ولم أكلمه <sup>(٤)</sup>.

وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله على من جمع الأخبار التي فيها طعن على بعض  
أصحاب رسول الله ﷺ وغضب لذلك غضباً شديداً وقال: (لو كان هذا في أفناء الناس

(١) - رواه البخاري في كتاب الصلح، باب قَوْل النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٧٠٤).

(٢) - الإنصاف: ص ٢٢.

(٣) - الصارم المسلول.

(٤) - رواه أبو بكر بن الخلال في كتابه السُّنَّة (٨٠٩).

لأنكرته، فكيف في أصحاب رسول الله ﷺ؟ وقال: أنا لم أكتب هذه الأحاديث، قال  
المروزي: قلت لأبي عبد الله: فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟  
قال: نعم يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم<sup>(١)</sup>.

وجاء رجلٌ إلى سفيان الثوريِّ فقال: ما تقولُ في شتمِ معاوية؟ فقال: متى عهدُك  
بشتمِ فرعون؟ قال: ما خطر ببالي. قال: ففرعون أولى بالسبِّ منه<sup>(٢)</sup>.



---

(١) - رواه الخلال في السُّنَّة (٣/٥٠١).

(٢) - تاريخ دمشق ٥٩/٢٠٩.

## الفصل الخامس

### إثبات عدالتهم واعتقاد أنهم أفضل الأمة وخيرها

قال الإمام الغزالي في عدالة الصّحابة: وهو معتقدنا في جميعهم على الإطلاق، وعليه ينبغي قبول روايتهم<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن حزم: وكلهم عدل إمام فاضل رضي، فرض علينا توقييرهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم ونحبهم، وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسة من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضل من عبادة أحدنا دهره كله.

وقال الإمام الباقلاني: ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصّحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم، ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين، كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً، ونبدع، ونضلل، ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن، لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم، فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك<sup>(٢)</sup>.



(١) - المنحول: ص ٣٥٦.

(٢) - الإنصاف: ص ٢٢.



## الفصل السادس

### اتباعهم والافتداء بهم، والاستئنان بسنتهم

قال الإمام أحمد: والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وقال الحاكم: وقد أجمعوا على أن قول الصحابي: سنة، حديث مسند<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام السرخسي: وأما السنة: فهي الطريقة المسلوكة في الدين، مأخوذة

من سنن الطريق، ومن قول القائل: سن الماء إذا صبه حتى جرى في طريقه، وهو

اشتقاق معروف، والمراد به شرعاً ما سنّه رسول الله ﷺ والصحابة بعده عندنا.

فإطلاق هذا اللفظ عندنا لا يوجب الاختصاص بسنة رسول الله ﷺ، فقال عليه

السّلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة

سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والسلف كانوا يطلقون اسم السنة على طريقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكانوا يأخذون

البيعة على سنة العمرين، وقال عليه السّلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من

بعدي عضوا عليها بالنواجذ) إذا ثبت هذا فنقول: حكم السنة هو الاتباع، فقد ثبت

بالدليل أن رسول الله ﷺ متبع فيما سلك من طريق الدين قولاً وفعلاً، وكذلك الصحابة

بعده، وهذا الاتباع الثابت بمطلق السنة خال عن صفة الفرضية والوجوب إلا أن

يكون من أعلام الدين، فإن ذلك بمنزلة الواجب في حكم العمل على ما قال مكحول

رحمه الله: السنة سنتان: سنة أخذها هدى وتركها ضلالة، وسنة أخذها حسن وتركها لا

بأس به، فالأول نحو صلاة العيد والأذان والإقامة والصلاة بالجماعة، ولهذا لو تركها

قوم استوجبوا اللوم والعتاب، ولو تركها أهل بلدة وأصروا على ذلك قوتلوا عليها

ليأتوا بها، والثاني نحو ما نقل من طريقة رسول الله ﷺ في قيامه وقعوده ولباسه وركوبه،

وسننه في العبادات متبوعة أيضاً، فمنها ما يكره تركها، ومنها ما يكون التارك مسيئاً،

ومنها ما يكون المتبع لها محسناً ولا يكون التارك مسيئاً، وعلى هذا تخرج الألفاظ المذكورة

في باب الأذان من قوله يكره وقد أساء ولا بأس به، وحيث قيل يعيد فهو دليل

(١) - المستدرک بعد الحدیث رقم (١٢٧٠) ٣: ٣٤٩.

الوجوب، وعلى هذا الخلاف قول الصَّحَابِي: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا عندنا لا يقتضي مطلقه أن يكون الأمر رسول الله ﷺ، وعند الشافعي مطلقه يقتضي ذلك، وقد كانوا يطلقون لفظ الأمر على ما أمر به أبو بكر وعمر ﷺ، كما كانوا يطلقون لفظ السُّنَّة على سنة العمرين<sup>(١)</sup>.

وذكر السرخسي عن أبي سعيد البردعي رحمه الله أنه كان يقول: قول الواحد من الصَّحَابَةِ مقدم على القياس يترك القياس بقوله. قال السرخسي: وعلى هذا أدركنا مشايخنا.

وعن أبي الحسن الكرخي رحمه الله: أنه كان يقول: أرى أبا يوسف يقول في بعض مسائله: القياس كذا إلا أني تركته للأثر، وذلك الأثر قول واحد من الصَّحَابَةِ. فهذه دلالة بينة من مذهبه على تقديم قول الصَّحَابِي على القياس<sup>(٢)</sup>.

وقال الشافعي: مطلق السُّنَّة يتناول سنة رسول الله ﷺ فقط، وهذا لأنه لا يرى تقليد الصَّحَابِي ويقول: القياس مقدم على قول الصَّحَابِي فإنما يتبع حجته لا فعله، وقوله بمنزلة من بعد الصَّحَابَةِ فإنه يتبع حجته لا مجرد فعلهم وقولهم إذا لم يبلغوا حد الإجماع<sup>(٣)</sup>.

وقال السرخسي: وللشافعي في المسألة قولان: كان يقول في القديم: يقدم قول الصَّحَابِي على القياس، وهو قول مالك، وفي الجديد كان يقول: يقدم القياس في العمل به على قول الواحد والاثنين من الصَّحَابَةِ، كما ذهب إليه الكرخي.

وبعض أهل الحديث يخصون بترك القياس في مقابلة قولهم الخلفاء الراشدين، ويستدلون بقوله عليه السَّلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)

(١) - انظر: أصول السرخسي ١: ١١٣ وما بعدها.

(٢) - أصول السرخسي ٢: ١٠٥، وقد ذكر فيه كثيراً من المسائل التي تركوا فيها القياس استناداً لقول الصَّحَابِي.

(٣) - أصول السرخسي ١: ١١٤.

وبقوله عليه السّلام: (اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر) فظاهر الحديثين يقتضي وجوب اتباعهما وإن خالفهما غيرهما من الصّحابة<sup>(١)</sup>.

وقال الآمدي: اتفق الكل على أن مذهب الصّحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصّحابة المجتهدين، إماماً كان أو حاكماً أو مفتياً.

واختلفوا في كونه حجة على التابعين ومن بعدهم من المجتهدين: فذهبت الأشاعرة والمعتزلة والشافعي في أحد قوليه وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، والكرخي إلى أنه ليس بحجة، وذهب مالك بن أنس والرازي والبرذعي من أصحاب أبي حنيفة والشافعي في قول له وأحمد بن حنبل في رواية له إلى أنه حجة مقدمة على القياس، وذهب قوم إلى أنه إن خالف القياس فهو حجة، وإلا فلا، وذهب قوم إلى أن الحجة في قول أبي بكر وعمر دون غيرهما، والمختار أنه ليس بحجة مطلقاً.

وقد احتج النافون بحجج ضعيفة. فقوله عليه السّلام: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقوله عليه السّلام (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)، ولا يمكن حمل ذلك على مخاطبة العامة والمقلدين لهم، لما فيه من تخصيص العموم من غير دليل، ولما فيه من إبطال فائدة تخصيص الصّحابة بذلك، من جهة وقوع الاتفاق على جواز تقليد العامة لغير الصّحابة من المجتهدين، فلم يبق إلا أن يكون المراد به وجوب اتباع مذاهبهم.

وأما الإجماع فهو أن عبد الرحمن بن عوف ولّى علياً رضي الله عنه الخلافة بشرط الاقتداء بالشيخين، فأبى، وولى عثمان فقبل، ولم ينكر عليه منكر، فصار إجماعاً.

### وأما المعقول فمن وجوه:

**الأوّل:** أن الصّحابي إذا قال قولاً يخالف القياس، فإما أن لا يكون له فيما قال مستند، أو يكون: ولا يجوز أن يقال بالأوّل، وإلا كان قائلاً في الشريعة بحكم لا دليل عليه، وهو محرم، وحال الصّحابي العدل ينافي ذلك.

وإن كان الثّاني فلا مستند وراء القياس سوى النقل، فكان حجة متبعة.

(١) - أصول السرخسي ٢: ١٠٦.

**الثاني:** أن قول الصحابي إذا انتشر، ولم ينكر عليه منكر، كان حجة، فكان حجة مع عدم الانتشار، كقول النبي ﷺ.

**الثالث:** أن مذهب الصحابي إما أن يكون عن نقل أو اجتهاد: فإن كان الأول، كان حجة، وإن كان الثاني، فاجتهاد الصحابي مرجح على اجتهاد التابعي ومن بعده، لترجحه بمشاهدة التنزيل، ومعرفة التأويل، ووقوفه من أحوال النبي عليه السلام، ومراده من كلامه، على ما لم يقف عليه غيره، فكان حال التابعي إليه كحال العامي بالنسبة إلى المجتهد التابعي، فوجب اتباعه له<sup>(١)</sup>.

وسنة الصحابة هي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأي، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسیناً للظن بهم، وجزم بذلك الرازي في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث<sup>(٢)</sup>.  
وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك.

والراجح من هذا الخلاف: أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأي غير واحد من أئمة الأصول، منهم الشاطبي رحمه الله فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به<sup>٥</sup> ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

١- ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي ﷺ، لقوله ﷺ: (فعلیکم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجذ)<sup>(٣)</sup>.

(١) - الإحكام في أصول الأحكام ٤: ١٥٢.

(٢) - يُنظر: المحصول ٢: ٢٢١، والإحكام للآمدي ٢: ٨٧، وإعلام الموقعين ٤: ١٢٣، وفتح المغيبي للسخاوي ١: ١٤٤، وتدريب الراوي ١: ١٩٠.

(٣) - سبق تحريجه.

٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابي على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافها - ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعترين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مأخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا فيه. ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تركيتهم والحث على متابعتهم.

وذكر الشاطبي في كتابه الاعتصام عن الصحابة أنهم المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على علم، وبصيرة بمواطن التشريع، وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم: فإذا كل ما سنوه، فهو سنة، من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر ردّاً وقبولاً<sup>(١)</sup>.

**سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية:** يقول المستشار الدكتور علي حريشة بعد أن رد اعتراضات المنكرين لحجية مذهب الصحابي، قال: وسنة الصحابة يمكن أن تكون مصدراً للأحكام الدستورية، ولقد كان نظام الخلافة وليد اجتهاد الصحابة فضرورة البيعة، وهي مظهر رضا المسلمين كانت عليها سنة الصحابة، فلم يل أحدهم دون بيعة، ولم يكن الاستخلاف بالنسبة لمن استخلفوا إلا ترشيحاً، واستمرار الخلافة مدى حياة الخليفة كان سنة للصحابة، تحقق بها ميزات عجز عنها كل من النظام

(١)- الاعتصام ٢: ٥١٩.

الجمهوري، والنظام الملكي على السواء، فقد وفرت الثبات الذي ينقص الأنظمة الجمهورية، ونفت التوارث الذي يعيب الأنظمة الملكية<sup>(١)</sup>.

### أدلة وجوب اتباع الصحابة:

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين ما يزيد على أربعين دليلاً على وجوب اتباع الصحابة ﷺ، ومما قاله في ذلك:

١- ما احتج به مالك، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة: ١٠٠ فوجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم، فإذا قالوا قولاً فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محموداً على ذلك، وأن يستحق الرضوان، ولو كان اتباعهم تقليداً محضاً، كتقليد بعض المفتين لم يستحق من اتبعهم الرضوان إلا أن يكون عامياً، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ.

٢- وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يس هذا

قصه الله سبحانه وتعالى عن صاحب ياسين، على سبيل الرضاء بهذه المقالة، والثناء على قائلها، والإقرار له عليها، وكل واحد من الصحابة لم يسألنا أجراً، وهم مهتدون، بدليل قوله تعالى خطاباً لهم: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣ و«العل» من الله واجب وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ

مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ نَقَدْتَهُمْ﴾ محمد وقوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ سَبَّحْتَهُمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمِ﴾ محمد وقوله

(١) - من: عدالة الصحابة للدكتور عماد السيد الشربيني: ٥٥ وما بعدها.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: ٦٩. وكل منهم قاتل في سبيل الله وجاهد إما بيده أو بلسانه، فيكون الله قد هداهم، وكل من هداه فهو مهتد فيجب اتباعه بالآية.

٣- ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: (صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ فقلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا فقال: ما زلتُم هاهنا؟ فقلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم، وأصبتُم ورفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم، وحرزا من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزا لهم، وهذا من المحال.

٤- ما رواه الترمذي من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: (عليكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)، فقرن سنة خلفائه بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعرض عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنوه للأمة، وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيء، وإلا كان ذلك سنته، ويتناول ما أفتى به جميعهم أو أكثرهم أو بعضهم لأنه علق ذلك بما سنه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك وهم

خلفاء في آن واحد، فعلم أن ما سنه كل واحد منهم في وقته فهو من سنة الخلفاء الراشدين.

٥- ما رواه الترمذي من حديث الثوري عن عبد الملك بن عمير عن هلال مولى ربي بن حراش عن ربي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد).

٦- ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: (إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا)، فجعل الرشد معلقاً بطاعتها، فلو أفتوا بالخطأ في حكم، وأصابه من بعدهم لكان الرشد في خلافها.

٧- أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر في شأن تأمير القعقاع بن حكيم والأقرع بن حابس: (لَوْ اتَّفَقْتُمَا لِي مَا شَاوَرْتُ غَيْرَكُمَا) <sup>(١)</sup>، فهذا رسول الله ﷺ يخبر أنه لا يخالفها لو اتفقا.

٨- أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: (هذان السمع والبصر) <sup>(٢)</sup>، أي هما مني بمنزلة السمع والبصر، أو هما من الدين بمنزلة السمع والبصر، ومن المحال أن يحرم سمع الدين وبصره الصواب ويظفر به من بعدهما.

٩- ما رواه ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء، وكان في القرآن أو السنة قال به، وإلا قال بما قال به أبو بكر وعمر، فإن لم يكن قال برأيه، فهذا ابن عباس - واتباعه للدليل وتحكيمه للحجة معروف، حتى إنه يخالف لما قام عنده من الدليل أكابر الصحابة - يجعل قول أبي بكر وعمر حجة يؤخذ بها بعد قول الله ورسوله، ولم يخالفه في ذلك أحد من الصحابة.

١٠- ما رواه أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: كتب عمر ﷺ إلى أهل الكوفة «قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا قولهما، وقد

(١) - رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٥٥٣).

(٢) - رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٣٦٧١)، والحاكم في المستدرک (٤٤٣٢).



آثرتكم بعبد الله على نفسي» فهذا عمر قد أمر أهل الكوفة أن يقتدوا بعمار وابن مسعود ويسمعوا قولهما، ومن لم يجعل قولهما حجة يقول: لا يجب الاقتداء بهما ولا سماع أقوالهما إلا فيما أجمعت عليه الأمة، ومعلوم أن ذلك لا اختصاص لهما به، بل لا فرق فيه بينهما وبين غيرهما من سائر الأمة.

١١- أن الصحابي إذا قال قولاً أو حكم بحكم أو أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها عنا، ومدارك نشاركه فيها، فأما ما يختص به فيجوز أن يكون سمعه من النبي ﷺ شفاهها أو من صحابي آخر عن رسول الله ﷺ، فإن ما انفردوا به من العلم عنا أكثر من أن يحاط به، فلم يرو كل منهم كل ما سمع، وأين ما سمعه الصديق ﷺ والفراروق وغيرهما من كبار الصحابة رضي الله عنهم إلى ما روه؟ فلم يرو عنه صديق الأمة مائة حديث، وهو لم يغب عن النبي ﷺ في شيء من مشاهدته، بل صحبه من حين بعث بل قبل البعث إلى أن توفي، وكان أعلم الأمة به ﷺ بقوله وفعله وهدية وسيرته، وكذلك أجلة الصحابة روايتهم قليلة جداً بالنسبة إلى ما سمعوه من نبيهم، وشاهدوه، ولو روى كل ما سمعوه وشاهدوه لزد على رواية أبي هريرة أضعافاً مضاعفة، فإنه إنما صحبه نحو أربع سنين، وقد روى عنه الكثير، فقول القائل: «لو كان عند الصحابي في هذه الواقعة شيء عن النبي ﷺ لذكره» قول من لم يعرف سيرة القوم وأحوالهم، فإنهم كانوا يهابون الرواية عن رسول الله ﷺ ويعظمونها ويقللون خوف الزيادة والنقص، ويحدثون بالشيء الذي سمعوه من النبي ﷺ مراراً، ولا يصرحون بالسماع، ولا يقولون قال رسول الله ﷺ.

فتلك الفتوى التي يفتي بها أحدهم لا تخرج عن ستة أوجه، أحدها: أن يكون سمعها من النبي ﷺ، الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها منه، الثالث: أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فيها خفي علينا، الرابع: أن يكون قد اتفق عليها ملوهم، ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي بها وحده، الخامس: أن يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا، أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب، أو لمجموع أمور فهموها على طول الزمان من رؤية النبي ﷺ ومشاهدة أفعاله، وأحواله وسيرته وسماع كلامه والعلم بمقاصده وشهود تنزيل الوحي ومشاهدة تأويله بالفعل، فيكون فهم ما لا

نفهمه نحن، وعلى هذه التقادير الخمسة تكون فتواه حجة يجب اتباعها، السادس: أن يكون فهم ما لم يردده الرسول ﷺ، وأخفاً في فهمه، والمراد غير ما فهمه، وعلى هذا التقدير لا يكون قوله حجة، ومعلوم قطعاً أن وقوع احتمال من خمسة أغلب على الظن من وقوع احتمال واحد معين، هذا ما لا يشك فيه عاقل، وذلك يفيد ظناً غالباً قوياً على أن الصواب في قوله دون ما خالفه من أقوال من بعده، وليس المطلوب إلا الظن الغالب، والعمل به متعين، ويكفي العارف هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

### سنة الخلفاء الراشدين:

قال ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث نصٌّ في وجوب التزام سنة الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ كنظام الولاية والخلافة، وتدوين الدواوين، وسياسة الأمة، ونظام الحرب، وشروط الصلح، وجمع المصحف، وتوحيد القراءة، ونحو هذا مما سنه الخلفاء الراشدون<sup>(٣)</sup>.

قال الكشميري: وفي شرح هذا الحديث قولان، قيل: إن سنة الخلفاء والطريقة المسلمة عنهم أيضاً سنة وليس ببدعة، وقيل: إن سنة الخلفاء في الواقع سنة النبي ﷺ وإنما ظهرت على أيديهم، ويمكن لنا أن نقول: إن الخلفاء الراشدين مجازون في إجراء المصالح المرسله، وهذه المرتبة فوق مرتبة الاجتهاد، وتحت مرتبة التشريع، والمصالح المرسله: الحكم على اعتبار علة لم يثبت اعتبارها من الشارع، وهذا جائز للخلفاء الراشدين لا للمجتهدين، وزعم البعض أن الخلفاء الراشدين ليس لهم إلا ما للمجتهدين، وهذا غير صحيح، وبعض مسائل أبي حنيفة تدل على أن لهم مسأغ إجراء المصالح المرسله<sup>(٤)</sup>.

(١) - انظر إعلام الموقعين ٤: ٤٤٠ وما بعدها.

(٢) - سبق تخريجه.

(٣) - البيان المأمول في علم الأصول للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق:.

(٤) - العرف الشذي شرح سنن الترمذي ٢: ٦٩.

و«سنة الخلفاء الراشدين المهديين» يعني الذين شملهم الهدى وهم الأربعة بالإجماع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.  
وأمره ﷺ بالثبات على سنة الخلفاء الراشدين لأمرين:  
**أحدهما:** التقليد لمن عجز عن النظر.

**والثاني:** الترجيح لما ذهبوا إليه عند اختلاف الصحابة <sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية: والذي لا ريب فيه أنه حجة ما كان من سنة الخلفاء الراشدين الذي سنوه للمسلمين ولم ينقل أن أحدا من الصحابة خالفهم فيه فهذا لا ريب أنه حجة بل إجماع. وقد دل عليه قول النبي ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة).

مثال ذلك حبس عمر وعثمان رضي الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمتها على الغانمين، فمن قال: إن هذا لا يجوز قال: لأن النبي ﷺ قسم خيبر وقال: إن الإمام إذا حبسها نقض حكمه لأجل مخالفة السنة فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين؛ فإن فعل النبي ﷺ في خيبر إنما يدل على جواز ما فعله لا يدل على وجوبه فلو لم يكن معنا دليل يدل على عدم وجوب ذلك لكان فعل الخلفاء الراشدين دليلاً على عدم الوجوب، فكيف وقد ثبت أنه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة. اهـ.

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستنأ فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ».



(١) - شرح الأربعين النووية للنووي: ٢٥.

## الفصل السَّابع

### التربية على حُبِّ الصَّحابة

ويكون ذلك بنشر محاسنهم، وبيان فضائلهم، وتربية أنفسنا وأهلينا وأبنائنا وإخواننا على ذلك، وتشجيع وإعانة كل من سعى في هذا الباب المبارك.

وقد كان السَّلف منهم: طاووس ومسروق والحسن رحمهم الله تعالى يعلمون أبناءهم حب أبي بكر وعمر والصَّحابة رضي الله عنهم كما يعلمونهم السورة من القرآن <sup>(١)</sup>.

قال علي بن الحسين رضي الله عنه: «كنا نُعلم مغازي النَّبي صلى الله عليه وآله كما نعلم السورة من القرآن» <sup>(٢)</sup>.

وقال مالك بن أنس: «صاحو السَّلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهم كما يعلمون السورة من القرآن» <sup>(٣)</sup>.

وعن مسروق قال: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلها من السُّنَّة» <sup>(٤)</sup>.



(١) - شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٧/ ١٣١٣.

(٢) - رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٦٠٢)، وذكره ابن كثير في السيرة النبوية ٢: ٣٥٥، وفي البداية والنهاية ٣: ٢٩٧، وقال: رواه الواقدي.

(٣) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤: ٣٨٣.

(٤) - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٣٩٢.

## الخاتمة

### نتائج البحث وتوصيات

وبعد هذا البحث عن الصحابة أستخلص أهم النتائج المستفادة منه وهي:

**أولاً:** تضافر النصوص من القرآن الكريم، والسنة النبوية على فضل الصحابة رضي الله عنهم، ورفع منزلتهم، وأن قرنها أفضل القرون في التاريخ على الإطلاق.

**ثانياً:** أن الصحابة كلهم عدول، لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، وإجماع من يعتد بهم من العلماء على ذلك، وأن معنى عدالتهم: قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عنهم، وأنهم لا يتعمدون الكذب عليه رضي الله عنهم، وليس معنى ذلك عصمتهم من الذنوب.

**ثالثاً:** أنه لا يجوز لأحد أن يسب أو ينتقص أحداً من الصحابة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وأقوال السلف مشهورة في النهي عن سبهم أو انتقاصهم.

**رابعاً:** أن الصحابة هم أول من جمعوا القرآن، وحفظوا السنة، وهم أعلم الناس بدين الله، وعن طريقهم نقل إلينا هذا الدين، وما من علم من العلوم الشرعية إلا وكان للصحابة السبق في نشره وتعليمه، فأسسوا من خلال ذلك حضارة إسلامية شامخة باذخة، ففي علم الحديث النبوي هم الذين سنوا قوانين الرواية من خلال التحري والتثبت فيها، وسؤالهم عن الإسناد لما وقعت الفتنة فقد كان حاسماً لوضع الموضوعين من أصحاب الأهواء وغيرهم، ونقدتهم لمتن الحديث، وكتابة الحديث، ورحلتهم في طلب الحديث، وتعظيمهم واحترامهم للسنة النبوية.

**خامساً:** أن تدوين الحديث كان أحد العوامل في حفظه، وقد بدأ في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من خشي النسيان من الصحابة يكتب ما سمعه منه رضي الله عنه، كما أن بعض الصحابة كانت لهم صحف خاصة يدونون فيها بعض ما سمعوه كصحيفة عبد الله بن عمرو؛ خلافاً لمن يزعم أن تدوين الحديث تأخر، فلم يبدأ إلا في المائة الثانية للهجرة، مما

أعطى الفرصة للزيادة فيه والنقص.

**سادساً:** أن نقد المتن كان معروفاً عند صحابة رسول الله ﷺ، وبه أخذ العلماء من بعدهم، خلافاً لمن يدعي أن المحدثين لا يشغلون أنفسهم بنقد العبارة والمتن، وأنهم إنما ينحصر بحثهم في سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، وأن نقدهم تهمن عليه النزعة الشكلية.

**سابعاً:** أن واجبه وحقهم علينا عظيم، فمن ذلك: وجوب محبتهم، وأنها من الإيمان، وذكر محاسنهم، وأن من أصول عقيدة أهل السنة: عدم الخوض فيما شجر بين الصحابة، والترضي عنهم، والاستغفار لهم.



## وأهمُّ ما أرى من التوصيات:

- ١- أهميّة إحياء حياة الصّحابة رضي الله عنهم في حياة الأُمَّة، ونشر أخبارهم ومناقبتهم، وما قدّموا في سبيل الله ﷻ من تضحيات، وبخاصّة الخلفاء الراشدين، وكبار الصّحابة رضي الله عنهم، وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ.
- ٢- ضرورة الاهتمام بسيرة الخلفاء الراشدين بحثاً ودراسةً وتعليماً، لما كان لهم من الأثر العظيم في بناء دولة الإسلام، وتوطيدها وتمكينها.
- ٣- ضرورة تربية الناشئة على حبّ الصّحابة رضي الله عنهم والأدب معهم، والحذر من انتقاص أيّ واحد من أصحاب رسول الله ﷺ، إذ حبُّهم من حبّ الله ورسوله ﷺ، وانتقاصهم من علامات النفاق والابتداع في الدين والعياذ بالله تعالى.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

هذا والله تعالى أعلم

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه سيّدنا محمّد

وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين .



## أهمُّ المصادر والمراجع

- صحيح البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
- صحيح مسلم، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣.
- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتاب العربي بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
- المنتقى من السنن المسندة لعبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- سنن الدارقطني (علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم ياني المدني، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، نشر مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، دار الفكر.
- المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله تعالى عني بتحقيقه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.



- السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر

- شرح مسند أبي حنيفة للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه مع شرحه للإمام الملا علي القاري الحنفي، تحقيق الشيخ خليل محيي الدين الميس دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- مسند إسحاق بن راهويه تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوسي، توزيع مكتبة الإيمان المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

- السُّنَّة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق الدكتور عطية الزهراني، دار الراية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

- الفتن لنعيم بن حماد المروزي تحقيق : سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الرَّابِعة، ١٤٠٥ هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٨ هـ.

- مسند أبي يعلى (أحمد بن علي بن المشنى أبو يعلى الموصلي التميمي) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م.

- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق إحسان عباس الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨ م.

- الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي بيروت.
- تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وصححه وضبطه نخبه من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.
- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للإمام أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣ هـ.
- تاريخ دمشق للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- تاريخ المدينة المنورة لابن شبة أبي زيد عمر بن شبة النميري البصري ١٧٣ - ٢٦٢ هـ، تحقيق فهيم محمد شلتوت، من منشورات دار الفكر.
- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.
- معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع

- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

- المحلى للإمام أبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ. طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات دار الفكر.

- أصول السرخسي للإمام الفقيه الأصولي النظار أبي بكر محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق أبو الوفاء الافغاني، الناشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر اباد الدكن بالهند دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- الإحكام في أصول الأحكام تأليف الإمام العلامة علي بن محمد الأمدي علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

- الإحكام في أصول الأحكام للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، قوبلت على نسخة أشرف على طبعتها الأستاذ العلامة أحمد شاكر رحمه الله الناشر زكريا على يوسف مطبعة العاصمة بالقاهرة.

- عمر بن الخطاب، عبد الرحمن أحمد البكري، الإرشاد للطباعة والنشر بيروت لندن.

- السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامي، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشميني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٤٠٩ هـ.

- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٦ - ١٩٨٥ م.  
- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨ - ١٤١٨.

- أحكام أهل الذمة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر، ودار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩.

- حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

- مصادر تلقي السيرة النبوية للدكتور محمد أنور بن محمد علي البكري، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

- عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين لأكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان.

- المشروع والممنوع في المسجد لمحمد بن علي العرفج، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة ٩٧٥ تحقيق الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السقا مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م مؤسسة الرسالة بيروت.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للإمام أبي الفضل جلال الدين السيوطي، مؤسسة الريان الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مطابع جامعة الرياض.
- زاد المسير في علم التفسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي، مطبعة الفتح بجدة، الحجاز عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- فضائل الصحابة الكرام ﷺ للدكتور خليل إبراهيم ملاً خاطر العزامي دار القبلة للثقافة الإسلامية. الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- صحابة رسول الله ﷺ لعيادة أيوب الكيسي. دار القلم، والمنارة، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- إنهم أصحاب رسول الله ﷺ للدكتور محمد عبده يمان، مؤسسة علوم القرآن الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ.
- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ.
- منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي للدكتور صلاح الدين الإدلبي.
- مقاييس نقد متون السنة للدكتور مسفر عزم الله الدميني. السعودية الرياض ص ب (١٧٩٩٩).
- منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.

- عدالة الصَّحابة في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة ودفع الشبهات للدكتور عماد السيد الشربيني.
- وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة الثَّانية ١٣٨٢ هـ ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع.
- ملامح السعادة في تربية الطفل على العبادة للدكتور عبد المجيد البيانوني الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
- واجب الأمة نحو نبي الرحمة للدكتور خليل إبراهيم مُلا خاطر العزامي دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة.
- نبي الهدى والرحمة ﷺ للدكتور عبد المجيد البيانوني الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.
- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعاني بن زكريا الجريري دار عالم الكتب.
- المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى أحمد الزرقا دار القلم الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلاميَّة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر الطبعة الرَّابعة ١٤٢٦ هـ.
- الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية للدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبي سليمان، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- أصول الفقه قبل عصر التدوين، للشيخ صفوان داوودي، دار الأندلس الخضراء الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- تدوين السُّنَّة النَّبَوِيَّة نشأته وتطوره من القرن الأوَّل إلى نهاية القرن التَّاسع الهجري للدكتور محمد بن مطر الزهراني دار المنهاج بالرياض الطبعة الثَّانية ١٤٢٨ هـ.
- القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنَّة للدكتور عبد الرحمن إبراهيم الحميضي طباعة جامع أم القرى مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- مجلة البيان.
- مفهوم التربية وأهدافها عند الإمام علي كرم الله وجهه الدكتور مسلم عبد

القادر أحمد.

- الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب للدكتور فاروق مجد لاوي، الناشر  
روائع مجد لاوي.

- أخلاق أهل القرآن للأجري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ طبعة دار الكتب العلمية  
بيروت.

- الرد على مزاعم المستشرقين إجناتس جولد تسيهر ويوسف شاخت ومن  
أيدهما من المستغربين د. عبدالله عبدالرحمن الخطيب.

- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان  
عباس، الناشر مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.

